

دراسة في

(١٧)

قراءة في مصادر تدوين القرآن الكريم ومراجعته

عبدالله بن ضيف الله الرحيلي

أستاذ في الحديث وعلومه

عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة بالمدينة المنورة سابقاً

دراسة في

(١٧)

قراءة في مصابدين القرأ إلى كبره ومرجعه

عبدالله بن ضيف الله الرحيلي

أستاذ في الحديث وعلومه

عضوية التدريس بجامعة طيبة بالمدينة المنورة سابقاً



ح) عبد الله بن ضيف الله راجح الرحيلي ، ١٤٤٦هـ

الرحيلي ، عبد الله بن ضيف الله بن راجح
قراءة في مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته / عبد الله بن ضيف الله
بن راجح الرحيلي - ط١ - المدينة المنورة ، ١٤٤٦هـ
٣٥٣ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
(دراسات في المنهج (١٦)
رقم الإيداع : ٥٨٠٤ / ١٤٤٦هـ
ردمك : ١ - ٦٠٣٠٠٥٠٢٢٩ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ٥٨٠٤ / ١٤٤٦هـ
ردمك : ١ - ٦٠٣٠٠٥٠٢٢٩ - ٩٧٨

مؤسسة محراب العلم الوقفية - للنشر والتوزيع

لطلب نسخ : جوال ٧٣٣٧٦٧٩ ٠٥٤

عنوان المؤلف البريدي

Email: ruhaili65@hotmail.com



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

عنوان المؤلف البريدي

Email:ruhaili65@hotmail.com

قال الله تعالى:

﴿كَتَبْنَا نَزْلَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدَّبَرُواْءِ بَيْنَهُمْ وَلِتَذَكَّرَ أُولُواْ الْأَلْبَابِ﴾

[سورة ص: ٢٩].

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

[الإسراء: ٩]





«ومن المعلوم أنّ كلّ كلامٍ فالمقصود منه فهم معانيه، دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك.

وأيضاً، فالعادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتاباً في فنٍّ من العلم، كالطب والحساب، ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله، الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم!».

الإمام ابن تيمية، رحمه الله، مقدمة في أصول التفسير، ص ١٠.



- ◆ حينما تتحدّثُ عن القرآن، اجعله أستاذك، ولا تجعل نفسك أستاذًا للقرآن.
- ◆ سلّم للقرآن عقلك؛ يفتح لك القرآنُ فقههُ وخزائنه.
- ◆ سلّم للقرآن قيادك؛ ينفحك الله بهداياته.



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فهذا كتاب: (قراءة في مصادِر تدبُّر القرآن الكريم ومراجعِه)، أرجو أن يكون ذا فائدة في خدمة تدبُّر القرآن الكريم من هذا الباب، الذي تخصص فيه الكتاب، وهو باب القراءة في مصادِر تدبُّر القرآن ومراجعِه الأولى المؤلَّفة فيه، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

والمرجو أن ينفع الله به من يلتبس تدبُّر كتاب الله من بابه ومشرِّعه الصافي التَّمير وهو: القرآن ذاته، وحديث الرسول ﷺ، وأبواب اللغة العربية المشرَّعة؛ لفقه الكلام، ولفقه وحي الله تعالى، وذلك في ضوء الالتماس لمنهجٍ سديد لفقه القرآن الكريم والحديث الشريف.

فدُونك، أيها القارئ الكريم، كتاباً مخصَّصاً لهذا المسلك المهم من مسالك تدبُّر الكتاب العزيز، (القراءة في مصادِر التدبر ومراجعِه) في العصور المتقدِّمة من تاريخ العلم في الإسلام، وما فيها من علمٍ رصين، وبركة، وأنفاسٍ لأولئك الأئمة الأجلاء. وستكون هذه القراءة من أسباب التعرف على مصادِر تدبر القرآن، ومناهجها، وطرائقها، وأهميتها.



والحقيقة أنه بالاطّلاع عليها سيقف القارئ على أشياء كثيرة، ومهمة عن التدبر، وأهميته، ووسائله، وطرائقه.

وكل ذلك في غاية الأهمية لتدبر القرآن الكريم؛ لأنّ مثل هذه القراءة مدخلٌ منهجيّ، تقيديّ، تأسيسيّ لعلم التدبر.

فجزى الله خيرَ الجزاء مَنْ يُفكّر في هذا الباب من أبواب فقه كتاب الله تعالى، ومَنْ يُسهم بسهمٍ نافع نحو نقله للآخرين، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا وحسناته، ويبيّض وجهه يوم تبيّض وجوه وتسود وجوه؛ فكم في هذه المصادر والمراجع من كنوز نورانية، لا تُرايية، مغمورة في بطون تلك المصادر، لا يعلمها كثيرٌ من الناس!

الميزات العلمية التدبرية للقراءة في مصادر التدبر:

تتمثّل الميزات العلمية التدبرية في القراءة في مصادر التدبر، ولاسيما المصادر المبكرة منها، في خمسة أمور، هي:

١- الانتباه إلى تلك المصادر في التدبر، المتقدمة زمنًا؛ لِيُتَفَعَّ بها.

٢- الانتباه إلى أنه ليس من اللازم؛ لتحديد مصادر التدبر الأولى، ورود كلمة «التدبر»، أو شيء من مشتقاتها في عناوينها، بل دلّنا الواقع على أنّ مصادر التدبر في القرون الأولى لم تكن تحت عنوان التدبر، بالرغم من أنها في صميمه!

٣- العلم بأنّ غالب بدايات التأليف التأسيسيّ لتدبر القرآن الكريم في القرون الأولى، قد كانت في أبواب التأسيس العلميّ في مجال أدوات التدبر الأساسية، ولاسيما المجالات اللغوية لفهم الكلام ودلالاته، بصفة عامّة، أو لفهم كلام الله تعالى، وفهم حديث الرسول ﷺ، ومنها: مؤلفات في علوم القرآن من المؤلفات الأولى، ومؤلفات في مقدّمات لتفسير القرآن الكريم...

مقدمة

ومؤلفات في اللغة العربية وعلومها، مُستَهْدَفَةٌ خدمة القرآن الكريم،
والحديث الشريف...

٤- الوقوف على هذه المادة العلمية الرصينة في التدبر، التي تَضَمَّنَتْهَا تلك
المصادر المتقدمة زمنًا، المتقدمة: مكانةً وأهميَّةً، المائلة إلى الإيجاز في
كثيرٍ من الأحيان الوافي بالغرض.

٥- الالتفات إلى وسائل التدبر، وأسبابه المعاصرة، ولاسيما الرقمية، وذلك
بالاطلاع على طَرَفٍ مهمٍّ منها من خلال ما أورده الكتاب في آخره، سواءً
منها ما يتعلق بالتطبيقات والبرامج الإلكترونية، أو القنوات والإذاعات
الخاصة بالقرآن وعلومه وتَدْبُرُه.

وما أَجْمَلَ هذا الموضوع! وما أَسْعَدَ المشتغل به، المنشغل به!

إنَّ القراءة في مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، تأخذ بيد طالب العلم وطالب
تدبر القرآن إلى صحبة كتاب الله، ويا لها من صُحْبَةٍ مُسْعِدَةٍ؛ إذ أنه يُلَازِم المصحف
الشريف، ويُلازم البحث في معانيه وهداياته!

ولا يُنْكِرُ كاتب هذه السطور أنه ربما كان بعض مادة هذا الكتاب قد جاءت
وَفُق أفكارٍ تدبرية لعلها تَتَّفَق مع قناعاتٍ للمؤلف، أكثرَ من كونها نقلاً عمَّن سبق؛
وهو الأمر الذي سار عليه؛ منتَهِجاً هذا النهج من خلال تعامله مع مصادر التدبر
ومراجعته؛ وذلك أنَّ مؤلِّف الكتاب يرجو دائماً أو غالباً، أن يكون صاحب رأي، فيما
يُشارك به في العلم، أكثرَ من أن يكون مقلِّداً لِسِوَاهُ، -مع اعترافه بِقِلَّة بضاعته-
وذلك من غير إعجابٍ بما يكتبه، أو انتقاصٍ للأئمة والفضلاء؛ ولهذا ربما جاء هذا
الكتاب نتيجةً عمليَّةً لتطبيق المؤلِّف تطبيقاً شخصياً لبعض موضوعات الكتاب.

وأخيراً في هذه المقدمة، أَلْفِتُ النظرَ إلى ما جاء في آخرِ هذا الكتاب من
الكلام عن وسائل التَّدْبُر وأسبابه الحديثة المنشورة على مستوى العالم وعلى



مستوى الشبكة العنكبوتية من: تطبيقات إلكترونية، وبرامج رقمية، ومواقع إلكترونية، وإذاعات، عظيمة، في خدمة القرآن وتدبره، وتفسيره، وتلاوته وحفظه، معروضة عليك في أي ساعة تريد، وفي أي مكان تكون فيه من العالم!

والحمد لله على هذه النعمة العظيمة، حقاً!

وفي الختام، أذكرُ هنا بالخير والشكر والدعاء الإخوة الفضلاء الذين قرءوا هذا الكتاب؛ فتفضلوا بإسداء النصح، وإبداء ملحوظاتهم العلمية والفنية التنسيقية القيمة، التي أفادوا بها كاتبه، وأثروا بها الكتاب، وهم: أ.د. ياسر بن إسماعيل راضي، وعبد الرحمن بن صالح بن حلي، وأخ لم يرض ذكر اسم، أسعده الله والديه في الدارين. جزاهم الله جميعاً خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن، الراغبين فيما عندك من الخير، الذي أعدته لمن أكرمهم بصحبة كتابك، والعناية به، وبارك في نياتنا وذرياتنا وأوقاتنا وجهودنا. والحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم على خاتم رسلك محمد بن عبد الله وآله وصحبه أجمعين.

المؤلف

المدينة المنورة

١٤٤٥/٢/٢٦ هـ

الفصل الأول

تمهيد: مقدماتٌ منهجية

وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: من دواعي العناية بكتاب الله.

المطلب الثاني: مفهوم التدبر وأهمية التأهل له.

المطلب الثالث: دواعي تدبر القرآن الكريم.

المطلب الرابع: مفاتيحُ للظفرِ بهدايات القرآن وتدبره.



المطلب الأول

من دواعي العناية بكتاب الله

دواعي العناية بكتاب الله كثيرة، ومَهَمَّا بُذِلَ في سبيل العناية بهذا الكتاب العزيز، فهو يَسْتَحِقُّه وزيادة؛ إذ هو كتابٌ عزيزٌ، أنزله الله العزيز الحميد، فيستحق كل ما بُذِلَ ويُبذَلُ مِنْ عنايةٍ واهتمام به؛ إنه:

- كتاب الله وكلامه سبحانه، أشرفُ كتابٍ، وأعظمُ كتاب.

- الكتاب العزيز، الذي أنزل لهداية العباد جميعاً، ونحن منهم.

- الكتاب الذي لا يَمسه إلا المطهرون!

- الكتاب الذي ما لبثت الجنُّ إذ سَمِعوه مِنْ رسول الله ﷺ إلا أن قالوا: ﴿...إِنَّا

سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ٢! [الجن: ١-٢].

- قد أنزل لمقاصد أهمها:

١- تدبُّره، وفهمه.

٢- العمل به.

٣- تزكية النفوس به.

٤- استصلاح سلوك الإنسان به في ضوء ما في القرآن الكريم من أنوارٍ وهدايات.





وطالما أن القرآن هو أعظم كتاب أنعم الله به على البشرية، وأنه أنزله؛ ليفهم،
ومن ثم ليعمل به؛ فهذا دليل عظيم على أهمية تدبره.

وقد تبين، بوضوح، باستعراض آيات الكتاب العزيز ذات العلاقة بالقرآن وإنزاله؛
أن هذه المقاصد آتفة الذكر من أهم ما أنزل القرآن لأجله.

ومهما تطاول الزمان، فإن تدبر هذا الكتاب الهادي إلى الهداية الإلهية، وإلى
سواء السبيل، وإلى دار السلام، مطلب ضروري للبشرية كلها.

المطلب الثاني

مفهوم التدبر وأهمية التأهل له

بادئ ذي بدء، ينبغي لنا العناية بتحديد مفهوم التدبر؛ وذلك لتحديد المراد به، ولتحديد المراد من الأمر به.

وهذا من العناية بأهمية هذا الموضوع.

فما المراد بالتدبر؟:

- هل المراد به هو التفسير على أيّ حال؟

- أو هل المراد به أيّ تدبر كان؟ ومن أيّ شخص كان؟

الأمر يحتاج إلى تثبّت.

والجواب هو:

إنّ معنى مادة (تدبّر) ومشتقاتها معلومٌ في اللغة العربية؛ فلا تحتاج إلى تكلفٍ في تحديد معناها، وهو: التأمل، والتبصّر في الأمر، وفي الكلام، مثلاً.

والمقصود بالتدبر الذي جاء الأمر به، هو التدبر المنضبط بالضوابط الشرعية، التي يدُلُّ عليها عموم الأدلة في القرآن والحديث، ذات العلاقة.

وحينئذ يتّضح المقصود بتدبر القرآن الكريم، المأمور به في آيات القرآن وفي أحاديث الرسول ﷺ.





لا نريد هنا تعريف (التدبُّر) تعريفاً تقليدياً، حسب المعتاد، لكن بالوقوف على الضوابط اللازمة للتدبُّر، يتبيّن الآتي:

١- التَّدَبُّرُ المأمور به، ليس هو مجرد التأمل في القرآن على غير منهاج.

٢- التَّدَبُّرُ المأمور به، هو أيضاً ليس مجرد التأمل في الكتاب العزيز عن غير أهلية من المتدبِّر، عاصمة له من الخطأ، أو عاصمة له من القول بغير علم، بل لابد من الأهلية التي يهتدي بها المتدبر إلى الطريق السليمة، الموصلة له؛ ليفهم القرآن ودلالاته ودقائقه، سواء في مفردات القرآن، أو في ألفاظه، أو في معانيه، أو في أساليبه، أو في مرامييه، أو في أسرار روعته وإعجازه الميمن، بمختلف أوجه إعجازه!

٣- التَّدَبُّرُ المأمور به ليس المراد به أن يُعتمد تدبُّر أي شخص، بغض النظر عن كونه متأهلاً علمياً لهذا أم لا. كلا، وإنما المراد تدبُّر المتدبرين ذوي الأهلية العلمية، الذين تستحق تأملاتهم وتدبرهم التسجيل والنقل، نعم، المراد هو تدبُّر ذوي الأهلية العلمية لهذا الأمر.

٤- ومع مراعاة هذا كله، فمن المهم التأكيد على أن هذا الكلام، الآنف الذكر لا يُسقط عن المسلم والمسلمة واجب التدبر للكتاب العزيز، التدبر الذي أمر الله به -بغض النظر عن مستوى الشخص العلمي- وذلك أن الأمر بالتدبُّر قد جاء أمراً مستقلاً مطلقاً؛ فيشمل كل أحد يصدق عليه الخطاب بهذا الأمر بالتدبر؛ لأن هذا الأمر مجرد تدبُّر لكلام الله، وهو أمر غير تدبُّر المتأهلين علمياً، الذين يستحق تدبرهم التسجيل والنقل للآخرين؛ وذلك أن ذوي هذه الأهلية العلمية ليسوا من الجاهلين، المنهين شرعاً أن يقولوا في كتاب الله بغير علم.

هذا هو التَّدَبُّر الذي أمر الله به، وأمر به رسوله، ﷺ، مطلقاً.

الفصل الأول تمهيد: مقدمات منهجية

إِذْنُ، فتدبر القرآن معنًى واسعٌ؛ وذلك لأنه -كما ذكرتُ- يَشْمَلُ كُلَّ ما كان متعلقاً بفهمه، ومعرفة أسرار معانيه، ونظمه، ومختلف أساليبه، ودقائق معانيه: مفرداتٍ وأساليب، ويَشْمَلُ ذلك معرفة الوسائل والأساليب الموصلة إلى فهم القرآن وتدبره.

وبناءً على هذا، فالواجب على المسلم والمسلمة؛ ليكونوا متدبرين للقرآن على ما يَجِبُ مِنْ تدبُّرٍ، أَنْ يُعْنُوا بهذه المجالات العلمية، كلها، المؤهلة لتدبر القرآن! ولا يخفى أَنَّ التدبر هو الخطوة الأولى، التي تَسْبِقُ التفسير؛ وعليه، فإنَّ التفسير ثمرةٌ مِنْ ثمرات التدبر.

ومعلومٌ أنه بهذا يدخل في التدبر -بصورة مباشرة أو غير مباشرة- كُلٌّ مِنْ:

- أ - آيات القرآن الكريم، وعلومه.
- ب - وأحاديث الرسول ﷺ.
- ج - واللغة العربية ومختلف علومها واستعمالاتها.
- د - ويدخل فيه كتابات الكاتِبِينَ في التَّدْبِيرِ، أيضاً.
- هـ - ويدخل فيه «كُتُبُ التفسير». لأنَّ التفسير فرعٌ عن التَّدْبِيرِ، أو هو ثمرةٌ مِنْ ثمراته، على ما سَبَقَ.
- و - ويدخل في التفسير ما دوَّنه أهل الحديث في مصنفاتهم في كُتُبِ متون الحديث الشريف، حيث ذكروا تحت عنوانٍ متكرَّرٍ أو واردٍ عند كثيرٍ منهم بلفظ: (كتاب التفسير) وذكروا تحته الأحاديث النبوية الواردة في تفسير القرآن، وهي مما يَشْمَلُ على كثيرٍ مِنْ تفسير الرسول ﷺ للقرآن.

فكل هذه المجالات العلمية ميدانٌ لتدبر القرآن، وميدانٌ للمتدبر للقرآن؛ فينبغي له العناية بها، والحرص على الأخذ بنصيبٍ وافٍ منها؛ إنَّ أراد أن يأتي الأمور مِنْ أبوابها.



إنّ من المهم -للإفادة من مصادر التدبر-: العناية بالتأسيس العلمي لدى الشخص، فهو من أهم ما تتطلبه العناية بواجب تدبّر الكتاب العزيز، أعني التأسيس العلمي بمختلف مجالاته، ولاسيما المجالات العلمية الإجمالية الآتية:

المجال الأول: التأهل في المجالات اللغوية، بمختلف فنون اللغة، ومعاجم اللغة العربية والإمام بمنهجها.

المجال الثاني: التأهل في مجالات أصول العلوم: كأصول التفسير، وعلوم القرآن، وأصول الحديث، وأصول الفقه، ... إلى آخر العلوم التأسيسية.

المجال الثالث: التأهل في مجال النصوص الشرعية، ومعرفة طرق التعامل معها، وسُبل الاستفادة منها.

وهذا التأسيس العلمي، أو التأهل العلمي، ميدانٌ رحبٌ فسيحٌ، والشأن فيه أنه يتكوّن لدى الشخص بتتابع وتدرّج؛ على مدى العمر، وكلما أوغلّ في طريقه هذا جَنَى من الجنى؛ وقال: أَحْمَدُ إِلَهَنَا الَّذِي أَوْصَلَنِي إِلَى هَذَا!

وامتداداً للكلام عن هذا المجال العلمي، سنتناول في فقرةٍ مستقلةٍ موضوع كون: (القرآن والحديث المصدر الأول الأساس من بين مصادر التدبر)؛ وذلك لتقرير الموضوع وبعض أمثله التطبيقية، في موضوعات هذا الكتاب، التي سنتابع الكلام عنها بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث

دواعي تدبر القرآن الكريم وثمراته

هناك دواعٍ لتدبر كتاب الله، وثمراتٌ، سأشير إلى ذلك في الآتي:

فمن دواعي تدبر القرآن:

١- أَمُرُ الله به، في غير ما آية، وإعلامه لنا سبحانه، أن هذا الكتاب كتابه، وأنه أنزله لتدبره، وليس هناك داعٍ من دواعي التدبر أعظم من هذا، بل إنه قد يُهَيِّئُ على ما سواه من دواعي التدبر، ولن نقف على هذه الحقيقة إلا بتدبر الكتاب العزيز.

- قال تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [سورة ص: ٢٩]، وسائر آيات التدبر.

٢- أنه لا خيار لعباده، سبحانه، في امتثال الأمر الإلهي بتدبره والعناية به، وتأكيد على ذلك في أكثر من آية.

٣- أن نوعاً من الإعجاز الرباني في القرآن، لا يظهر إلا بتدبر الكتاب العزيز؛ لأن الله ربط ذلك بالتدبر لكتابه؛ لِيَتَّبِعِينَ للناس صدق التحدي الإلهي بعدم وجود اختلاف في كتابه، فهذا إعجاز رباني لإثبات سلامة القرآن من التناقض والتعارض والخطأ. والطريق إليه هو تدبر الكتاب العزيز.

- قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾،

[النساء: ٨٢].



٤- أن تدبّر القرآن هو الطريق لتحقيق الهداية بالقرآن، ولا تُغني القراءة العابرة، أو القراءة الهاذّة له عن هذا التدبر. وليست الهداية إلا هداية الله تعالى. وباستعراض مختلف الآيات ذات العلاقة بالهداية؛ تُدرك عَظَمَةُ هداية الله لعباده في كتابه!

- قال تعالى: ﴿الرَّكَتَدُبْ أَنْزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، [إبراهيم: ١].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، [العنكبوت: ٦٩]، وهذا دليلٌ على أن طريق هذه الهداية الإلهية إنما هو مُجَاهَدَةُ النفس، وتَدَبُّر القرآن الكريم.

وهذه الآيةُ يدخل فيها عمومُ المجاهدة، ومن ذلك مُجَاهَدَةُ النفس، ويدخل في هذه المجاهدةُ مراعاةُ ما تَضَمَّنَتْهُ الآيةُ من شروطٍ ضَمَّنِيَّةٍ لهذه المجاهدة، التي وَعَدَ اللهُ الْآخِذَ نَفْسَهُ بها بهدائه لسبيله عَزَّ وَجَلَّ، وهي: ١- المجاهدةُ. ٢- أن تكون مجاهدةً في ذاتِ الله تعالى، أو لوجهِ الله تعالى. ٣- أن تكون مجاهدةً بمنهجِ الله؛ لأنها لا تكونُ مجاهدةً لوجهِ الله إلا إذا كانت وَفَّقَ منهجِ الله. ٤- بذلُ الجُهدِ المطلوبِ بالقدر الكافي في هذه المجاهدة.

وبعد هذه المجاهدة تأتي هديَّةُ الله لعبده، وهي هدايته إلى سبيلِ الله. ويُلاحَظُ هنا أن الله جَمَعَ السُّبُلَ (سُبُلَنَا)، مع أن سبيلَ الله واحدة؛ للدلالة على تمام هدايته لعبده إلى كُلِّ سبيلٍ توصل إلى الله أو إلى هدايةِ الله. وهكذا، فإن حياة الإنسان ليست مجّانيةً، والهداية كذلك، الأصل فيها أنها ليست مجّانية؛ فلا بد من دفع ثَمَنِهما.

٥- أن تدبّر القرآن هو الطريق لتحقيق زيادة الإيمان بالله تعالى، ولا تُغني القراءة العابرة، أو القراءة الهاذّة له عن هذا التدبر! وأيُّ مُطَلَبٍ للإنسان

الفصل الأول تمهيد: مقدمات منهجية

أَعْظَمُ مِنَ الْإِيمَانِ بَرَبَهُ وَخَالِقَهُ وَرَازِقَهُ سُبْحَانَهُ! وبوقوفك على الآيات ذات العلاقة بزيادة الإيمان؛ يُظْهِرُ لَكَ جَانِبٌ مِنْ أَهَمِّ مَا يَهْمُّكَ فِي دِينِكَ.

٦- أَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ هُوَ الطَّرِيقُ لِتَحْصِيلِ الثَّبَاتِ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ دَوَاعِي تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهَمِّ الْمَقَاصِدِ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ الْمَقَاصِدِ فِي الْقُرْآنِ، فَمَنْ عُنِيَ بِتَحْدِيدِ الْمَدَاحِلِ الْإِذَازِمَةِ لِلْوُقُوفِ عَلَى الْآيَاتِ ذَاتِ الْعِلَاقَةِ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ؛ ظَفَرَ بِمَطْلُوبِهِ مِنْ ذَلِكَ.

٧- أَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ هُوَ الطَّرِيقُ لِتَحْصِيلِ الْيَقِينِ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى نَفْيِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ. وَهُوَ أَمْرٌ لَا يُحْصِلُهُ قَارِئُهُ بِالْقِرَاءَةِ الْعَابِرَةِ، وَإِنَّمَا بِالْقِرَاءَةِ الْمَتَدَبَّرَةِ، وَبِالْقِرَاءَةِ الْبَاحِثَةِ عَنِ الْآيَاتِ ذَاتِ الْعِلَاقَةِ بِهَذَا الْأَمْرِ، الْمَبْنِيَّةِ عَلَى تَحْدِيدِ الْمَدَاحِلِ الصَّحِيحَةِ لِلْمَوْضُوعِ.

ومما يُظْهِرُ لَكَ مَدَى عَنَايَةِ الْقُرْآنِ بِيَانِ الْحَقِّ، أَنَّ كَلِمَةَ (الْحَقِّ) بِالْتَعْرِيفِ بـ(ال) جَاءَتْ فِيهِ نَحْوَ ١٠٩ مَرَّةً؛ فَكَيْفَ لَوْ نَظَرْتَ لِبَاقِي مَوَاضِعِ الْحَقِّ فِي الْقُرْآنِ! وَمِنْهَا مَا فِي الْآيَاتِ الْآتِيَةِ:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، [البقرة: ٢١٣].

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، [آل عمران: ٦٠].

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، [يونس: ٥٣].

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾، [الذاريات: ٢٣].



٨- أن تدبر القرآن هو الطريق الأهم لتحصيل توحيد الله، ونفي الشرك والشك؛ فمن يتدبر القرآن الكريم يتبين له أن توحيد الله، ونفي الشركاء له، ودفع الشك، من أكثر ما ركزت عليه آيات الله، وساقط مختلف الأدلة لإثباته، وإنه يُسعد المسلم والمسلمة القارئ للقرآن ما يمر بهم فيه من آيات الله الباهرة لإثبات هذه الحقائق!

- قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝﴾، [الجن: ١-٢].

٩- أن تدبر القرآن هو الطريق لتحصيل مختلف أوجه النذارة بالقرآن، وكذلك وعظ العباد به: ما بين تبشير وإنذار، وترغيب وترهيب! ولا طريق لمعرفة ذلك إلا بالقراءة المتدبرة لآيات الله!

- قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتُشْهِدُنَّ أَنَّا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرًا قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝﴾، [الأنعام: ١٩].

- قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾، [الأنعام: ٩٢].

- قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۝﴾، [فصلت: ٤٦].

- قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝﴾، [الجاثية: ١٥].

- قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَاعْلَوْا تَنبِيْرًا ۝﴾، [الإسراء: ٧].

الفصل الأول تمهيد: مقدمات منهجية

من ثمرات تدبر القرآن:

لا أحصي هنا ثمرات التدبر لكتاب الله، وإنما أشيرُ إلى بعضها، فمن أهم ما يجنيه قارئ القرآن بتدبر:

١- الانتفاع بالقرآن في جميع مقاصده ومراميه.

٢- تعظيمه للمتكلم به، سبحانه، وحبُّه له، وشُكْرُه على نعمة إنزاله لعباده.

٣- الحياة الطيبة، التي يدعو لها القرآن الكريم، والتقوى، وحصول الرحمة بهذا القرآن، التي يقف على تفاصيلها في القرآن مَنْ يقرأه بتدبر.

- قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، [الأنعام: ١٥٥].

- قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفًى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، [النحل: ٩٧].

ومما يدلُّك على الفرق بين مَنْ يعيش في حياته ثمرات تلاوة القرآن وتدبره والتعبد لله به، ومَنْ هو بمعزلٍ عن هذه الحياة، أن ترى مثل قول الله، عزَّ اسمه: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذْكُرُ آيَاتِنَا وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا شَاكِرُونَ﴾، [الرعد: ١٩].

- وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَهِيْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ (١٢٦)﴾، [طه: ١٢٣-١٢٦].

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، [الإسراء: ٧٢].



٤- الاستضاءة بنور الله، الذي أوضحه في كتابه، وعَرَّف الله قارئ كتابه تفاصيل الحياة بهذا النور، وأسباب النجاح والفلاح في الدارين، وما كان لغير المؤمن بهذا الكتاب، التالي له، المتدبر لبيِّناته أنْ يظفرَ بذلك! وقد تَكَرَّر في القرآن وَصَفُ الله لكتابه أَنَّهُ نورٌ مِنَ الله، وَوَصَفُ رَسولِهِ ﷺ بأنَّه نورٌ كذلك.

حقًّا، إِنَّ الهداية المفتقرة لها الدنيا كُلُّها، إِنَّمَا هي الهداية التي رَسَمَهَا الله لعباده في كتابه، القرآن الكريم. والسبيل إليها إِنَّمَا هو تدبُّر آياته؛ وبهذا نُدرك أهمية تدبُّره، ودواعيه، وثمراته!

فلعلك أيها القارئ العزيز أنْ تتدبر -في ضوء مثل هذه الدواعي، وهذه الثمرات للتدبر- آيات ربك العجيبة، التي تتحدَّى البشرية على امتداد هذه الحياة؛ لإثبات براهين القرآن، وفي الوقت نفسه، تهدي البشرية للطرق السويّة!

المطلب الرابع

مفاتيحُ للظفرِ بهدايات القرآن وتدبره

إن المفتاح الصحيح العام لتدبر القرآن، هو أهلية المتدبر، أو التدبر المستند إلى أهلية لدى المتدبر؛ وحينئذٍ، ستفتح له أبواب الفقه والهداية وأسرار الكتاب العزيز وأنواره!

وَمِنْ أَمَمَ مفاتيح التَّدْبِيرِ، التي بها يَظْفَرُ المتدبر بهدايات القرآن وبأنواره، المفاتيح الآتية:
أ - الإخلاص في التوجه لتدبر القرآن، المستلزم التسليم لحكم القرآن وأحكامه، وعلى غير هذا المفتاح لن تفتح خزائن القرآن وأنواره. وَمِنْ تمام الحرص على تحصيل هذا المفتاح سؤال الله تعالى أَنْ يَرْزُقَكَ الإخلاص والقبول. فاللهم نسألك ذلك بأسمائك الحسنى.

ب- التأهل العلمي لهذه المهمة في علوم اللغة العربية: نحواً وصرفاً، وبلاغةً، وإملاءً... وبدون تحصيل هذا المفتاح -ولو بالقدر الذي لا بد منه- لن يصل الإنسان إلى تحقيق الهدف المنشود في تدبره القرآن.

ج- التأهل بتحصيل ما لا بد منه من علوم القرآن والحديث، وباقي العلوم الأصول؛ إذ هي الأساس العلمي لتحصيل العلم بعامة، وتحصيل أساس التدبر فيما يتعلق بالمجالات العلمية.

د- التسليم للقرآن في ألفاظه ومعانيه، معاً، والحذر من أخذ أحدهما دون الآخر، أو تضخيم أحد الجانبين على الآخر؛ إذ القرآن أنزل بألفاظه ومعانيه؛ فلا يصح التسليم والاستسلام لأحدهما دون الآخر.





و - كثرة الذكر والتَّعَبُّد والتَّأَلُّه به لله سبحانه وتعالى. ولولا وجود هذا المفتاح عند كثيرٍ ممَّن كتبوا عن التدبُّر؛ لَمَا حصلَ لهم هذا النجاح في مؤلِّفاتهم عنه.

وكم رأينا فيما كتبه الكاتبون في تفسير القرآن وفي تدبره من تركيزٍ على المعاني بمعزلٍ عن التركيز المطلوب، أيضاً، على ألفاظه ودلالاتها الدقيقة في اللغة وأسرارها؛ فحصلت الأخطاء في فهم الآيات وفي تفسيرها! أو الوقوع في خطأ التركيز على الألفاظ بمعزلٍ عن العناية باستشعار المعاني وإحيائها وتجديدها، وتنزيلها على مواضعها الواجب تنزيلها عليها! ^(١).

(١) للإمام ابن تيمية كلامٌ نفيسٌ، منهجياً، في «مقدمة في أصول التفسير» في تقرير نحو هذا المعنى، ينبغي الإفادة منه. وأنقله هنا بطوله؛ لأهميته في توضيح النهج:
قال في مَعْرِض كلامه عَمَّن أخطأوا فُهِم القرآن، أو ضلُّوا عن فهمه:
”أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حَمْل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه مَن كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به». ص ٩٦.
وقال: «فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظرٍ إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرين راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظرٍ إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى على الذي فسروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظرُ الأولين إلى المعنى أسبق، ونظرُ الآخرين إلى اللفظ أسبق». ص ٩٧-٩٨.

وقال: «والأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يُرد به. وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً فيكون خطأهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً؛ فيكون خطأهم في الدليل لا في المدلول، وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن فإنه وقع أيضاً في تفسير الحديث.

فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط، الذين لا يجتمعون على ضلالة، كسلف الأمة وأئمتها.
وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم؛ تارة يستدلون بآياتٍ على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه». ص ٩٨-٩٩. =

الفصل الأول تمهيد: مقدمات منهجية

نتائج هذا التأهل للتدبر:

وسيكون من أهم ما يهتدي إليه المتدبر ذو الأهلية - بسبب هذه الأهلية وبركتها - استكشاف أبواب الفهم والتدبر الآتية:

١- وقوف المتدبر على كثير من مناهج تدبر القرآن الكريم، ودلائله، وضوابطه، وشرائطه، وأساليبه، ووسائله.

٢- إدراك المتدبر للقرآن أهمية اللغة العربية، وعلومها في تدبر القرآن وتفسيره، تدبراً وتفسيراً صحيحين، وإدراك أن التأسيس لعلم التدبر - منذ البداية، عند الأسلاف الصالحين - كان تأسيساً لغوياً؛ وذلك لأن اللغة العربية هي أساس الأساس في فقه الكلام ودلالاته. وهذا أمرٌ ينبغي الوقوف عنده طويلاً في الحديث عن علم التدبر، وسنخضه في هذا الكتاب ببعض العناية في مواضعها المناسبة، إن شاء الله تعالى.

٣- إدراك المتدبر للقرآن تنوع استعمالات المفردات والألفاظ والأساليب في القرآن الكريم، وفي اللغة العربية، وما وراء ذلك كله من المعاني والهدايات!

= وقال: «والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم. وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم.

وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن؛ إما دليلاً على قولهم، أو جواباً على المعارض لهم. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً، ويدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون؛ كصاحب الكشف ونحوه، حتى إنه يزج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله.

وقد رأيت من العلماء، المفسرين وغيرهم، من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم، التي يعلم ويعتقد فسادها، ولا يهتدي لذلك . ص ١١١. (مقدمة في أصول التفسير).



ستكتشفُ للمتدبّر معاني القرآن وهداياته ومقاصده على الوجه المطلوب، بما يُسعدُه ويأسره، ويدعوه للعجب من حال نفسه: كيف كان محروماً في سابق عهده من هذا التدبر، ومن هذه الهدايا!

وسيتبيّن للمتدبر للقرآن الكريم ذي الأهلية -بحسب هذا المنهج- أنّ معاني كثير من مفردات القرآن وألفاظه، ليست على معنى واحد دائماً، وإنما منها ما قد يختلف معناه في سياق عن معناه في سياق آخر، وذلك وفق دلائل تدلّ على ذلك لغةً، فتأتي النتائج علماً ومنهاجاً، لا مزاجاً! وهذا ما سنقف على بعض وجوهه وأمثله في هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني



مدخل للتعريف بمصادر التدبر ومراجعته

وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: منهج تحديد مصادر التدبر وتصنيفها.

المطلب الثاني: القرآن والحديث مصدران أساسيان لمصادر التدبر.

المطلب الثالث: التصنيف العام لمصادر التدبر ومراجعته في ضوء النظر لكل من اللفظ والمعنى معاً.



المطلب الأول

منهج تحديد مصادر التدبر وتصنيفها

الحاجة ماسة، ابتداءً، إلى التعرف على المنهجية اللازمة؛ لطريقة تحديد مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، وتحديد أنواعها، ومجالاتها العلمية، وهذا يتوقف على معرفة المسالك المنهجية اللازمة لتحديد هذه المصادر.

هناك مسلكان رئيسان لمهمة التحديد مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، هما:

الأول: مسلك المراعاة للفظ والظاهرية فقط؛ فيُعامل -بحسبه- تعاملًا مع الألفاظ فقط، وإن شئت فقل: مع ظاهر اللفظ فقط؛ لتحديد مصادر التدبر؛ فيُنظر للمؤلفات التي جاءت في إطار كلمة «تدبر» ومشتقاتها اللفظية، دون ما عدا ذلك، فلا يُلتفت إلى المفردات والألفاظ الأخرى، المؤدية للمعنى نفسه؛ وذلك بسبب أنها لا تتضمن كلمة «تدبر» أو شيئاً من مشتقاتها!

وهذا مسلك يُفيد بحسب إطاره هذا فقط، لكنه مسلك ناقص؛ لكونه لا يشمل مظان مادة التدبر كلها.

الثاني: مسلك النظرة الموضوعية، لتحديد مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، بحيث لا تقتصر على المؤلفات المشتملة على لفظ «تدبر» أو شيء من مشتقاته، وإنما ننظر موضوعياً، بحيث يدخل في نظرنا كل ما كان في مجال التدبر، سواء كان ذلك بدلالة اللفظ أو بدلالة المعنى.



وهذا هو المنهج الصحيح لتحديد مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، سواءً كان ذلك على وجه الشمول، أو الاجتزاء، بحيث يكون مسلكنا لتحديد مصادر التدبر مسلكاً موضوعياً ولفظياً معاً، لا مسلكاً مقتصرأً على أحدهما.

نعم، إنه ينبغي لتحديد الكلام الوارد في المؤلفات، أو لتحديد المؤلفات التي تُعدُّ في مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، أن يُنظر إليه نظرةً ليست حرفيةً، وإنما نظرةً أوسع من ذلك، بأن يُنظر إليه نظرٌ يشمل كلاً من النظرة الحرفية اللفظية، والنظر إليه باعتبار المعنى، فُتراعى في حصر مصادر التدبر دلالة كل من اللفظ والمعنى.

ويترتب على الأخذ بهذا المسلك الصحيح، الظفرُ بنتائج البحث السليمة كلها؛ وحينئذ يتضح لنا -بحسب هذه المنهجية الصحيحة- مؤلفاتٌ كثيرةٌ متنوعة، أوسع من نتائج النظرة الظاهرية الحرفية، التي تعتمد على الألفاظ فقط؛ وذلك لأمرين:

١- لأنَّ النظرة الظاهرية الحرفية لتحديد المؤلفات في الموضوع، أو لتحديد موضوعات التدبر في المصادر والمراجع، ستقتصر على ما تضمّن كلمة «تدبر» ومشتقاتها فقط، وحينئذ تُهمل المصادرُ الكثيرة في التدبر الواردة في التدبر معنى لا لفظاً.

والدعوة إلى مراعاة المنهج الصحيح، لا تعني إلغاء هذا المسلك الحرفي اللفظي كلياً، لأننا قد نحتاج البحث بوساطة هذا المسلك في بعض الأحيان؛ لسببٍ مؤقتٍ يقتضي ذلك، كما لو كان هدفنا في وقتٍ ما، الوقوف على ما جاء من مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته الواردة بحسب اللفظ، مع علمنا بأن هذا لا يُغني عن البحث بالمسلكين كليهما.

٢- ولأنه بالنظرة إلى هذا الموضوع -بحسب معناه، لا بحسب لفظه فقط- سيدخل في موضوع التدبر حينئذ كلُّ ما خدَم تدبر الكتاب العزيز من قريب أو بعيد، ولو لم يرد فيه شيء من اشتقاقات «التدبر»، وهذا هدفٌ أساسٌ لاستيعاب مادة هذا العلم، واستيعاب مصادره.

الفصل الثاني: مدخل للتعريف بمصادر التدبر ومراجعته

وهكذا نرى أن من فوائد مراعاة كلِّ من اللفظ والمعنى في تحديد مصادر التدبر: وضوح الإطار الذي يشمل التدبر، أو وضوح ما يدخل من المصادر في التدبر بهذه النظرة؛ إذ يدخل فيه حينئذٍ المصادر الآتية:

١- المصادر التي خدّمت التدبر، بطريقة مباشرة، أي بحسب اللفظ، سواء كان تدبراً كلياً للقرآن أو تدبراً جزئياً...

٢- أي مصدر أو مرجع خدّم التدبر، بطريقة غير مباشرة، أيضاً. وهذه المصادر غير المباشرة قد لا يتنبّه لها إلا من كان معنياً بالكتاب العزيز وتدبره، مع عنايته باللغة العربية: ألفاظاً ومعاني، كلياً أو جزئياً. وبحسب الاطلاع على هذا النوع من مصادر التدبر، فإنه مشتمل على علم نفيس.

٣- كل علم، وكل كتاب، أسس لطريقة فهم الألفاظ، وفهم تراكيب الكلام وأساليبه، وهذا النوع من العلوم فيه الكثير من المؤلفات، التي لها أهمية بالغة، ومنها ما ارتبط من ذلك بالقرآن الكريم، وهذا المجال مما لا يتنبّه له كثير من الناس؛ على أهميته...

إنه بتطبيق المنهجية، السابق بيانها، بشأن تحديد مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته وحضرها، قد يُستفّر ذلك عن تحديد حاصر لمصادر التدبر بطريقة علمية منهجية منضبطة.

وسيتّضح هذا الموضوع باستكمال باقي مجالات الحديث عنه.





المطلب الثاني

القرآن والحديث مُصدران أساسيان لمصادر التدبر

وَحَيَّ اللهُ: القرآن الكريم، والحديث الشريف، هما الأساس الأول، وعليهما المعوّل في باب كلّ برٍّ، وفي باب كلّ علمٍ.

لهذا، فإنّ القرآن والحديث الشريف هما المصدران الأساسان والأهمّ في التدبر؛ إذ هما المصدران السابقان، رُتِبَةً وزمناً، على المصادر المؤلفة في تدبر القرآن كلها، وهما المنزّلان من عند الله لهداية الناس جميعاً: سواء المؤلّفون منهم، أو سواهم.

ولهذا، اشتدّت الحاجة إلى التنبيه على هذا الأمر، وإلى الوقوف عنده؛ تطبيقاً لهذه الحقيقة المقرّرة بأنّ أصلَ مصادر تلك المؤلفات في التدبر ومُنْبَعُها أو مَرْجِعُها، هو القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ، أو هكذا ينبغي أن يكون الأمر؛ فهما أصلُ مصادر التدبر حقّاً، وذلك لأنهما وَحْيُ الله الخالق العليم الخبير، وإنْ غفل الغافلون عن الالتفات إليهما في هذا الباب؛ فلا يُعَرِّجون عليهما بصفةٍ مستقلة في عدّهم مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، وإنْ تحدثوا عنهما في الاستنباط الجزئيّ في بعض مواضع الكلام عن تدبر القرآن.

الفصل الثاني: مدخل للتعريف بمصادر التدبر ومراجعته

وإنَّ مِنَ المَهمِّ في الحديث عن مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، التنبيه إلى أنه ينبغي أن يتقدّم الحديث عن المصدر الأساس في تدبر القرآن الكريم، وهو وحي الله: قرآنًا وسنةً على الحديث عن مصادر التدبر تلك، التي أَلَفَها الناس؛ وذلك أنَّ وحي الله هو أَوَّلِي ما يُسْتَنَدُ إليه في تدبر كتاب الله، سبحانه، وفقهه، وتفسيره وبيان معانيه وهداياته وفي منهج ذلك كله.

ولا يُهَوَّنُ مِنْ شأنِ هذا الأمرِ قِلَّةُ ذِكره، أو نُذرةُ ذِكره لدى المعنيين بالتدبر.

وستتناول، في أسطر تالية، الكلام عن مَصْدَرِي مصادر التدبر: القرآن الكريم، والحديث الشريف، في بعض العناصر، الموضحة للفكرة، وطرائق تطبيقها، وأهميتها...

والسبب في إفراد الحديث عنهما مستقِلَّين عن باقي مصادر التدبر، هو أنَّهما (أي: القرآن الكريم، والحديث الشريف) مَصْدَران أساسان مستقلَّان مُقَدِّمان، فأمرهما ليس داخلياً فيما نتحدث عنه من المصادر المؤلفة في التدبر، بل هما مستقلَّان، وأمرهما يطول كثيراً؛ إذ يمتدُّ البحث عن موضوعات التدبر فيهما، أو من خلالهما طويلاً، طويلاً؛ إذ أنَّ هذا من واجبات الحياة كلها في حقِّ المسلم والمسلمة.

وما من شكٍّ في أنَّ الاشتغال بالقرآن الكريم والحديث الشريف فيما يتعلق بتدبر القرآن له منهجه وأُسُسه العلميّة، وله شروطه العلميّة التأسيسية، التي ينبغي الإمام بها، أو السعي في سبيلها، ولو بقدر الإمكان.

هذا الكلام هنا تمهيدٌ مختصرٌ بشأن القرآن والحديث الشريف.

وسياتي لاحقاً -في الفصل الثالث- الكلام عن القرآن الكريم والحديث الشريف بشيءٍ من التفصيل، باعتبارهما مَصْدَرِي مصادر التدبر، والإشارة إلى أنهما كنزٌ الكنوز في هذا الباب، كما هو الشأن فيهما في كل باب؛ فانتبهوا يا أولي الألباب.



المطلب الثالث

التصنيف العام لمصادر التدبر ومراجعته في ضوء النظر لكلٍّ من اللفظ والمعنى معاً

بعد الانتهاء من الإشارة إلى أصليّ مصادر تدبر القرآن ومراجعته (القرآن والحديث الشريف)، وأهميّتهما في هذا الباب: لا بدّ من التنبيه إلى أنّ الكتابات والمؤلفات في تدبر القرآن الكريم كثيرة، ومتعددة المجالات، وفيها العجائب من دقائق الفقه والأدب في التعامل مع القرآن الكريم، وتدبره.

لكنّ بعضها -على ما تبّهتُ عليه في موضعه من هذا الكتاب^(١)- جاءت تحت عناوين غير مباشرة؛ ولهذا فقد فات كثيراً من المسلمين التنبيه لها، وفات أولئك، أيضاً، التنبيه إلى أنّ تلك المؤلفات وإن كانت عناوينها لا تُشعرُ بصلتها بالتدبر، إلا أنها في صميمه. حصَلَت هذه الغفلة، ولاسيما مع ما شاع عندنا من الظاهرية والحرفيّة.

ولهذا فالحاجة ملحةٌ لبيان طبيعة مؤلفات الناس في تدبر القرآن هذه، ولتُفتِ الأنظار إليها، وإلى أهميّتها، ومناهجها، وهذا ما سيكون واضحاً في حديثنا في هذا الكتاب المبارك ومراجعته ومصادره، بإذن الله تعالى.

(١) كما مرّ في «المطلب الأوّل: منهج تحديد مصادر التدبُّر»، الفصل الثاني: مدخل للتعريف بمصادر التدبُّر ومراجعته.

الفصل الثاني: مدخل للتعريف بمصادر التدبر ومراجعته

وتطبيقاً لكلٍّ من النظرة الحرفية، والنظرة الموضوعية يُمكن أن نقسّم الكتابات والمؤلفات في تدبر القرآن إلى أربعة أنواع عامة، هي ناتج التطبيق للمنهج السديد، المطلوب لتحديد مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، وكذلك تحديد مادته في مصادرها.

ففيما يلي تقسيمٌ للمصادر بالنظر إليها بحسب كلٍّ من المسلكين السابق إيضاحهما: مسلك مراعاة اللفظ، ومسلك مراعاة المعنى، معاً.

يشهد لهذا التقسيم، أنه هو الذي يشهد له واقع تاريخ التأليف في تدبر القرآن على مرّ العصور، ويشهد لذلك واقع الكتب والمكتبات اليوم.

وأنواع مصادر التدبر هي:

١- النوع الأول: الكتابات والمؤلفات الأولى المؤسّسة للتدبر، ولو كانت عناوينها لم تتحدث عنه مباشرة، رُغم شيوع الغفلة عنها في باب مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته!

٢- النوع الثاني: الكتابات والمؤلفات عن التدبر ضُمّنيّاً، غير المستقلة، لكنها، غالباً، داخلة في اهتمامنا بالموضوع العام لتلك المؤلفات.

٣- النوع الثالث: الكتابات والمؤلفات عن التدبر مستقلةً، وهذه واضحةٌ للعيان، ولا تكاد تُخطئها عَيْنان، وهي كثيرة، وليست كلها بدرجة واحدة من الإتقان، وهي بحاجة إلى التقويم والفرز والمراجعة؛ للمفاضلة بينها من قِبل المتخصصين ذوي الأهلية.

٤- النوع الرابع: الكتابات والمؤلفات المساعدة على التدبر: (وَيَدْخُلُ فِيهَا: وسائل التدبر ومسائله، ومناهجه، وتشمل: الكتب الورقية، والرقمية، والبرامج الإلكترونية)، وهي كثيرة ومستمرّة تجلّدها، ولها أهمية بالغة؛ وذلك لما فيها من مساعدة المعنيين بتدبر الكتاب العزيز، الذي لا تَنفَدُ دقائقه وعجائبه.



وكثيرةٌ هي الكتب، التي تناولت التدبير ضُمناً، لا حديثاً عن التدبير مستقلاً، ومن أهمّها وأوسعها كُتب التفسير، وعِلْم التفسير.

وتفاوتت كتب التفسير في عنايتها بالتدبير، بصفةٍ أساسية، أو بصفةٍ مُرافقةٍ لتفسير الآيات بصفةٍ عامّة.

على أنّ هناك جهوداً مباركة، بُذلت، وتُبذل، في الجمع بين المصحف الشريف ومختَصرات تفسيره في حواشيه، أو مرفقةً به، ورقياً، أو رقمياً، وهذا مما يُعين المتدبر للكتاب العزيز على فهمه وتدبره^(١).

(١) وقد خُصِّصَتْ عناوين في هذا المجال في الفصل الثامن من هذا الكتاب، وفيها قوائمٌ مفيدة لبعض هذه الأعمال: الورقية والرقمية، والبرامج والتطبيقات، ينبغي الاستفادة منها.

الفصل الثالث

القرآن الكريم والحديث النبوي هما مَصْدَرُ مَصادِرِ التَّدْبِيرِ وَأَوَّلُهَا وَأَوَّلَاهَا

ونتناول هذا في مطلبين:

المطلب الأول: القرآن الكريم هو مَصْدَرُ المَصادرِ الأَوَّلُ للتدبّر. وفيه وقفات:

- الوقفة الأولى: توضيحُ فكرة كون القرآن أضلاً ومَصْدَرًا لمَصادرِ التدبّر.
- الوقفة الثانية: منهجيةُ اتِّخَاذِ القرآنِ مَصْدَرًا للتدبّر (كلامٌ عن طريقة استقرائه).
- الوقفة الثالثة: مفاتيحُ البحثِ في القرآن عن التدبّر بحسب المعنى، لا بحسب اللفظ فقط.

المطلب الثاني: الحديث النبويّ هو مَصْدَرُ المَصادرِ الثاني لتدبّر القرآن -عدّاً لا رُتبةً-. وفيه:

- أولاً: التسليم باتِّخَاذِ الحديثِ مَصْدَرًا لمَصادرِ التدبّر.
- ثانياً: أسسُ لاتِّخَاذِ الحديثِ أضلاً ومَصْدَرًا لمَصادرِ التدبّر.
- ثالثاً: مفاتيحُ البحثِ في الحديث النبوي عن موضوع «تدبّر القرآن»، مثلاً، بحسب المعنى، لا اللفظ فقط.



المطلب الأول

القرآن الكريم هو مَصْدَرُ المَصَادِرِ الأوَّلُ للتدبير

وتوضيح هذا في الوقفات الآتية:

الوقفَةُ الأولى: توضيحُ فكرة كون القرآن أصلاً ومَصْدَرًا لمصادر التدبير:

ينبغي الإشارة، هنا في حديثنا عن مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته، إلى أنَّ مَصْدَرِ مَصَادِرِ تدبر القرآن، وأهم مصادره، وأهم مراجعته، هو وَحْيُ الله: القرآن نفسه، وحديث رسول الله ﷺ؛ لكونهما وَحْيُ الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ولما فيهما من طرائق وأساليب في الكلام تهدي إلى معاني القرآن، ومناهجه، وأحكامه وحكمه، ودلائله، ودقائقه في التعبير والأساليب وفي طرائقه في الاستدلال وفي الإثبات والنفي.

لا يُدْرِك هذا إلا مَنْ كانت لديه الأهلية الكافية في اللغة العربية، وفي منهج التعامل مع كتاب الله، وفي منهج التعامل مع الأحاديث النبوية الشريفة.

وَحُذُّ أَمْثَلَةٍ لِهَذَا:

١- إنَّ لحصرِ مواضع ورود اللفظ أو الجملة، أو الأساليب في القرآن دلالاتٍ وهداياتٍ لا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ بِهَا؛ وذلك لِمَا فِي الاستقراء من دلالاتٍ



ينبغي أن لا تغيب عن بالٍ مَنْ يَبْحَثُ عن هداياتِ القرآن الكريم، وهدايات الحديث الشريف كذلك!

٢- إنَّ لتأمُّلِ الألفاظِ والأساليبِ في القرآن الكريم في التعبير عن المعاني والأشياء، وتأمُّلِ الفوارق بينها في مختلف مواضعها في الكتاب العزيز، وتأمُّلِ دلالاتِ كلِّ منها، هداياتٍ لا يعقلها إلا العالمون بها! ومَنْ ذاق عَرَفَ، ومَنْ عَرَفَ اعترف!

٣- إنَّ لمعرفة أساليبِ القرآن في ذُكْرِ المعاني والأشياء، وتأمُّلِ نهجه في (أساليب الربط بينها) و(أساليب الترتيب في ذُكْرِها) و(أساليب العطف بينها) و(ألفاظ التعبير عنها)... دلالاتٍ وهداياتٍ تُبْهِجُ القلوب، وتُبْهِرُ العقول!

وكم هَدَانَا القرآن إلى هداياتِ القرآن نفسه، وإلى فوائده، ودقائقه مِنْ خلال دلالةِ أساليبه ودلالةِ مفرداته!

وكم تَحَدَّثَ القرآن عن القرآن!

وهكذا دواليك... إنَّ هذا بابٌ عَجِيبٌ، لا تَنْفُذُ عَجَائِبُهُ وفوائده وهداياته...

لكنّ، المهم هو إصابةُ المنهج السديد في طريقة البحث، وطريقة النظر في القرآن والحديث، وطريقة استقراءهما. وهذا ما سيَتَّضِحُ في الأسطر الآتية، أو في مجموع كلامنا عن الموضوع كله، إن شاء الله تعالى.

الوقف الثاني: منهجية أخذ القرآن مصدراً للتدبر (كلامٌ عن طريقة استقراءه لاستيعاب حكمه وأحكامه):

ليس كلُّ مَنْ رَجَعَ إلى القرآن والحديث النبوي يَهْتَدِي للنتائج المفترضة في استقراء الألفاظ، والمعاني، والهدايات، والأحكام منها؛ وذلك لأمرٍ منهجيٍّ أساسيٍّ، هو ارتباطُ هذا بمدى استقامةِ منهجِ هذا الاستقراء، ومنهجِ البحث والنظر فيه؛ هل هو منهجٌ صائبٌ أو لا؟

الفصل الثالث: القرآن والحديث مَصْدَرُ مَصَادِرِ التَّدْبِيرِ

مثاله:

نَضْرِبُ مثالاً كبيراً؛ يَظْهَرُ به أهميةُ تحديدِ المنهج في استقراءِ الهداياتِ والأحكامِ مِنَ الكتابِ والسنة، ألا وهو مسألةُ الأخذِ بالظاهريةِ في البحثِ؛ اعتماداً على الألفاظِ؛ أو البحثِ اعتماداً على مراعاةِ المعنى، فإنَّ الفرقَ بينهما في نتائجِ البحثِ لا تُقَارَنُ، فالخلافُ بينهما كبير، إنَّ في الكثرةِ، وإنَّ في الاستيعابِ وعدمه، وإنَّ في الشموليةِ وعدمِها!

وَمِنَ الأمثلةِ التطبيقيةِ على ذلك:

لو طلبنا منك حَضَرَ الآياتِ الواردةِ في القرآنِ في موضوعِ تدبرِ القرآنِ؛ فإنَّك لو اقتصرْتَ في بحثك في الكتابِ العزيزِ على النظرةِ الحرفيةِ، فبحثتَ عن مادةِ «تدبر» ومشتقاتها فقط؛ فستأتي بنتيجةٍ ناقصةٍ جداً؛ لأنَّك سيفوتُك؛ حيثُ، كلُّ ما وردَ في القرآنِ مِنْ معنىٍ في تدبرِ القرآنِ بغيرِ لفظةِ «تدبر» ومشتقاتها.

وهذا المثالُ بإمكانك أنْ تُطَبِّقَهُ بنفسك، فترى نتائجَه؛ فترى الفرقَ بين نتائجِ هذه الطريقةِ ونتائجِ تلكِ الطريقةِ.

الوقفَةُ الثالثة: مفاتيحُ البحثِ في القرآنِ عن التدبرِ بحسبِ المعنى، لا بحسبِ اللفظِ فقط:

سأشيرُ هنا إلى بعضِ الألفاظِ في موضوعِ التدبرِ، التي هي مِنْ هذا النوعِ (أي: بحسبِ المعنى، لا بحسبِ اللفظِ)، وهو أمرٌ قد يُغفلُ عنه في تدبرِ المتدبرين.

وإليك بعضَ هذهِ النقاطِ، التي هي مفاتيحُ الوصولِ لمعاني القرآنِ المتعلقةِ بتدبره، الواردةِ في موضوعِ التدبرِ بحسبِ المعنى، مما ليس فيه تصريحٌ بلفظِ «تدبر» أو شيءٍ مِنْ مشتقاته، وذلك في نقاطٍ ثلاث:



النقطة الأولى: التنبيه للسرّ الذي يُوصِل الباحث إلى بغِيته هذه التي يَبْحَث عنها في القرآن:

وهو أنْ تُعْلَم أنْ هناك مفاتيحَ لما تَبْحَث عنه في القرآن، سواءً كُنْتَ تَبْحَث عنه بحسَب اللفظ، أو بحسَب المعنى؛ فيتعين عليك السعي إلى تصوّر هذه المفاتيح بصورة صحيحة، وبصورة مستوعبة لموضوعات موضوعك، الذي تَبْحَث عن الآيات فيه وعن الأحاديث فيه؛ فإذا حصل لك هذا؛ فقد أتيت الأمر من بابه، واستقصيت الوارد في موضوعك في القرآن، أو كِدْتَ. وإنه ما فات ما فات بعض الباحثين في هذا الباب إلا بسبب غفلتهم، أو إخلالهم بهذا النهج الأساس؛ وذلك لأنّ من اللازم - للبحث الاستقرائي - أن يستند إلى تحديد مداخل الموضوع، تحديداً صحيحاً حاصراً.

النقطة الثانية: بيان مفاتيح البحث في القرآن:

فما المفاتيح؛ إذن، الموصلة إلى تحديد الوارد في القرآن عن التدبر - على سبيل المثال - بحسَب المعنى، لا اللفظ؟ الجواب: هذه المفاتيح كثيرة، لا ندعي حصرها هنا، لكن، نؤكد أهميّة الحرّص على حصرها والتمرّس على تحديدها، بصورة أقرب للحصر والشمول. ولعل هذا يتأكد لك من خلال تطبيق هذا النهج في الأسطر الآتية:

فمن مظانّ مواضع تدبر القرآن، الواردة فيه - بحسَب هذا المؤشّر - المداخل الآتية:

١ - مدخل مواضع الكلام عن الجوارح، أو المنافذ الحسيّة، التي هي أدوات للفهم، والعقل: كالسمع، والبصر، أو الأبصار، والقلب، أو القلوب، ونحو هذا، فلو بحثت عن ذلك بهذه الألفاظ؛ فسترى من النتائج المتعلقة بتدبر القرآن ما يسرُّك.

الفصل الثالث: القرآن والحديث مَصْدَرُ مَصَادِرِ التدبر

٢- مَدْخُلُ مواضع الكلام عن المعاني المحصَّلة عادةً بتلك المنافذ والجوارح، أو نتائج تحصيلها بها: كالفهم، والفقه، والتعقُّل، والاعتبار، والاستبصار، والاهتداء،... إلى آخره، ونحو هذا، فلو بحثت عن ذلك بهذه الألفاظ؛ فستري، أيضاً، مِنْ النتائج المتعلقة بتدبر القرآن ما يَسْرُكُ.

وَمَنْ يتأمل القرآن ويتدبره؛ يَجِدُ تركيزاً كبيراً فيه على كلِّ من تلك الجوارح، التي جعلها الخالق سبحانه أدواتٍ للفهم، والتدبر، والاهتداء، والاعتبار.. إلخ، وَيَجِدُ تركيزاً فيه كبيراً، كذلك، على نتائج إعمال تلك الجوارح، واستثمارها بصورةٍ سوِيَّةٍ صحيحة؛ حتى لربما خُيِّلَ للمتدبر للكتاب العزيز أنَّ هذين الأمرين كأنما أنزل القرآن لأجل الدعوة إلى استثمارهما فيما يتعلّق بحق الله تعالى، وفيما يتعلّق بحق النفس، وفيما يتعلّق بحق المخلوقين، بل والمخلوقات كلها!

٣- مَدْخُلُ مواضع الكلام عن كلِّ ما له علاقةٌ بالكتاب العزيز، أو ارتباطٌ به، أو ارتباطٌ بتلاوته، أو اتِّباعه، والعمل به، ونحو هذا، فلو بحثت عن ذلك بهذه الألفاظ؛ فستري، أيضاً، مِنْ النتائج المتعلقة بتدبر القرآن ما يَسْرُكُ...

٤- مَدْخُلُ الأسماء المراد بها القرآن، مثل: الكتاب، كتاب الله، كلام الله، ما أنزل الله،.. إلخ، ونحو هذا، فلو بحثت عن ذلك بهذه الألفاظ؛ فستري، أيضاً، مِنْ النتائج المتعلقة بتدبر القرآن ما يَسْرُكُ.

٥- مَدْخُلُ أدواتِ إعمال العقل، مثل: تعقلون، ونحوها، وتذكرون، ونحوها،.. إلخ. فمثلاً: لفظة (تعقلون) وردت في القرآن نحو ٢٤ مرةً، ولفظة (يعقلون) وردت نحو ٢٢ مرّةً، ولفظة (اذكروا) وردت نحو ٤٧ مرّةً، ولفظة (يتذكرون) وردت ٧ مرات، ولفظة (تذكرون، يتذكرون) وردت نحو ٢٩ مرةً، ولفظة (مُذَكِّر) وردت نحو ٦ مرات، وكلها بلفظٍ مرتبطٍ بالقرآن نصّاً -إلا موضعاً واحداً- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]



كل هذا يَهْدِيكَ إلى أهمية التذكر والادِّكار، وأهمية العقل والتعقُّل في كتاب الله، وفي فهم كتاب الله، وفي تدبر كتاب الله! ومثُلُ هذا مادة (فقه) وما وردَ تحتها من آيات في تدبر القرآن.

٦- ومن منافذ التدبر للكتاب العزيز وتفسيره، مَدْخُلُ ملاحظة الأسماء الموصولة في القرآن الكريم؛ لحضُر ما يُناسب البحث عن أساليب القرآن الدالة -غالباً، أو دائماً- على مفاتيحٍ للتعامل مع موضوع تدبر القرآن وتفسيره؛ فقد ظهر لي، بالتأمل والتدبر، مظنةُ كون الأسماء الموصولة في القرآن مستعملةً في تفسير لفظةٍ سبقته، أي: سَبَقَت الاسم الموصول.

فكثيراً ما تأتي لفظةٌ في القرآن الكريم، قد تكون غيرَ معروفٍ معناها، أو مصطلحٌ يحتاج تعريفاً، فيأتي تفسير ذلك في القرآن بعدها، وكثيراً ما يكون علامة تفسيره أن يأتي بعد تلك اللفظة اسمٌ موصولٌ، كالذي، أو الذين، ونحو ذلك.

ومن أمثلة هذا:

١- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾، [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، تفسيرُ لقوله: ﴿الْعَامِلِينَ﴾.

٢- ومثُلُ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾، [الماعون: ٤-٧].

فأولُ هذه الآيات: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ فسَرَّتْهَا الآيات التي بعدها، وقد بدأت بـ ﴿الَّذِينَ﴾.

الفصل الثالث: القرآن والحديث مَصْدَرُ مَصَادِرِ التَّدْبِيرِ

٣- ومثلُ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوءَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾، [النحل: ٤١-٤٢].

فقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾، تفسيرها في الآية بعدها، وقد بدأت بالاسم الموصول: ﴿وَالَّذِينَ...﴾.

والأمثلة على هذا النهج في القرآن الكريم كثيرة جداً، وجديرٌ هذا أن يُكتب فيه كتاب، بشرط أن يكون على منهجٍ سديد في تطبيق هذا النهج، وأتوقع أنه سيكون كتاباً كبيراً حافلاً، وسيكون مؤسساً لخطوةٍ مهمةٍ بعده؛ لاستيعاب (المفسر من القرآن بالقرآن)، واستيعاب استعمالات الأسماء الموصولة في الدلالة على مواضع (المفسر من القرآن بالقرآن)، ولا يخفى عليك أيها القارئ الكريم أهمية هذا النوع من التفسير ونفاسته!

وذلك أن مما يُمَيِّز هذا التفسير (أعني: المفسر من القرآن بالقرآن)، أنه تفسيرٌ من الله سبحانه وتعالى، فليس هو من قبيل اجتهاد المجتهدين، لكن، المهمُّ في تحديده وحضره دقة الفهم عن الله.

وهذا النوع من أبواب الدلالة على معاني القرآن وتفسيره، مختلفٌ عن عموم (تفسير القرآن بالقرآن)؛ إذ هذا تفسير للقرآن بالقرآن، اجتهاداً من المفسر. بخلاف التفسير الذي نتحدث عنه؛ إذ هو ليس اجتهادياً، بل نصِّي، مُصَدِّرُهُ اللهُ جَلَّ جلاله! فهل تخيلت المعنى أيها القارئ الكريم! وهل أدركت بهذا سمو هذا النوع من التفسير!

وهنا أُشيرُ إلى أنه ليس معنى (تفسير القرآن بالقرآن) أنه تفسيرٌ معصومٌ من الخطأ -على ما قد يُظن- فليس معنى تفسير الآية، مثلاً، بآيةٍ أخرى، أن المفسر هنا لا يُخطئ. بل نقول: إنه قد يُخطئ في اجتهاده في تنزيل هذه الآية على معنى تلك الآية. وهذا ملحظٌ مهمٌّ التنبيه له.



وهذا الحصر لـ (لمفسّر من القرآن بالقرآن)، سيكون مهماً في إنجاز المشروع الكبير في مجال التحديد لما ورد مفسراً من القرآن في القرآن، لكنه بهذا القيد يُمثّل جزءاً من مشروع (تفسير القرآن بالقرآن) بعموم دلالة هذا الموضوع. وهذا النهج وسيلة مساعدة للتدبر والمفسّر لكتاب الله لأداء مهمّته. ولعل القارئ يلاحظ أهمية الانتباه لهذا الأسلوب القرآني، الذي هداني الله للانتباه له، وأهمية هذا، كذلك، لمنهج تدبر كتاب الله وتفسيره! ولا يُبعد أن يكون قد سبق جهدٌ، أو كتابةٌ عن هذا الأسلوب القرآني لفاضلٍ لم أقف عليه^(١).

ومنافذ التدبر هذه هي أهمُّ الأبواب والمنافذ لتدبر القرآن، ولن نُحصي، لكن، نستطيع أن نعيش الحياة كلّها مع القرآن الكريم، ونستطيع أن نُعمل عقلنا كلّ في تدبّر القرآن كلّ على مدى حياتنا كلّها، وفي ذلك حياتنا الحقيقية!

بل إنّ في القرآن مواضع تتحدث عن القرآن في حين أنه لم يُذكر فيها لفظ (القرآن)؛ فمن ينتهج الظاهرية أو الحرفية؛ فلن يتنبه لها، ولن يظفر بها. ومن ذلك، مثلاً، أنه ورد في القرآن عبارة ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أو ﴿أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ نحو ١٧ مرّةً، وأغلبها مقصودٌ به القرآن؛ فأنتى يتنبه لهذا من لا يطبّق هذا النهج الذي أوضحته!

(١) استمعتُ لمقطع فيديو يتحدث فيه الدكتور أبو زيد الإدريسي، بعنوان: «الاسم الموصول أداة لتخليد القرآن، ودليل على أنه من عند الله»، قد أجاد فيه وأفاد، فقد كان الكلام رائِعاً ومهمّاً. لكن موضوعه غير موضوعنا، فهو يتحدث عن السّر في إشار القرآن التعبير بالاسم الموصول في غالب استعماله، بدلاً من التعبير بأسماء الأشخاص، الذين سيموتون حتماً، وبموتهم قد يموت الكلام عن الموضوع، إضافةً إلى أن ربط الأحكام والمعاني بالأشخاص قد يُصيّرها قضايا شخصية؛ فيكون الكلام حينئذ متعارضاً مع العموم والإطلاق، الذي جاء به القرآن في بيان معانيه وأحكامه وهداياته! فسبحان الله الخالق المبدع كتابه كما أبدع خلقه!

الفصل الثالث: القرآن والحديث مَصْدَرُ مَصَادِرِ التَّدْبِيرِ

ولهذا فلن تستطيع أن تُحصي نتائج البحث في القرآن والحديث الشريف عن طريق هذه المنافذ، لكن تقف على نتائج واسعة، تهديك إلى حقيقة الأمر، أو تهدي إليك حقائق مهمة في هذا الباب!

إنني بتطبيق هذا الكلام أو هذا النهج في الواقع؛ أغرق في عجائب كتاب الله وهداياته، وفي أسباب الوقوف على هداياته، وأسباب تدبره، ووسائل تدبره؛ فيا لله ما أروع هذا! وما أجمله! وما أسعد مَنْ ظفر به! الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله!

النقطة الثالثة: أمثلة لبعض الآيات الشاهدة بنتائج التطبيق لهذا النهج:

وأعني بهذا النهج: طريقة التحديد الصحيحة لمطابق مواضع الكلام عن التدبر في القرآن، بحيث يشمل البحث المواضع التي لم يذكر فيها كلمة «تدبر» ومشتقاتها. تلك هي المنافذ والطرق الموضحة في النقطة السابقة.

أما في هذه الفقرة فأورد أمثلة لبعض الآيات، الشاهدة بتطبيق تلك المنافذ، والشاهدة بنتائج تطبيقها في القرآن.

فمن أمثلة ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُذَّابًا لَا يُؤْمِنُوا بِهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾، [الأنعام: ٢٥].

ففي هذه الآية، يتحدث الله سبحانه عن معنى هو في صميم التدبر، بالرغم من أنه ليس في الكلام لفظة «تدبر» أو شيء من مشتقاتها اللفظية؛ إذ هو كلام عن الأكِنَّة التي يجعلها الله على قلوب بعض الكافرين؛ فلا يفقهون الكلام، أو لا يفقهون كلام الله مع أنهم يستمعون إليه؛ لأنَّ سَمَاعَهُمْ له ليس هو سماع إيمان وخضوع؛



بدليل أن الكلام إنما هو بشأنهم؛ وبدليل مجموع ما نصّت عليه الآية من صفات وأسباب فيهم، وأنهم يستمعون إليه ثم يقولون بأنه من أساطير الأولين وقصصهم ودعواهم -على حدّ زعم هؤلاء المستمعين له الكافرين به-!

وهذا يدلّنا على أهمية أن يكون استماع آيات الله استماع إيمان وخضوع واتباع؛ وإلا فيستوي هذا الاستماع وعدمه!

والكلام في هذا الموضوع يطول ويتشعب، والمشاعر تتأجج!

٢- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ أَزْوَاجَهُمْ يُفْهَمُونَ ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾، [الإسراء: ٤٦-٤٨].

وهذه الآيات كالأية في المثال السابق، تتحدّث عن الموضوع نفسه من موضوعات التدبر، على الرغم من عدم ذكر لفظة «التدبر» فيها أو شيء من مشتقات ألفاظها، لكنها في صميم موضوع التدبر، وتشتمل على تفصيل آخر من تفاصيل موضوع الكلام، وتذكر صفات وأحوال هؤلاء المستمعين لكلام الله وهم بمنأى عنه، بل هم رافضون له؛ فرفضهم الله، فحال بينهم وبين شرف سماع كلامه سبحانه، وشرف السعادة به؛ لعدم خضوعهم له، ولم يظلمهم الله شيئاً، وإنما ابتعدوا هم عنه؛ فأبعدهم الله عنه، وخطّطوا تلك الخطط لمحاربة كلام الله، التي أشار الله إليها في هذه الآيات؛ فالجزاء من جنس العمل!

ولك أن تمضي على هذا النحو في تدبر الآيات وتأملها، واستشعار المعاني وأهميتها وآثارها ونتائجها!

وهكذا ينبغي أن يكون النهج في تدبر وحي الله تعالى، استقراء وفقها!

الفصل الثالث: القرآن والحديث مَصْدَرُ مَصَادِرِ التَّدْبِيرِ

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۖ﴾ [الكهف: ٥٧].

وهذه الآية، كذلك، تتحدث عن الموضوع نفسه في الأمثلة السابقة، وفي بعض تفاصيله، وبعض الإيضاحات الإلهية فيه.

ومما فيها:

- وَصِفُ هَؤُلَاءِ بِالظُّلْمِ، بل وصفهم بالأَظْلَمِ، الذين لا يَهْتَدُونَ بالقرآن؛ فلا يَهْتَدُونَ إلى هداياته.

- وبيانُ أنَّ السبب هو إعراضهم عن آياتِ ربهم، ونسيانهم ما قَدَّمَتْ أيديهم مِنَ المعاصي. وأنَّ الله قد جعل -بسبب ذلك- على قلوبهم أَكِنَّةً، وجعل في آذانهم وَقْرًا. - وأخبر، سبحانه، أنهم إذا دُعُوا إلى الهدى فلن يَهْتَدُوا إِذًا، أبداً، وهم بهذه الحالِ مِنَ الإعراض، وعدم التعرُّض لهداية الله ومعاني كلامه!

فيا لها من حالٍ مِنَ السوءِ وسوءِ العاقبة!

لقد كان بإمكانهم النجاة من ذلك، لو أنهم سَلَكَوا الطريقَ إليه، ولم يَتَنَكَّبُوا طريقَهُ! اللهم اهدنا فيمن هديت، وأنزِلْ قلوبنا وذرِّبنا بنورك ونورِ حديثِ خاتمِ رُسلك محمدٍ ﷺ.

٤- قوله تعالى: ﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ۚ﴾ [الكهف: ١٠٠-١٠١].

وهاتان الآيتان تتحدثان عن موضوع تدبير القرآن الكريم -ولم يَرِدْ فيهما لفظةُ التدبير، أو أيٌّ مِنَ مشتقات ألفاظه- وأنَّ الله يَعْرضُ عليهم يوم القيامة جهنمَ عَرَضًا، وفي الآيتين بيانُ السبب، وأنه يَعْرضُ عليهم جهنمَ عَرَضًا؛ لإعراضهم في الحياة



الدنيا عن ذكر الله، وهو وحي الله، وأعظمه: القرآن الكريم، والحديث الشريف؛ فقد كان على أعينهم غطاءً، وكانت آذانهم، أو آذان قلوبهم، في حال تحوّل بينهم وبين قبول ذكر الله؛ فلهذا ما كانوا يطيقون سماع ذكر الله!

وهذه عاقبة المعرضين عن ذكر الله، المعارضين له، المقتخرين بذلك في الحياة الدنيا، إنها عاقبة كأنك تراها رأي العين؛ لأن هذا الخبر هو خبر الله، فيوم القيامة يكونون في حال الذل والخزي والعار والنار؛ لقاء تلك الحال من الإعراض، والاستكبار على الله وكتابه، والاستكبار على رُسُلِهِ وعباده المؤمنين!

وهكذا، فالآيات كثيرة في هذا الباب، التي تتحدّث عن التدبر، دون أن يرد فيها لفظة من مشتقات «التدبر»؛ الأمر الذي قد يغفل عنه الغافلون؛ فلا يدخل ذلك في حُسابانهم، حينما يدرسون القرآن، ويتدبرونه، أو يدرسون ما ورد في القرآن عن التدبر.

ولعلك أيها القارئ الكريم تُدرك بهذا أهمية مراعاة هذا النهج السديد، اللازم مراعاته في تدبرك لكتاب ربك سبحانه، تدبراً تنال به شرف التدبر الأمثل، وتُدرك به الهداية الأكمل، فتظفر بالوقوف على العلوم والهدايات في القرآن الكريم من جميع مظانّها ومختلف أبوابها!

المطلب الثاني

الحديثُ النبويُّ هو مصدرُ المصادرِ الثاني للتدبر - عَدًّا لَا رُتْبَةً -

تمهيد:

نَعَمْ، الحديثُ النبويُّ الشريف هو ثاني مَصْدَرٍ لمصادرِ تدبرِ القرآن الكريم، ونقول (الثاني) «عَدًّا، لَا رُتْبَةً»؛ لأنَّ المنهج الصحيح هو التعامل مع القرآن والحديث معاً في آنٍ واحدٍ، دون تفريقٍ بينهما؛ وذلك لأن الحديث هو الشَّقُّ الثاني مِن مَصْدَرِ مصادرِ تدبرِ القرآن الكريم ومراجِعِهِ (وحي الله)؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم والحديث الشريف هُما وحي الله، أعني: أَنَّ كِلَا مِنْهُمَا وحيٌ إلهيٌّ مِن الله جل جلاله، وهذا بالرغم مِن غَفْلَةٍ بعض الناس عن هذه الحقيقة، فلم يَتَّبِعُوا إلى أَنَّ الحديث النبويَّ وحيٌّ مِن الله كالقرآن.

وبهذه الحقيقة يتأكَّد كَوْنُ الحديث الشريف هو المَصْدَرُ، أو الشَّقُّ، الثاني مِن مَصْدَرِ مصادرِ التدبر.

وكم اشتملت الأحاديث النبوية على إيضاحاتٍ ولمحاتٍ وتصريحاتٍ بشأن دلالات القرآن الكريم، ومعانيه وتدبره! أي: سواءً كان ذلك تصريحاً أو إشارة!





وطالب تدبر القرآن، ومُتطلَّب فهمه، لن يتم له سداد المنهج كما ينبغي؛ ما لم يُعَنَّ بالحديث النبوي الشريف، وبمحاولة الوقوف على ما ورد في الأحاديث من توجيه لفقه كتاب الله، وتفسير معاني ألفاظه، وأساليبه، وأحكامه، وحكمه.

وإن مما يتعيَّن على طالب تدبر القرآن، والمهتم بمعرفة مصادر تدبره، استحضار هذه الحقيقة، وهي أنَّ حديث رسول الله ﷺ هو المصدر الثاني -عداً، لا رتبة- من المصدر الأساس لمختلف مصادر تدبر القرآن ومراجعته، التي ألفها المؤلفون؛ وذلك لأن مؤلفاتهم في تدبر القرآن، إنما تؤخذ في ضوء وحي الله: كتاباً وسنة.

تقرير كون الحديث النبوي مصدراً لمصادر التدبر:

أولاً: التسليم باتخاذ الحديث مصدراً لمصادر التدبر:

ينبغي التسليم بأن الحديث الشريف أصل ومصدر لمصادر التدبر، التي ألفها المؤلفون؛ وذلك تبعاً لكون القرآن أصلاً ومصدراً لمصادر التدبر، التي ألفها المؤلفون؛ فكل من القرآن والحديث وحي إلهي، والوحي الإلهي هو أساس هذا الدين ومصدره. وهذا أمر واضح، لا يحتاج إلى إطالة؛ لإثبات أنَّ الحديث كالقرآن في مصدرية الوحي.

ولذلك يتقرر هنا، بالنسبة للحديث الشريف، ما تقرّر في موضوع كون القرآن مصدر المصادر المؤلفة في التدبر.

فينبغي أن يتنبه طالب تدبر القرآن، الحريص على الوقوف على مصادر تدبره، أن يتخذ الحديث الشريف مصدراً أساساً لمصادر التدبر التي ألفها المؤلفون؛ فيحكمه فيها -مع القرآن الكريم- وأن يلم بطرق البحث فيه عن مجالات تدبر القرآن ومصادر تدبره باختلاف أنواعها.

الفصل الثالث: القرآن والحديث مَصْدَرُ مَصَادِرِ التَّدْبِيرِ

فَمِنْ مَصَادِرِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ: الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ مِنْ مَادَّةِ التَّدْبِيرِ، وَأَنْ يَعْرِفَ، طَالِبُ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ مَفَاتِيحَ عِلْمِ التَّدْبِيرِ؛ لِلْوُقُوفِ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْ مَادَّةِ عِلْمِ التَّدْبِيرِ فِي مَخْتَلَفِ مَصَادِرِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ.

وَالْمَادَّةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِعِلْمِ التَّدْبِيرِ مُتَوَافِرَةٌ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، كَمَا هِيَ مُتَوَافِرَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَكِنْ -كَمَا رَأَيْنَا فِيْمَا مَضَى فِي الْكَلَامِ عَنِ الْقُرْآنِ- لَنْ يَظْفَرَ بِهَذِهِ الْمَادَّةِ الْكَثِيرَةُ الْمَهْمَةُ الْحَاسِمَةُ مَنْ لَيْسَ لَهُ الْإِمَامُ بِالْحَدِيثِ وَبَعْلُومِهِ، وَبَطَرَائِقِ التَّعَامُلِ مَعَهُ، وَطَرَائِقِ الْبَحْثِ فِيهِ، وَالْإِلِمَامُ بِمَنْهَجِ تَحْدِيدِ مَدَاخِلِ الْمَوْضُوعِ فِيهِ بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ مُسْتَوْعِبَةٍ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ -مَنْهَجِيًّا- تَطْبِيقُ مَدَاخِلِ الْمَوْضُوعِ السَّابِقِ بَيَانُهَا هُنَاكَ فِي كَلَامِنَا عَنِ الْقُرْآنِ، فَتُطَبَّقُ هُنَا أَيْضًا فِي الْحَدِيثِ؛ لِتَحْدِيدِ هَذِهِ الْمَدَاخِلِ فِيهِ.

وَسَبَقَ أَنْ كَتَبْتُ كِتَابًا، لَمْ أَشْرِهِ، فِي تَقْرِيرِ أَنْ «السَّيِّئَةُ النَّبَوِيَّةُ وَحْيٌ إِلَهِيٌّ كَالْقُرْآنِ»، وَهَذَا سَبَبٌ آخَرٌ مُوجِبٌ لِعَدِّ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَصْدَرًا أَسَاسًا لِلْمَصَادِرِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي التَّدْبِيرِ، كَالْقُرْآنِ.

ثَانِيًا: أُسُسُ لَاتَّخَاذِ الْحَدِيثِ أَصْلًا وَمَصْدَرًا لِمَصَادِرِ التَّدْبِيرِ:

وَتَتَضَحُّ هَذِهِ الْأُسُسُ فِي الْعُنَاوَةِ الْآتِيَةِ:

الأول: يَنْبَغِي مِرَاعَاةُ عُمُومِ الْمَنْهَجِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ فِي مَوْضُوعِ اتِّخَاذِ الْقُرْآنِ أَصْلًا لِمَصَادِرِ التَّدْبِيرِ، فَرَاغُهُ، تَكْرَمًا. وَمِنْ ذَلِكَ:

١- مِرَاعَاةُ كُلِّ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِي تَحْدِيدِ مَوْضُوعِ الْبَحْثِ، لَا الْاِقْتِصَارَ عَلَى أَحَدِهِمَا فَقَطْ؛ وَذَلِكَ لِتَحَقُّقِ لَنَا الشُّمُولِيَّةِ فِي الْبَحْثِ، وَالِاسْتِقْرَاءِ التَّامِ، أَوْ الْقَرِيبِ مِنْهُ.



٢- تطبيق مظانّ مواضع التدبر في الحديث، أيضاً، على نحو ما مضى من مظانّها في القرآن، ومراعاة مفاتيح البحث تلك هنا، على نحو ما مضى من ذلك في الكلام عن القرآن الكريم.

٣- تطبيق الطرق الصحيحة لاستقراء الموضوع -موضوع التدبر، أو أيّ موضوع- ومادته الواردة في مصادر الحديث، ومن ذلك تحديد المادة الواردة في كتب الحديث بمختلف الطرق والأساليب، ومنها: مراعاة الضمائر العائدة في الكلام على موضوع التدبر، أو على أيّ موضوع نبحت عنه في كتب الحديث.

٤- الإلمام بما ورد في القرآن الكريم بشأن الحديث النبوي الشريف في شتّى مجالاته، مثل: حجّيته، تحكيمه، أهميته، عدم التفريق بين وحي القرآن ووحى السنّة، وفقّهه، وشروحه، وما إلى ذلك...

الثاني: ينبغي لطالب علم التدبر، العناية بالحديث الشريف، نظرياً وتطبيقياً، العناية الكافية لمساعدته على الوصول إلى مادة التدبر في الحديث النبوي، وإلى منهج الإفادة منها، ومن ذلك:

١- الإلمام الكافي بمعرفة مصادر الحديث الشريف ومناهجها، وطرق ترتيبها، وطرق البحث فيها.

٢- الإلمام الكافي بالمتطلبات المنهجية اللازمة للعمل بالحديث، ومنها: منهجية الثبوت من صحة الحديث، والتفريق بين ما يثبت من الروايات وغير الثابت، والإلمام بمنهج التصحيح والتضعيف، ومنها، كذلك، منهجية فقّه الحديث والاستنباط منه.

٣- الإلمام الكافي بطرق تخريج الحديث، وبالمؤلفات والوسائل اللازمة في هذا الباب.

إلى آخر ما يحتاج طالب التدبر العناية به في هذا الباب.

الفصل الثالث: القرآن والحديث مَصْدَرُ مَصَادِرِ التَدَبُّرِ

ثالثاً: مفاتيح البحث في الحديث النبوي عن موضوع «تدبر القرآن»،
مثلاً، بحسب المعنى، لا اللفظ فقط:

ومِمَّا يَنْبَغِي للمتدبر والدارس لعلم التدبر العناية به، كذلك: معرفة مداخل موضوع تدبر الكتاب العزيز في مصادر الأحاديث؛ لِيَقِفَ عليها بسهولة، وهذا بابٌ واسع، يَحْتَاج وقتاً وجهداً؛ لاستيعابه. (وربما احتاج الراغب في تحقيق هذا الهدف إلى الوقوف على كتاب: «استخراج الآيات والأحاديث في البحوث العلمية: طُرُقُهُ وسائله، عن طريق الكتب - عن طريق الحاسوب»^(١)، والوقوف على ما جاء فيه من بيانٍ لمداخل الموضوع، أي موضوع كان، وأمثلتها التطبيقية فيه، وأهميته مراعاة كلٍّ من اللفظ والمعنى في البحث عن مادة هذا الموضوع... إلخ)!

ومصادر الحديث والمؤلفات حوله تُساعد طالب هذا العلم على تحقيق هذا الهدف، بمختلف طرائق ترتيبها وطرائق تصنيفها، ومختلف فهارسها.

فعليه أن يَحِثَّ عن هذه المجالات، وأن يأتيها من أبوابها، ولا مجال للدخول الآن في هذه المجالات وتفصيلها؛ لأننا لا نُدرِّس هنا تخصص الحديث الشريف، ولا نكتب كتاباً متخصصاً فيه، لكن، نُشيرُ إلى ما لا بد منه من ذلك، فليستَرشد طالبُ التدبر بما ذكرته سابقاً من ذلك فيما يتعلق بالقرآن.

وكذلك الحال في هذا بالنسبة للمؤلفات في الحديث الشريف باختلاف أنواعها وأغراضها، لا أَدخُلُ هنا في بيان تفاصيلها - على أهمية ذلك - للسبب نفسه، الذي ذكرته آنفاً.

وأكتفي بهذا القدر في الحديث عمّا يتعلق بالحديث النبوي؛ مراعاةً للإيجاز، وللأسباب التي أشرتُ إليها.

(١) الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، للمؤلف.



وبعد الانتهاء من الكلام، بإيجازٍ، عن مُصدرِ مصادر التدبر للقرآن الكريم: (وحي الله، القرآن الكريم والحديث الشريف)، نتقل في الفصل الآتي للحديث عن مؤلفات المؤلفين في موضوع التدبر، وأنواع مصادر التدبر هذه، ولاسيما المصادر المبكرة، التي كتبها علماء الإسلام وأئمة للتأسيس العلمي المبكر للتدبر، والتعرّف على مجالات العلم، الخادمة لهذا التخصص المهم، المرتبط بكتاب الله تعالى.

الفصل الرابع



العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر، وتطبيقاتها في الاستعمال اللغوي والقرآني

ونتناول هذا الموضوع في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مجالات العلوم المبكرة المؤسسة لعلم التدبر.

المطلب الثاني: استعراض لبعض مصادر التدبر المبكرة ومراجعته في مختلف مجالاتها العلمية.

المطلب الثالث: أهمية العلوم والمؤلفات الأولى، المؤسسة لعلم تدبر القرآن، واستخلاص دلالاتها.



المطلب الأول

مجالات العلوم المبكرة المؤسسة لعلم التدبر

بالبحث في مصادر تدبر القرآن، المباشرة وغير المباشرة؛ تبين أنه من عهد الصحابة والتابعين، قد بدأت بدايات أولية كانت نواة وأساساً متيناً للعلوم وللمؤلفات المبكرة، التي تُعنى بدلالات الكلام وفهمه، ولا سيما ما كان في مجالات اللغة العربية وعلومها وتطبيقاتها، وعلوم القرآن وتفسيره، والحديث النبوي الشريف وعلومه.

وقد أسست تلك العلوم، وتلك المؤلفات المؤلفة في مجالها، تأسيساً منهجياً لعلم التدبر، ثم امتد التاريخ لمواصلة تلك العلوم فيما بعد؛ لتتفرّع إلى فروع، ولتنضج، وتُصبح علوماً مؤسّسة للتدبر، فأصبح كثيرٌ منها علماً مستقلاً بذاته.

وحَصُرَ هذه العلوم أمرٌ يطول، لكن، سأشير إشارةً أو إشاراتٍ موجزةً لبعض الثمرات اللاحقة، التي جناها الناس فيما بعد - في عصر الإسلام الأول الهجري، فالقرن الثاني، وما بعدهما من عصور ازدهار العلم لدى المسلمين - من تلك البدايات الأولى المبكرة للعلوم، التي كانت بالفعل مؤسّسة لعلم التدبر، لا يملك القارئ المطلع عليها اليوم إلا الإعجاب، والخضوع لعلم أولئك الأئمة العباقر، الذين خَدَموا العلم لله والدار الآخرة!



أمثلة للعلوم المبكرة المؤسّسة للتدبر:

لا نَحْصِر هنا هذه العلوم المبكرة المؤسّسة للتدبر، لكن، أُشير إلى أمثلةٍ مهمّةٍ منها، بحسب ما بدا لي منها، وذلك بالتبّع والاستقراء، الذي لا أزعُم أنه استقراءٌ تامٌّ لا مزيد عليه.

فمن هذه العلوم المبكرة المؤسّسة للتدبر:

١- علوم اللغة العربية، بعامة، التي نشأت في كنفها علوم القرآن الكريم: تدبراً

وتفسيراً... إلخ، ونشأ في أفيائها علوم الحديث الشريف. وهذه فيها أنواعٌ من العلوم المهمة اللازمة للتدبر.

٢- علوم القرآن، سواءً منها الشمولية، أو الجزئية المقتصرة على بعضها. وهذه، كذلك، فيها أنواعٌ من العلوم المهمة اللازمة للتدبر.

٣- علوم دلالات كلٍّ من: الحروف، والمفردات، والأساليب في اللغة العربية وفي استعمال القرآن. وهذه، كذلك، فيها أنواعٌ من العلوم المهمة اللازمة للتدبر.

٤- علم البلاغة بمختلف أبوابها: علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع. وهذه، كذلك، فيها أنواعٌ من العلوم المهمة اللازمة للتدبر.

وعلم البلاغة هذا قال عنه الخطيب القزويني، المتوفى سنة ٧٣٩هـ: «علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدراً، وأدقها سرّاً؛ إذ به يُعرف دقائق العربية وأسرارها، ويُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستاذها»^(١).

(١) ذَكَرَ ذلك في مقدمة تلخيصه «مفتاح العلوم»، للسكاكي، حيث قال في مقدمة: «تلخيص المفتاح»: «فلَمَّا كان علمُ البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدراً، وأدقها سرّاً؛ إذ به يُعرف دقائق العربية وأسرارها، ويُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستاذها. وَكَانَ القسمُ الثالثُ من «مفتاح العلوم» -الذي صنّفه الفاضلُ العلامةُ أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفَ السَّكَاكِي- أعظمَ مَا صُنِفَ فيه منَ الكُتُبِ المشهورة نفعاً، ولكونه أَحْسَنَهَا تَرْتِيباً، وَأَتَمَّهَا تَحْرِيراً، وَأَكْثَرَهَا لِلأُصُولِ جَمْعاً. وَلَكِنْ كَانَ غَيْرَ مَصُونٍ عَنِ الْحَشْوِ وَالتَّطْوِيلِ وَالتَّعْقِيدِ، قَابِلاً لِلإِخْتِصَارِ، مُفْتَقِراً إِلَى الإيضاحِ والتَّجْريدِ.»

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

والبلاغة بمختلف علومها، كلها علومٌ في غاية الأهمية في باب فهم دلالة الألفاظ والأساليب، وهي أساسية في فهم دلالات القرآن الكريم: حروفاً ومفرداتٍ وأساليب؛ فمن لم يَلَمْ بعلومها سيحالفه الخطأ في فهم القرآن وتدبره وتفسيره.

لأن مَنْ يجهل علوم البلاغة، فلن يفرّق بين الحقيقة والمجاز -مثلاً- في دلالة الكلام، وستختلط عليه المعاني المرادة بالكلام حين لا يتنبّه للقرائن.

فمثلاً:

قوله تعالى: ﴿... فَجَبَدُوهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ ...﴾ ، [آل عمران: ١٨٧] قال فيه الشعبي: «أما إنه كان بين أيديهم، ولكن نبذوا العمل به»^(١).

فانظر الفرق بين أن تحمّل الكلام هنا على الحقيقة، أو تحمّله على المجاز!

وخذ مثلاً آخر وارداً في الحديث:

«ذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: (ذَاكَ رَجُلٌ لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ)»^(٢).

فالمقصود هنا هو المعنى المجازي، وليس معنى الحقيقة؛ لأنه لا يقصد اتخاذ القرآن وسادة؛ فهذا أمرٌ ما يفعله مسلم! وإنما المراد: لا ينام عنه، بل يقوم به الليل ويتهجّد به.

= أَلَفْتُ مُحْتَصِرًا يَتَضَمَّنُ مَا فِيهِ مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْثَلَةِ وَالشَّوَاهِدِ. وَلَمْ أَلْ جُهْدًا فِي تَحْقِيقِهِ وَتَهْدِيهِ.

وَرَبَّتُهُ تَرْتَبًا أَقْرَبَ تَنَاسُلًا مِنْ تَرْتَبِيهِ، وَلَمْ أَبْلُغْ فِي اخْتِصَارِ لَفْظِهِ تَقْرِيْبًا لِتَعَاظِيهِ، وَطَلَبًا لِتَسْهِيلِ فَهْمِهِ عَلَى طَالِبِيهِ، وَأَضْفْتُ إِلَى ذَلِكَ فَوَائِدَ عَثَرْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْقَوْمِ عَلَيْهَا، وَزَوَّيْتُ لَمْ أَظْفَرُ فِي كَلَامٍ أَحَدٌ بِالتَّضَرُّيْحِ بِهَا وَلَا الْإِسَارَةِ إِلَيْهَا، وَسَمَّيْتُهُ (تَلْخِيصَ الْمِفْتَاحِ). (تلخيص المفتاح، للرزويني، تحقيق إلياس قبّان، ص ٧-١٠).

(١) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص ١٨٣، تحقيق د. مروان العطية، المملكة العربية السعودية - الرياض، الخزنة الأندلسية، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ.

(٢) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص ١٧٩. والحديث أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٥٧٢٤) وكرره برقم (١٥٧٢٥)، طبعة الرسالة، والنسائي برقم (١٧٨٣).



وقال تعالى: ﴿وَبِأَبْكَ فَطَهَّرَ﴾، [المدثر: ٤]، وتُطْلَقُ طاهرةُ الثياب على معنيين: المعنى الحقيقي وهو الثياب التي يلبسها اللابس، والمعنى المجازي الكناية بالثياب عن صاحبها وأفعاله. قال: محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره: «والمعنى المُرَكَّبُ من الكنائي والمجازي هو الأعلق بإضافة النبوة^(١) عليه...»^(٢).

ومن هذا المعنى قولهم، على سبيل المجاز: «فلان طاهر الثوب» أو «طاهر الأردن»، لا يُريدون الثوب على الحقيقة، وإنما يُريدون المعنى المجازي، أي: هو طاهرٌ.

ومن الأمثلة على المجاز: «قول الله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾»، [المدثر: ٤٨]، أي: لا يشفعون لهم فينتفعوا بذلك. يدل عليه قوله عز اسمه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، [الأنبياء: ٢٨] وإذا كان كذلك، فلا شفاعة إلا للمرتضى. فعلمت بذلك أن لو شفع لهم لا ينتفعون بذلك. ومنه قولهم: هذا أمرٌ لا يُنادى وليدُهُ، أي: لا وليد فيه فينادى^(٣).

ومن الأمثلة، أيضاً: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنَيْنِ جَلْدَةً﴾، [النور: ٤] فليس المراد رميهُنَّ بالحجارة، على ما يقتضيه الظاهر غير المراد، وإنما: رميهُن بالفاحشة.

وباب المجاز بابٌ واسعٌ، مُهمٌ لفقه الكلام في اللغة العربية، وهو بابٌ من أوسع أبواب جمال الكلام وبلاغته وفصاحته.

(١) في بعض طبعات الكتاب: النبوة، والمعنى واحد.

(٢) ينظر تفسير: المدثر: ٣-٤، في التحرير والتنوير، ١٢/ ٢٥٤-٢٥٥، محمد الطاهر ابن عاشور.

(٣) الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ٣/ ٣٢١.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

ولهذا عُني به أرباب اللغة والمتخصصون في فقه كلام الله وحديث رسول الله ﷺ، وانظر كثيراً من أمثلة المجاز ومباحثه ذات العلاقة بالقرآن والحديث الشريف في مثل كتاب الإمام ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ) «تأويل مشكل القرآن»^(١)، وانظر منه، على سبيل المثال، الأبواب الآتية:

- القول في المجاز، ١٠٣ - ١٣٤.

- الاستعارة، ١٣٥ - ١٨٤.

- المقلوب، ١٨٥ - ٢٠٩.

- الحذف والاختصار، ٢١٠ - ٢٣١.

- تكرار الكلام والزيادة فيه، ٢٣٢ - ٢٥٥.

- الكناية والتعريض، ٢٥٦ - ٢٧٤.

- مخالفة ظاهر اللفظ معناه، ٢٧٥ - ٢٩٨.

إلى آخر ما هنالك من روائع القول، في الجملة، ولا أحد بمعصوم سوى رسول رب العالمين، ﷺ.

(١) تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.





المطلب الثاني

استعراض لبعض مصادر التدبر المبكّرة ومراجعته في مختلف مجالاتها العلمية

تعريف مصادر التدبر المبكّرة:

ونُعرِّف هذه المصادر في تلك الفترة بأنها: الكتابات المؤسّسة للتدبر، ولو لم تتحدث عنه مباشرةً.

وقد تَرَتَّبَ على تفعيل تلك العلوم المبكّرة، المؤسّسة لعلم التدبر تأليفُ مؤلفاتٍ كثيرة راققة مهمة مفيدة في مختلف أبوابها.

ويمكن تحديد هذه المؤلفات وهذه الجهود العلمية، المندرجة في هذا الموضوع، بأنها:

(كل علم أو جهدٍ أسَّسَ لفقه الكلام، أو فقه القرآن الكريم، أو فقه الحديث النبوي الشريف، المرتبط بشيء في القرآن).

فكلُّ ذلك داخلٌ في خدمة التدبر، سواءً أكان من قريبٍ أم من بعيد.

فيدخل في هذا، كلٌّ من:

١- مختلف العلوم المؤسّسة للتدبر.

٢- مختلف المؤلفات التي كُتبت في مجال التدبر، تحت عناوين كثيرة، سواءً كانت في التدبر بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

والغالب على المصادر في تدبر القرآن الكريم المبكرة المؤسسة له، في الفترة ما بين القرن الأول إلى القرن الخامس -على ما يبدو لي- أنها كانت مؤلفات في التدبر بصورة غير مباشرة.

ونقف هنا عند أنواع هذه المؤلفات الدالة على تخصصاتها العلمية، وذلك بمرور سريع على أقسام هذه المصادر عن التدبر، وسردها سرداً في كلمات، مع إشارات موجزة عن كل منها، بالدمج بين كل من الفنون العلمية، وعناوين المؤلفات فيها، وأشير هنا إلى أنه ليس كل هذه المؤلفات، التي سأذكرها فيما يأتي قد اطلعت عليه، أو اطلعت عليه تفصيلاً^(١).

فمنها المؤلفات والمجالات العلمية، الواردة تحت العناوين الآتية، وما في معناها:

- ١- معاني الحروف (حروف المعاني)، ٢- أساليب القرآن الكريم، ٣- علم الإعراب، ٤- علم الصرف، ٥- غريب الألفاظ، ومنه ما كتب عن: ألفاظ القرآن ومفرداته، ٦- المعاجم اللغوية على اختلاف أصنافها ومناهجها، ٧- مشكل القرآن، ٨- مشكل الحديث، ٩- مختلف الحديث، ١٠- أسباب النزول، أو أسباب نزول الآيات وأسباب ورود الحديث، ١١- النسخ والمنسوخ، ١٢- الإعجاز، ولا سيما الإعجاز في القرآن الكريم والحديث الشريف، ١٣- البلاغة، ١٤- الوجوه والنظائر في اللغة وفي القرآن الكريم، ١٥- فقه اللغة العربية، ١٦- علوم القرآن، ١٧- فضائل القرآن، ١٨- علم القراءات، ١٩- علم الوقف والابتداء، والمؤلفات فيه، ٢٠- كتب التفسير، وعلم تفسير القرآن...

(١) أقول هذه الملحوظة؛ لئلا يُظن أنني أرشح كل كتاب أذكره في التمثيل بهذه المؤلفات ترشيحاً مطلقاً، أو أزيه تزكية مطلقاً، بل كل يؤخذ منه ويُردُّ -إلا رسول الله ﷺ-. ومما دعا إلى هذه الملحوظة أنني لم أقرأ تلك المؤلفات المذكورة في التمثيل في مختلف الموضوعات كلها، بل بعضها لم أطلع عليه، وإنما ذكرته لكونه مما أُلّف في بابهِ.



وهذا ما سنتناوله في الصفحات الآتية:

ولكن قبل الدُخول في الحديث عن هذه العلوم، أُشيرُ هنا إلى ملحوظةٍ مُهمّةٍ، تتلخّصُ في أنَّ الأمر لم يقتصر على هذه العلوم؛ ولهذا فإيرادها هنا ليس على سبيل الحصر؛ كما أنَّ الشَّانَ في هذه العلوم المُبَكِّرة، لم يقف الحالُ عندها، فقد جَدَّت فيما بعد علومٌ أخرى في مجال خدمة القرآن وتدبُّره وتفسيره، بحسب الحاجة، ومن ذلك، على سبيل المثال، ما انتهجَه صاحبُ «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور»، أبو الحسن، برهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، ٨٠٩ - ٨٨٥ هـ^(١)، وهو كتابٌ في التفسير، أسَّسَ فيه البقاعي - رحمه الله تعالى - لعلم المناسبات بين الآيات والآيات، وبين السُّور والسُّور؛ فأبانَ بهذا عن جانبٍ من جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

حقّاً إنَّ هذا القرآن الكريم معجِزٌ من أيِّ بابٍ أُتِيَتْه؛ ولا عَجَبَ فهو كتابُ الله تعالى.

وسأوردُ الأمثلة للعلوم هذه والمؤلفات فيها، فأذكرُ بعض المؤلفات في كلِّ فنٍّ منها في فقرتين: الفقرة الأولى هي: (ومن المؤلفات في ...): فأذكر المؤلفات في الموضوع المتقدمه زمنًا، وأقتصر فيها على الأمثلة من القرن الثاني إلى القرن الخامس، ولا أورد في هذه الفقرة ما أُلِّف بعد ذلك إلا عند الحاجة، فقد أتجاوز إلى القرن السادس أو بعده بقليل)، والفقرة الثانية هي: (ومن المؤلفات في هذا، اللاحقة بعد ذلك): فأذكرُ فيه بعض ما تيسَّر لي معرفته من المؤلفات فيما بعد ذلك التاريخ، ولو إلى عصرنا الحاضر، دون قصْدٍ للاستقصاء إطلاقاً، أو قصْدٍ للاستقراء التام لها.

(١) بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وها هي الأمثلة للمؤلفات في هذه الفنون العلمية:

(١) معاني الحروف (حروف المعاني):

ومجال هذا التخصص بحرٌ لا ساحلَ له؛ وذلك لِسَعَةِ الموضوع؛ ولكثرة المؤلفات فيه، كُلياً أو جزئياً. والمؤلفات هذه في معاني الحروف وما يتعلق باستعمالاتها في غاية الأهمية لطالب اللغة العربية، ولطالب القرآن وعلومه، بمختلف أغراضه، ومنها: تدبره، وتفسيره... ولطالب الحديث النبوي.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن تخصص اللغة العربية كان حاضراً في الحديث عن حروف القرآن، وحروف المعاني، وألفاظ القرآن، وأساليب القرآن، وتدبر القرآن، وتفسير القرآن... إلخ.

والقرآن هو الكتاب الوحيد -ومثله أحاديث الرسول ﷺ- الذي جاءت البرامج الإلكترونية الحديثة في خدمته، فتبحث من خلالها عن أي لفظة أو حرف، فتكون النتيجة أمامك! وعُملت إحصائيات كثيرة عنه في عدة مجالات، بهذا المستوى من العناية، ومنها:

- إحصائيات لعدد حروفه...
- إحصائيات لعدد كلماته.
- إحصائيات لعدد آياته.
- إلى آخر ما هنالك من إحصائيات عن القرآن الكريم.

وألفت في ذلك المؤلفات الكثيرة، ولا أحصيها.

ومن المؤلفات في (حروف المعاني)، التي تتحدث عن هذه الحروف ومعانيها -على سبيل المثال، لا الحصر-:

- ١- عُنيَتْ مختلف المعاجم اللغوية بالحروف الهجائية ومعانيها وصفاتها، وما إلى ذلك، فينبغي الإفادة منها، كلُّ حرفٍ في موضعه من ترتيب حروف الهجاء، بحسب الترتيب الذي انتهجه كلُّ معجم لغوي.



٢- ومن أقدم مَنْ رأيتُه تكلّم عن حروف المعاني، واستعمالاتها في اللغة وفي القرآن، الإمام ابن قتيبة، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، ضمّن كتابه «تأويل مشكل القرآن» حيث تكلّم عنها كلاماً طويلاً، وضرب الأمثلة عليه من القرآن الكريم، من ص ٥١٩-٥٧٨، وهذا القدر يُعدُّ بمثابة رسالة موجزة قيّمة في هذا الموضوع.

٣- وممن جاء بعد ابن قتيبة الإمام أبو نصر أحمد بن محمد الحداد السمرقندي، المتوفى بعد الأربعمئة، في كتابه «المدخل لعلم تفسير كتاب الله»، حيث عرّض لحروف المعاني واستعمالها في اللغة وفي القرآن الكريم، في أبواب متفرقة كثيرة من كتابه، استفاد فيها من الإمام ابن قتيبة، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وأضاف عليه^(١).

ثم بعد هذين الإمامين ظهرت المؤلفات المستقلة في حروف المعاني^(٢)، وأشيرُ إلى بعضها في الآتي:

ومن المؤلفات في هذا اللاحقة بعد ذلك:

١- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، المتوفى سنة ٧٠٢هـ^(٣).

وكما هو واضح أنّ مؤلّف الكتاب متوفى سنة ٧٠٢هـ؛ فهو سابقٌ لكتاب «الجني الداني»، لحسن بن قاسم المرادي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ؛ ولذلك نقلَ هذا الأخير من «رصف المباني» نحو أكثر من أربعين موضعاً^(٤)، كما نقلَ عنه غيره من المؤلفين بعده في هذا الباب، وهذا يدلُّ على أثرِ هذا الكتاب، واعتماده مصدراً لمن جاء بعده من المؤلفين.

(١) يُنظر: مقدمة صفوان عدنان داوودي في تحقيقه «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، ص ٤١-٤٤.

(٢) وأبّه هنا إلى أنّي لم أبحث بحثاً مستقصياً لحضّر تواريخ المؤلفات في هذا الموضوع.

(٣) تحقيق الدكتور أحمد محمّد الخراط، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) مقدمة محقق الكتاب، ص ٢٧.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

والكتاب متخصصٌ في الحروف من أدوات اللغة العربية، دون أن يتطرق إلى أدوات من الأسماء^(١).

٢- الجَنَى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ^(٢).

وهو كتاب نفيس، متخصص في حروف المعاني، شاملٌ، وهو كتابٌ شاهدٌ بهمة العلماء وتبخرهم في خدمة ما يكتبون عنه من العلم، وتفردهم بالتحقيق الرصين!

الكتاب حصرَ عدد حروف المعاني، وذكرها، وفصل القول في عملها وإعرابها...، فذكرها في خمسة أبواب، بحسب تقسيمه لها، هي: الأحادي، والثاني، والثلاثي، والرباعي، والخماسي. وحصر عدد كل نوع منها، وذكر آراء الأئمة فيها، اتفاقاً واختلافاً. وجاء الكتاب في نحو ٦٨٢ صفحة.

٣- مُغْنِي اللَّيْب عَنْ كُتُبِ الْأَعْرَابِ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، ابن هشام، الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١هـ^(٣). جاء بتحقيق فخر الدين قباوة في ٩٤٤ صفحة. وقد ذكرته هنا

(١) انظر: مقدمة تحقيق «رصف المباني»، ص ٢٩.

(٢) تحقيق د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، وللكتاب طبعات، منها: طبعة أحمد خليف الأعرج، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، والطبعة الثالثة بتحقيق الأعرج نفسه، ٢٠٢٣م.

(٣) له طبعات، منها: طبعة مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، وبهامشه حاشية الشيخ محمد الأمير. وطبعة دار اللُّبَاب للدراسات وتحقيق التراث، الطبعة السادسة، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة. وهو تحقيق رصينٌ يستحق أن يشاد به. وطبعة دمشق، دار الفكر، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م، تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ونُشر أيضاً في عام ١٣٦٨هـ-١٩٦٤م. وطبعة الكويت، تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، في ٧ مجلدات، لكنّها طبعةٌ ليست بشيء، للأسف، (انظر: لَبَيَّانُ نَقْدِهَا مقدمة الدكتور فخر الدين قباوة، ص ٢٠-٢١). وطبعة بتحقيق محمد مُحيي الدين عبد الحميد، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م، وطبعات أخرى.



في باب حروف المعاني، وسيأتي ذكره في الكلام عن الإعراب؛ لاختلاف المجالين، وقد اجتمعا في كتاب واحد؛ نظراً لطبيعة هذا العلم.

وهذا الكتاب من أهم الكتب في حروف المعاني، إن لم يكن أهمها؛ لأنه وإن كان قد جاء بعد هذه المؤلفات المذكورة قبله، إلا أنه دقق عليها ورجح من الآراء فيها، وضعف بحسب ما رزقه الله إياه من عمق التخصص في اللغة، والاستيعاب لمسائلها، والفطنة والذكاء، مع الورع والتقوى؛ فانعكس هذا كله على كتبه، ومنها هذا الكتاب (مُغْنِي اللَّيْب عَنْ كُتُبِ الْأَعَارِبِ)؛ فلا أتردد في أنه كتاب له من اسمه نصيب؛ إذ يكاد مُغْنِيًا فِعْلًا عما سواه من كتب الأعراب، وقد ظهر في هذا الكتاب عظيم عناية الإمام ابن هشام بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف وبشعر العرب في شواهد، التي أوردها في الكتاب؛ فهو كتاب في صميم مصادر تدبر القرآن الكريم، فليله دُرٌّ من إمام! وكم جلّى من دقائق معاني الكتاب العزيز ومعاني الحديث الشريف!

وإنه لهذا يحق لي أن أغري طالب العلم وطالب تدبر القرآن الكريم بالعناية بهذا الكتاب، وقراءته في طبعة مُحَقَّقة مُدَقَّقة. على أنه ينبغي أن أشير إلى ملحوظة ذكرها مُحَقِّقُه فخر الدين قباوة في خطبة التحقيق صفحة ٢١، من أن الناس من بعد ابن هشام نقدوه واعترضوا على بعض آرائه، وعلى بعض انتقاداته لهم، فقال: «والحق أن ما عرّضه ابن هشام في هذا الكتاب، من بسط وشرح وأحكام ونصوص ونقد واستدلال وآيات كريمة وأحاديث مشرفة جاء فيه بعض الخطأ والوهم، ترى في اللهجات العربية ومذاهب العلماء وفي الكتاب نفسه والقواعد الكلية التي جعلها هو خاتمة له، ترى في ذلك ما يُردّ به عليه».

٤- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم (تكملة «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»)، وضعه الدكتور إسماعيل أحمد عمارة، والدكتور عبد الحميد مصطفى السيد^(١).

(١) بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وقد جاء في ٨١٣ صفحة، وهو كتابٌ في غاية الأهمية في مجال البحث الإحصائي في القرآن الكريم، ودراسة ذلك ونتائجه، خاصةً في مجال كلٍّ من الأدوات والضمائر. وقد جاء معجماً حاصراً لعددٍ مراتٍ ورود كلِّ أداة، وكلِّ ضمير. وهذه خدمةٌ عزيزةٌ لكتاب الله تعالى وللباحثين فيه، والمتدبرين له.

وللإفادة من هذا المعجم لابد من قراءة مقدمة الدكتور إسماعيل عمايرة، رحمه الله تعالى، وجزاه وصاحبه خير الجزاء على هذا العمل الباقي، بإذن الله، وأحسن إليه كما أحسن إلى العربية لغة القرآن، وخدمته للقرآن الكريم.

وتَحْيَلُ أنك من خلال هذا العمل العلمي تقف على عدد التكرار لكل أداة في القرآن الكريم، كأدوات: الشرط، والجزء، والعطف، وما إلى ذلك. وخذ، مثلاً (الواو) الذي هو أكثر الأدوات تكراراً في القرآن، فقد ورد فيه (٩٤٦٤) مرةً، كما يقول إسماعيل عمايرة! وفي ضوء تطوُّر أدوات البحث الإلكتروني الآن، يُمكن مراجعة هذا العمل؛ للتأكد من الدقة فيه.

٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عُصَيْمة، ١٣٢٨-١٤٠٤هـ/
١٩١٠-١٩٨٤م^(١).

وهنا لا أنسى التذكير بهذا الكتاب العظيم، المهم في هذا الباب: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم»، لعبد الخالق عُصَيْمة، الذي حَصَرَ فيه حروف المعاني الواردة في القرآن الكريم، واستقصى «ذُكْر المؤلفات السابقة في حروف المعاني، ويبيِّن ما وصل إلينا منها، وما هو خَطِّيٌّ، وما هو مطبوع، مع وصفٍ لِمَح لِمَا يذكُر، مفيداً أنَّ المغني لابن هشام قَمَّةُ التأليف في هذا الفنّ، مبيِّناً مزاياه، وأهمُّها أنَّه جامعٌ لِمَا في كتب كثيرةٍ سبقته، لم تَصِل إلينا؛ لفقدِها، أو لأنها لا تزال مخطوطةً، وقد عدَّ منها ثمانيةً وعشرين كتاباً منسوباً كلاً منها إلى مؤلفه.

(١) القاهرة، مطبعة السعادة، وعلى بعض الأجزاء: القاهرة، مطبعة حَسَّان.



ولم يُخلِ المؤلفُ المغني، مع هذا المدح، من بيانِ مأخذه عليه...»^(١).

٦- حروف المعاني التي يحتاج إليها المفسر: دلالاتها وأثرها في التفسير؛ دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الرحمن بن عبد الله بن سالم القرشي^(٢)، تناول فيه المؤلف حروف المعاني التي يحتاج إليها المفسر ودلالاتها، وتبّع ما فيها من معانٍ وأسرار من خلال سبعة كتب في التفسير، وبيان أثر دلالات هذه المعاني في التفسير، وكذلك أثر العقيدة في دلالات حروف المعاني الواردة في القرآن.

وهنا ينبغي أن أُشير إلى ملحوظة، وهي أن هناك مؤلفات جاءت متحدثّة عن الحروف، لكن لا يُراد منها موضوعنا هذا، وإنما يُقصدُ بها حروف القراءات القرآنية، التي جاءت عن أئمة القراءة القرآنية.

(٢) أساليب القرآن الكريم:

القرآن الكريم معجزٌ في حروفه، وفي ألفاظه، وفي أساليبه.

ودراسة القرآن الكريم في مُختلف هذه المجالات؛ يكشفُ عن نتائجٍ مبهرةٍ للعقول والقلوب من أوجهٍ عظيمةٍ هذا الكتاب العزيز.

وهذا هو الأمر الذي اتّجهت له جهود الأئمة والدّارسين في مُختلف العصور.

وأكتفي هنا في موضوع دراسة أساليب القرآن الكريم، -بكلِّ فخرٍ وإعجابٍ- بالإشارة إلى الدراسة العلمية الطويلة المتميزة في كشف أساليب القرآن الكريم، تلك هي الدراسة التي عمّلها العلامة محمد عبد الخالق عُضيمة، رحمه الله، في

(١) د. عز الدين علي السيد، في مقال بعنوان: "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، نقله أ.د. تركي بن

سهو العتيبي في "محمد عبد الخالق عُضيمة: سيرة حياة"، ص ٧١٩-٧٣٦.

(٢) الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م، وأصل هذا الكتاب (رسالة دكتوراه). وعبارة «التي يحتاج إليها المفسر» لغو؛ لأن المفسر يحتاج حروف المعاني كلّها.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

كتابه: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم»، في أحد عشر مجلداً^(١)، تناولت مُخْتَلَف أساليب القرآن الكريم ولغته، والحروف والأدوات، والمفردات، والأسماء والأفعال، معتمداً على الغوص في المصادر اللغوية والنحوية، والمعاجم اللغوية، والبلاغية، وكتب التفسير، وما إلى ذلك^(٢).

وهذا كتابٌ عظيمٌ، يُعدُّ إماماً للكتب المؤلفة في هذا الباب، بالرغم من تأخره زمنياً، قد اشتمل على التحقيق والتدقيق، والاستدراك على دراسات السابقين في موضوعاته، مما لا تجده في كتاب آخر.

وإنما يُدرِك هذه الحقيقة مَنْ ظَفَرَ باكتحال عينيه، وجَوَلات عقله وفكره في صفحات هذا الكتاب، ويُظْهِر طرفاً من هذه الحقيقة، أيضاً، الاطلاع على الدراسة العلمية الرصينة، التي نَشَرها الأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي بعنوان: «محمد عبد الخالق عَصِيمة (١٣٢٨هـ إلى ١٤٠٤هـ / ١٩١٠-١٩٨٤م) سيرة حياة»^(٣) في ٧٥٦ صفحة.

(٣) عِلْمُ الإِعْرَابِ:

هذا العلمُ من أهمِّ علوم اللغة العربية في خدمة القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد نشأ هذا العلمُ في تاريخ الإسلام مُبَكِّراً، وأُلْفَتْ فيه المؤلَّفات منذ القرن الثاني الهجري.

وينبغي هنا إيراد كلام الإمام ابن قتيبة، ٢١٣-٢٧٦هـ، عن ميزة الإعراب في اللغة العربية وأهميته، بالرغم من أن كلامه هذا سيتكرر في موضعه الآتي لاحقاً.

-
- (١) القسم الأول ٣ مجلدات، والقسم الثاني ٣ مجلدات، والقسم الثالث ٣ مجلدات.
(٢) القاهرة، مطبعة السعادة، الجزء الأول، وباقي الأجزاء مطبعة حَسَّان، في طبعة سيئة، للأسف، فيها بعض الأخطاء المطبعية، وعدم التفريق بالنقط بين الألف المقصورة والياء المتطرفة، وعدم ضبط ما يحتاج إلى ضبط، الأمر الذي لا يليق بهذا الجهد العلمي الفريد؛ فما أحوج هذا العمل العلمي النفيس إلى إعادة طبعه في طبعة دقيقة أنيقة تليقُ به.
(٣) الرياض، مركز البحوث والتواصل المعرفي، الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م.





قال ابن قتيبة:

- «ولها (الإعراب) الذي جعله الله وشياً لكلامها، وجليّةً لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمُعَيَّنَيْن المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يُفَرَّقُ بينهما، إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحدٍ منهما - إلا (بالإعراب)»^(١)، إلى آخر ما قاله في ذكر بعض خصائص اللغة العربية، المؤثرة في اختلاف دلالات الكلام، وساق الأمثلة التطبيقية عليها^(٢).

وقال جمال الدين ابن هشام الأنصاري عن علم الإعراب: «فإن أولى ما تقتضيه القرائح، وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل، ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل، فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية، والدريئة إلى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية، وأصل ذلك علم الإعراب، الهادي إلى صوب الصواب»^(٣).

ومن المؤلفات في الإعراب^(٤):

١ - معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، الزجاج، المتوفى سنة ٣١١هـ^(٥).

٢ - إعراب القرآن، أبو جعفر، النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، المتوفى سنة ٣٣٨هـ^(٦).

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ١٤.

(٢) يُنظرُ ذلك فيما نقلته عنه لاحقاً تحت عنوان «الوقفة الثالثة: فوائد مؤسسة للتدبر وأسبابه من كتاب (تأويل مشكل القرآن)».

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٣١، طبعة دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث.

(٤) وكما ذكرت في الملحوظة، سابقاً، أن ما أُشيرُ إليه من المؤلفات في فنّ ما، لا يعني دائماً أنني قد اطّلعْتُ عليه، أو اطّلعْتُ عليه تفصيلاً.

(٥) تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٦) له طبعات، منها: طبعة بيروت، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. وطبعة بيروت، لبنان، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، وطبعة بيروت، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبير...

٣- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد، مكّي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المتوفى سنة ٤٣٧هـ^(١).

٤- إعراب القرآن، الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، المتوفى سنة ٥٣٥هـ^(٢).

٥- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي، المتوفى نحو ٥٤٣هـ^(٣).

٦- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري، ٥٣٨-٦١٦هـ^(٤).

٧- التبيان في إعراب القرآن، لمؤلف الكتاب قبله نفسه^(٥).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- المجيد في إعراب القرآن المجيد، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي السِّفَّاقُسي، أبو إسحاق: برهان الدين، المتوفى سنة ٧٤٢هـ^(٦).

(١) تحقيق د. حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٢) قدمته له ووثقت نصوصه الدكتوراة فائزة بنت عمر المؤيد، الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٣) تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، وبيروت، دار الكتب اللبنانية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٤) توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٥) تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٦) تحقيق حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.



٢- مُغْنِي اللَّيْبِ عَنِ الْإِعْرَابِ، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، ابن هشام، الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١هـ^(١)، وقد ذكرته هنا مكرراً في موضوع الإعراب، مع أنه سبق ذكره في الكلام عن حروف المعاني، كررت ذكره؛ لاختلاف المجالين، وقد اجتمعا في كتاب واحد؛ نظراً لطبيعة هذا العلم.

وفي مقدمة المؤلف شواهدٌ على بعض ما حباه الله إياه من همّة وإخلاص، وعِلْم وإمامة وأدب! وقد ألف هذا الكتاب ثم فقدّه مع غيره من الكتب، ثم ألفه مرة ثانية!

وقد حكّم عبد الخالق عَصِيْمَةٌ بأن كتاب «مغني اللبيب» يُمثّل قَمَّةَ التَّأْلِيفِ في هذا الفنّ، مبيّناً مزاياه، وأهمّها أنّه جامعٌ لما في كتبٍ كثيرةٍ سبقته، لم تَصِلْ إلينا؛ لفقدِها، أو لأنها لا تزالُ مخطوطةً، وقد عدّ منها ثمانيةً وعشرين كتاباً منسوبةً إلى مؤلّفِها^(٢).

٣- أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، المتوفى سنة ٧٦١هـ^(٣).

٤- إعراب القرآن العظيم، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين، أبو يحيى السنيكي، المتوفى سنة ٩٢٦هـ^(٤).

٥- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ^(٥).

(١) له طبعاٌ، وقد مضى ذكرُ بعضها في حاشيةٍ سابقةٍ في موضوع (حروف المعاني).

(٢) على ما مضى نقله في الحاشية على موضوع (حروف المعاني).

(٣) تحقيق محمد نغش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) حققه وعلق عليه د. موسى علي موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٥) دمشق، دار الرشيد، وبيروت، مؤسسة الإيمان، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٦- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط^(١).

وتأتي أهمية هذا الكتاب من هذا التحديد لموضوعه، ومن كونه نقلاً لما ورد في الموضوع في مختلف المصادر التي كتبها السابقون، فجاء في ٤ مجلدات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك كتباً في تفسير القرآن الكريم، أسسها مؤلفوها على العناية بالإعراب؛ وذلك للارتباط بين المعنى والإعراب، والارتباط بين الإعراب وتفسير الكتاب العزيز، مثل:

- «البحر المحيط في التفسير»، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ^(٢).

- «الدُرُّ المصُون في علوم الكتاب المَكْنُون»، أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحَلَبِي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ^(٣).

وهذا الذي مضى كله في هذا الموضوع يؤكد ارتباط علم الإعراب بفهم القرآن الكريم، وتدبره، وأهمية العناية به في كل من التدبر والتفسير.

(٤) عِلْمُ الصَّرَفِ:

علم الصرف مُلازِمٌ لِعِلْمِ الإعراب. قال بعضهم: «لا تَجِدُ كتاباً في النحو، إلا والتصريف في آخره».

وهو علم صياغة الأبنية في اللغة العربية، الذي تُوزَنُ به صيغ الألفاظ في اللغة العربية؛ لئلا تَخْرُجَ عن عروبتها وفصاحتها؛ ولهذا اهتموا به وألّفوا فيه المؤلفات على مرّ العصور، وتخصّص فيه متخصصون.

(١) المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

(٢) تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

(٣) تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.



وهو العلم الذي تُعرف به أصول الكلمات؛ لِتَرَدَّ الكلمة إلى أصلها الذي اشتُقَّت منه، بدلاً من إرجاعها إلى أصلٍ غير أصلها، فيفسد معناها.

ومن عبقرية أئمة اللغة العربية ابتكارهم لأوزانٍ تُحدِّد أصول الاستعمال لصيغ الأفعال، وأغلبها عشرون ميزاناً، وقسموها على ستّة أبواب، بحسب نوع زمن الفعل، وحصرؤها حصراً ضابطاً للاستعمال اللغوي، واختاروا حروف: (فَعَلَ) (فَعَلْ)، وجعلوا مدار التصريف عليها، فمثلاً: قالوا «أَبْوَابُ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثِيَّةِ مَحْصُورَةٌ فِي سِتَّةِ أَنْوَاعٍ لَا غَيْرَ:

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فَعَلَ يَفْعُلُ يَفْتَحُ الْعَيْنُ فِي الْمَاضِي وَضَمُّهَا فِي الْمَضَارِعِ. وَالْمَذْكُورُ مِنْهُ سَبْعَةُ مَوَازِينَ:

نَصَرَ يَنْصُرُ نَصْرًا، دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولًا، كَتَبَ يَكْتُبُ كِتَابَةً، رَدَّ يَرُدُّ رَدًّا، قَالَ يَقُولُ قَوْلًا، عَدَا يَعْدُو عَدْوًا، سَمَا يَسْمُو سُمُوًّا^(١).

وينبغي لطالب اللغة العربية، وطالب علم تدبر القرآن والحديث الشريف، الرجوع إلى هذه الأبواب في ميزان الأفعال، ويستكمل بقيتها عند الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (كان آخر العهد به سنة ٦٦٦هـ) في خطبة كتابه: «مختار الصحاح»، ويفيد منها في ضبطه اللغوي.

ويتكلمون في أبواب الصّرف عن الإعلال والإبدال، لارتكاز علم الصّرف عليه، وقد تكلم المتخصّصون في اللغة عن ذلك، وألّف بعضهم الفهارس أو المعاجم لمُفْرَدَاتِ الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، وفي سواه، ومن ذلك «مُعْجَمُ مُفْرَدَاتِ الإبدال والإعلال في القرآن الكريم»^(٢)، د. أحمد محمد الخراط، وهو مفيد؛ لِمَا فِيهِ مِنْ جَمْعٍ لِهَذَا النُّوعِ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالتَّوْضِيحِ، وَالتَّعْلِيلِ، وَالتَّرْجِيحِ.

(١) مختار الصحاح، خطبة المؤلف.

(٢) في ٥٣٦ صفحةً بالفهارس، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وَمِنْ الْمَعَاجِمِ اللُّغَوِيَّةِ الْمَعْنِيَّةِ بِإِرْجَاعِ الْكَلِمَاتِ إِلَى الْأَصْلِ فِي مَعْنَاهَا: «مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ»^(١)، لأحمد بن فارس بن زكريا، القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

وفائدة علم الصرف، أنه: «عليه المعوّل في ضبط الصّيغ، وبه يُدفع اللحن في نطق الكلمات، وبمراعاة قواعده تَخْلُو مفردات الكلم من مخالفة القياس، التي تُخلُّ ببلاغة الكلام»^(٢).

وفائدة «الميزان الصرفي» «أنه يُبيّنُ حال الكلمة، وما طرأ عليها من تغييراتٍ، وما فيها من أصولٍ وزوائد، بأخصر عبارة وأوجز لفظ»^(٣).

وتطبيقات علم الصرف على نصوص الكتاب والسنة، بطريقة صحيحة، في غاية الأهمية؛ لمعرفة أصل الفعل، مثلاً، ولمعرفة المعنى الصحيح المراد به في الآية أو الحديث.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْمِيزَانِ الصَّرْفِيِّ، أَيْضاً: التَّفْرِيقُ بَيْنَ دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ فِي اللُّغَةِ، بَوَسَاطَةِ صِيغِهَا فِي عِلْمِ التَّصْرِيفِ، فَتَسْتَطِيعُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ دَلَالَةِ: (يَذْبَحُونَ) و(يُذَبِّحُونَ)؛ فَتَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ مَجْرَدِ الْفِعْلِ، وَبَيْنَ صِيغَةِ الْمَبَالِغَةِ فِيهِ؛ فَتَعْلَمُ دَلَالَةَ مَثَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ﴾، [البقرة: ٤٩].

وتستطيع التفریق بين صيغة «اسم الفاعل» وصيغة «اسم المفعول»، وما إلى ذلك من التفاصيل.

(١) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ٣٤.

(٣) المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ٣٥.



المؤلفات في علم الصَّرف:

المؤلفات في علم التصريف كثيرة، تَبَّعَهَا محمد عبد الخالق عزيمة، تَبَّعاً علمياً رصيناً، بَدَّلَ في ذلك جُهداً لا يُنْزَلُ إلا مثله في العلم وِجْالَة القَدْر، وَعَدَّ منها (٣١) مؤلفاً، ورتَّبهم بحسب تواريخهم^(١)، ومنها مؤلَّفاتٌ مُتَقَدِّمَةٌ، بَعْضُهَا في القرن الثاني الهجري، وبعْضُهَا بَعْدَهُ، وَقَدْ جَاءَ نَصْفُ مَا ذَكَرَهُ مِنَ المؤلَّفاتِ في الصَّرف لمؤلِّفَيْنِ مِنَ القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس.

وَمِنَ المفيد لطالب العلم وطالبِ تدبُّر القرآن وتفسيره الاطِّلاعُ على تقييم محمد عبد الخالق عُزَيْمَة العِلْمِيَّ لهذه الكتب التي ذكرها، وذلك في كتابه: (المغني في تصريف الأفعال)، وخلاصته (الباب في تصريف الأفعال).

ومن هذه المؤلَّفات:

١- تصريف الأفعال، محمد بن عمر بن عبد العزيز، المعروف بابن القوطية، القرطبي، المتوفى سنة ٣٦٧هـ^(٢).

٢- مُقَدِّمَةٌ في أصول التصريف، طاهر بن أحمد بن بابشاذ، المتوفى سنة ٤٦٩هـ^(٣).

وَمِنَ المؤلَّفاتِ فِيهِ اللاحقة بعد ذلك:

كثيرةٌ هِيَ المؤلَّفاتُ فِي عِلْمِ الصَّرف، لَكِن لَعَلَّ كِتَابَ (المغني في تصريف الأفعال)، مُحَمَّدُ عَبْدِ الْخَالِقِ عُزَيْمَة، وَخِلَاصَتُهُ (الباب في تصريف الأفعال)، الَّذِي

(١) تُنْظَرُ قَائِمَةُ هَذِهِ المؤلَّفاتِ فِي: المَغْنِي فِي تصريف الأفعال، مُحَمَّدُ عَبْدِ الْخَالِقِ عُزَيْمَة، الْقَاهِرَة، دَارُ الْحَدِيث، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٣-٢٤.

(٢) طُبِعَ بِاسْمِ (كِتَابِ الأفعال)، تَحْقِيقُ عَلِي فُودَة، الْعَضْوُ الْفَنِّي لِلتَّحْقَافَةِ بِوِزَارَةِ الْمَعَارِفِ، الْقَاهِرَة، مَكْتَبَةُ الْخَانِجِي، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، ١٩٩٣م.

(٣) حَقَّقَهُ وَعَلَقَ عَلَيْهِ د. حَسَنُ عَلِي السَّعْدِي، وَأ.د. رَشِيدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَبِيدِي، الْعِرَاق، مَرْكَزُ الْبَحْثِ وَالدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

أدرجَه مُلَحَقاً في آخره، يُغني عن غيره من المؤلفات في التصريف؛ ولهذا فلستُ بحاجة أن أحدثك عن كتاب آخر سوى كتاب الشيخ عُصَيْمَة هذا، فما دام (المغني) يُغني عن سواه؛ فلا داعي لَصَرْف الوقت والجهد في غيره؛ طلباً لِعِلْم الصرف.

(٥) غريب الألفاظ، ومنه ما كُتِبَ عن: أَلْفَاظ القرآن ومفرداته:

وهذا هو مجال معاني القرآن، التي وردت فيه وعُني بها كتاب الله.

وعلى المؤلفات في هذا الباب تدور اهتمامات المفسرين ومؤلفاتهم في التفسير.

وقد خُدم هذا الموضوع من عهد النبوة إلى عصرنا هذا، وستَظَلُّ الجهود فيه مستمرة ما بقي هذا الكتاب العزيز في الدنيا. وليس من السهل حُضْر هذه الجهود في هذا الباب جميعها؛ ولهذا أُشيرُ إليها إشارة سريعة.

ومن المؤلفات في هذا الباب:

- ١- مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما^(١).
- ٢- معاني القرآن، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧هـ^(٢).
- ٣- مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري، المتوفى سنة ٢٠٩هـ^(٣)، وهو كتابٌ قِيَمَ يحملُ أسلوبه ولغته عِبَقَ العربية في زمنه، وهو كتابٌ في معاني القرآن، أَلْفَاظاً وأساليب، وهذا بالرغم من تسمية المؤلف له ب(مَجَاز القرآن)، وقد تَطَرَّقَ فيه فعلاً إلى المجاز بصورة تطبيقية عند بيانه معاني القرآن.

(١) حققها الدكتور محمد أحمد الدالي، الجفَّان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
(٢) تحقيق أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، وبيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
(٣) تحقيق محمد فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.



٤- معاني القرآن، الأخفش الأوسط، أبو الحسن، سعيد بن مسعدة، المجاشعي، البلخي البصري، المتوفى سنة ٢١٥هـ^(١).

٥- تفسير غريب القرآن، أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ٢١٣-٢٧٦هـ^(٢). وهو كتابٌ مهمٌ في تفسير غريب القرآن على سبيل الاختصار، وبالإطلاع عليه قد يتنبّه القارئ إلى تصحيح ما كان متبادراً إلى ذهنه من فهم غير صحيح لبعض ألفاظ القرآن الكريم بحسب ظاهر اللفظ.

٦- كتاب: الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد، أحمد بن محمد الهروي، المتوفى سنة ٤٠١هـ^(٣).

٧- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، المتوفى في حدود سنة ٤٢٥هـ^(٤). وينبغي أن يُعنى بهذا الكتاب ويُستفاد منه في معرفة دلالات ألفاظ القرآن؛ لأن المؤلف -رحمه الله- مِمَّنْ عُنِيَ بالتحقيق في معرفة معاني ألفاظ القرآن والحديث الشريف، وأن يُعنى بالأمثلة التطبيقية في مجال المفردات القرآنية من خلال هذا الكتاب.

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ^(٥).

(١) تحقيق د. فائز فارس، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، وهو كتابٌ في تفسير معاني مفردات القرآن، يعتمد على اللغة: الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالات.

(٢) تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٣) تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعته فتحي حجازي، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٤) تحقيق صفوان عدنان داوودي، وهو تحقيق علمي رائع، دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. وطبعة ثانية.

(٥) تحقيق طارق فتحي السيد، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٢- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ^(١).

٣- المُتَشَابِهُ اللَّفْظِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَسْرَارُهُ الْبَلَاغِيَّةُ، دراسة تحليلية لثراث علماء المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ، الدكتور صالح بن عبد الله الشثري^(٢).

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا كُتِبَ مِنَ الْمَوْلفَاتِ أَوِ الْكُتَيْبَاتِ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى حَوَاشِيهِ، أَوْ مُسْتَقْلَةً، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا، أَيْضاً، مُخْتَصَرَاتُ التفسير، وَقَدْ اسْتَجَدَّ مِنْهُمَا فِي عَصْرِنَا عِدَّةٌ لَا بَأْسَ بِهِ.

(٦) المعاجم اللغوية على اختلاف أصنافها ومناهجها:

وَذَكَرْتُ مُسْتَقْلَةً هُنَا عَمَّا قَبْلُهَا؛ لِأَهْمِيَّتِهَا، وَكَثْرَتِهَا، وَتَنَوُّعِ أَغْرَاضِهَا، وَإِلَّا فَيَنَّ تِلْكَ الْمَوْلفَاتِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَمَعَانِي مُفْرَدَاتِهِ، الْمَتَقَدِّمَ ذِكْرَهَا فِي الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ، هِيَ فِي حُكْمِ الْمَوْلفَاتِ فِي الْمَعَاجِمِ اللَّغَوِيَّةِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَجَالِهَا هَلْ هُوَ الْعَمُومُ، أَوِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، أَوِ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَعَاجِمِ اللَّغَوِيَّةِ التَّزَمَ بِإِيرَادِ أَمْثَلَةٍ وَشَوَاهِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَهِيَ بِهَذَا عَظِيمَةُ الْفَائِدَةِ فِي الْاسْتِعْمَالِ اللَّغَوِيِّ، وَفِي فَهْمِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ.

وَعِدَّةٌ مِنَ كُتُبِ التفسير عَرَّجَ فِيهَا مَوْلفُوها عَلَى الْجَوَانِبِ اللَّغَوِيَّةِ فِي تفسير الآيات، وَتَنَاولُوا فِيهَا مُخْتَلَفَ الْجَوَانِبِ اللَّغَوِيَّةِ.

(١) تحقيق سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.



المؤلفات في المعاجم اللغوية الخادمة للقرآن والحديث:

من المؤلفات المهمة في هذا المجال:

١ - مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى سنة ٣٩٥هـ^(١)، وهو يُعَدُّ أصلاً في طريقتيه التي اتبعها في كتابه، حيثُ بنى الكلامَ على المواد اللغوية فيه على ذِكْرِ الأصل في المادة اللغوية، فيُنصُّ على أنَّ أضل معناها كذا وكذا...

٢ - مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، المتوفى في حدود سنة ٤٢٥هـ^(٢)، الذي سبقَت الإشارةُ إليه قريباً في موضوع (غريب الألفاظ).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١ - مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (كان آخر العهد به سنة ٦٦٦هـ)، وهو مختارٌ من كتاب الصحاح، للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ونصَّ مؤلّف مختار الصحاح على العناية فيه بألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية. وهو كتابٌ مختصرٌ مهمٌّ في بابهِ، وهو مهمٌّ لكل طالبٍ علمٍ وللمعنيّ بتدبر القرآن وتفسير حديث رسول الله ﷺ. له عدة طبعات^(٣).

(١) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) تحقيق صفوان عدنان داوودي، وهو تحقيق علميٌّ رائع، دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٣) له طبعات، منها طبعة المكتبة الأموية، بيروت - دمشق، ومكتبة الغزالي، حماة، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م، وطبعة بترتيب محمود خاطر، المتوفى سنة ١٣٦٧هـ، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، المتوفى سنة ١٣٣٦هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، وهي طبعةٌ تستحقُّ الإشادة بها؛ وذلك لميزاتها، التي منها أنَّ مختار الصحاح مُرَتَّبٌ مثل أصله -حسب أواخر المواد ثم أوائلها- لكن في هذه الطبعة قد غيّر الأستاذ محمود خاطر ترتيب مختار الصحاح، ليكونَ مُوافِقاً لترتيب «أساس البلاغة»، للزمخشري، «والمصباح المنير»، للفيومي، أي: مُقَدِّماً أوائل =

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٢- لسان العرب، الإمام العلامة أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، المتوفى سنة ٧١١هـ، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين^(١). وهو كتابٌ حافلٌ جمعَ المعاجم اللغوية السابقة عليه، ويستحقُّ أن يُقال عنه: لسانُ العرب قد جَمَعَ لسانُ العرب! وهو مهمٌّ في معاني الآيات والأحاديث، لكثرة الاستشهاد بها على المعاني اللغوية.

٣- القاموس المحيط، مجد الدين، أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ٧٢٩-٨١٧هـ^(٢).

ويتعين التنبيه هنا إلى أن بعض المؤلفات المعجمية لبيان معاني الألفاظ والمفردات في اللغة تخصصت، قديماً وحديثاً، في مجال القرآن الكريم، ومجال الحديث الشريف، على نهج تلك المؤلفات المعجمية في اللغة عامة، ومنها:

٤- المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، دكتور نبيل عبد السلام هارون^(٣).

٥- السراج في بيان غريب القرآن، د. محمد بن عبد العزيز الخضير^(٤). وهو مختصرٌ مفيدٌ في بيان معاني مفردات القرآن الكريم.

= المواد، -وذلك بتكليفٍ له من وزارة المعارف المصرية-. وقد طُبِعَت هذه الطبعة بعد أن حُذِفَ كُلُّ ما لا ينبغي أن يَطْرُقَ مسامعَ الناشئة من الكلام -وهي لفظةٌ تربوية مهمة؛ فينبغي للمعلمين والمربين مراعاتها- وامتازت هذه الطبعة، أيضاً، على غيرها من الطباعات بالتحقيق والضبط الجيد. يُنظر مقدمة الناشر. وذلك لأنَّ الكتاب قد اختاروه مقررًا دراسيًا، وبالإطلاع على تقديم الناشر لهذه الطبعة، تُعرَف قيمتها.

(١) بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٢) حققه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقشوسي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، وأيضاً اعتنى به ورَّبَه وقصَّله حَسَن عبد المنان في طبعة أخرى، لبنان، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م.

(٣) مصر، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٤) له طبعة شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م، وله طبعة في الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ.



(٧) مشكل القرآن:

وفيه مؤلفات كثيرة نفيسة، ومنها:

١- تأويل مشكل القرآن^(١)، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ٢١٣هـ -

٢٧٦هـ^(٢). ومثله كتابه: «تفسير غريب القرآن»، فهو مكمل له، على ما أشار

إليه الإمام في كتابه الأخير.

وقد عَقَدْتُ لكتاب «تأويل مشكل القرآن» مبحثاً خاصاً به في هذا الكتاب في الأمثلة التطبيقية، فارجع إليه إن شئت^(٣).

٢- تفسير المشكل^(٤) من غريب القرآن، مكي بن أبي طالب، المتوفى سنة ٤٣٧هـ^(٥).

٣- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد، مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي

القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المتوفى سنة ٤٣٧هـ^(٦)، وقد مضى

ذُكره في المؤلفات في إعراب القرآن.

٤- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، محمود بن أبي الحسن (علي)

بن الحسين النيسابوري الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ(بيان الحق)، المتوفى

بعد ٥٥٣هـ^(٧).

(١) تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. وانظر

الكلام عنه في الموضوع الخاص به في الفصل السادس من هذا الكتاب، «المبحث الثاني:

تأويل مشكل القرآن، أبو عبيد».

(٢) تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٣) يُنظر، المبحث الثاني، من الفصل السادس: «نماذج من المؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...».

(٤) من الطريف الغريب أن الناسخ ضبط هذه الكلمة في غلاف عنوان الكتاب هكذا: «المشكّل»!

ومثّل هذا ما كان أن يغفل عنه المحقق، لولا أنه إنسان!

(٥) تحقيق د. علي حسين البواب، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

(٦) تحقيق د. حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٧) تحقيق (رسالة علمية)، سعاد بنت صالح بن سعيد با بقي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى،

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١ - الفوائد في مشكل القرآن، سلطان العلماء، عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام، ٥٧٧-٦٦٠هـ^(١).

ويبدو أنه فوائدٌ دَوَّنَها عن المؤلف بعض تلاميذه من دروسٍ ألقاها في تفسير القرآن - على ما أشار إليه محقق الكتاب في مقدمته - تَوَجَّه فيها إلى العناية بتدبر وتفسير المشكل ظاهراً من القرآن الكريم، ومما يلفتُ نظرَ القارئ له: غُمُقُ استنباطاته وأهميَّتها، واعتناؤه بما يُطلَقُ عليه «المشكل»، على أنه في الجملة قد التزم بمنهج الأشاعرة.

٢ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ^(٢).

(٨) مشكل الحديث:

وتأتي أهميَّة العناية بهذا الموضوع هنا، للعلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد اشتمل الحديث النبويُّ ومصنَّفاته على العناية بتفسير القرآن الكريم وفقهه.

وفيه مؤلفاتٌ كثيرةٌ نفيسة، ومنها:

١ - شرح مشكل الآثار، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، المتوفى سنة ٣٢١هـ^(٣).

(١) تحقيق سيد رضوان علي الندوي، مراجعة د. عبد الستار أبو غدة، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٢) القاهرة، مكتبة ابن تيمية، توزيع مكتبة الخراز - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٣) تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م.



٢- مشكل الحديث وبيانها، الإمام الحافظ أبو بكر، محمد بن الحسن بن فُورك، المتوفى سنة ٤٠٦هـ^(١).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، عبد الله بن علي النجدي القصيمي، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ^(٢).

٢- الأحاديث المشككة في الطب النبوي، نورة بنت عبد الله الغملاس^(٣).

٣- الأحاديث المُشكَّكة الواردة في تفسير القرآن الكريم (عَرَضٌ وَدِرَاسَةٌ)، د. أحمد بن عبد العزيز بن مُقَرِّن القصير^(٤).

٤- مَدْخَلٌ لِدِرَاسَةِ (مُشْكَلِ الْأَثَارِ): - مقاييس لصحة تفسير النصوص. - أنواع استشكال النصوص وأسبابه، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي^(٥).

(٩) مختلف الحديث:

وتأتي أهمية العناية بهذا الموضوع هنا، للعلاقة الوثيقة بين فقه القرآن الكريم وفقه الحديث الشريف. ونصوص الوحي يُفسَّر بعضها بعضاً، وتُعرَف دلالة النص الواحد منها في ضوء بقية نصوص الكتاب والسنة.

(١) بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) مراجعة وتحقيق الشيخ خليل الميس، بيروت - لبنان، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) الرياض، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، وهو رسالة دكتوراه شاركت في مناقشتها بجامعة الملك سعود.

(٤) الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

(٥) الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. وهو كتاب تناول تحديد المنهجية اللازمة في دراسة ما يُسمَّى بمشاكل الآثار وفقهها، والاستدراك على بعض ما كُتب في هذا الباب، وبيان أسباب استشكال النص، وأسباب معالجة هذا الاستشكال.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وقد تناول الأئمة والكاتبون هذا الموضوع بطرائق متنوعة، وتحت عناوين مباشرة، وعناوين غير مباشرة.

ومن المؤلفات في مختلف الحديث:

- ١- اختلاف الحديث، محمد بن إدريس الشافعي، ١٥٠-٢٠٤هـ، مطبوع بآخر: كتاب «الأم» للشافعي^(١).
- ٢- تأويل مختلف الحديث، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ^(٢).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

- ١- مختلف الحديث وموقف النقاد والمحدثين منه، أسامة بن عبد الله خياط^(٣). وهو بحثٌ جيّد في بابه. ومما أخذهُ على عنوان هذا الكتاب: نسبته التعارض إلى حديث رسول الله ﷺ، إذ قال في عنوانه الفرعيّ على الغلاف: «بحثٌ حديثي يتناول بالتحليل والتمثيل والتعليل قضية التعارض الواقع بين بعض ما ثبت عن النبي ﷺ من الحديث»! فهذا الاعتراف بوقوع التعارض بين بعض ما ثبت عن الرسول ﷺ، اعترافٌ باطلٌ، قد نفاه الله عن وخيه سبحانه وتعالى في غير ما آية، ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، [النساء: ٨٢].

وكان يكفيهِ أن يُقَيّد العبارة ولا يُطلقها، كأن يقول: التعارض في الظاهر.

(١) بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(وَأَعَادُوا تَصْوِيرَهَا ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، عدد الأجزاء: ٨، (في ٥ مجلدات)، يقع «اختلاف الحديث» ضمن الجزء ٨ منها. ١- انتشرت هذه النسخة إلكترونياً منسوبة إلى (دار المعرفة - بيروت)، وهو خطأ؛ فليُصحَّح. ٢- قامت دار الفكر، بيروت بإعادة صَفِّ الكتاب مرة ثانية بترقيم صفحات مختلف في (طبعة جديدة منقحة مصححة، ١٤٢٩هـ-١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، (كما كتب عليها)؛ فليُنَبِّه.

(٢) المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراف، الطبعة الثانية - مزيدة ومنقحة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٣) مكة المكرمة، مطابع الصفا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.



٢- مدخلٌ لدراسة (مشكل الآثار) - مقاييس لصحة تفسير النصوص.
-أنواع استشكال النصوص وأسبابه، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي^(١). وقد سبق ذكره في المؤلفات في مختلف الحديث.

عرَضْتُ فيه لهذا الموضوع، وقَرَرْتُ المنهج السديد، الذي ينبغي مراعاته في فقه نصوص الكتاب والسنة، التي يبدو في الظاهر أنّ بينها تعارضاً، ويَنبُتُ أنه لا تعارضَ بين نصوص وحي الله تعالى، وإنما هو تعارضٌ في الفهم غير المدقّق أوّل الأمر.

كما أوضَحْتُ ما ينبغي أن يكون تجاه هذا الوهم الشائع، الذي علَّقْتُ عليه آنفاً، وذكرْتُ الحُكم في هذا، والاستعمالات في الكلام عنه، مع بيان بعض الضوابط فيه. أسأل الله تعالى أن يَنفَع به ويتقبله.

(١٠) أسباب النزول، أو أسباب نزول الآيات، وأسباب ورود الحديث:

ينبغي للمتدبر للقرآن الكريم والمفسّر له، التنبيه لأهمية الوقوف على أسباب النزول، وأهميتها لفقه الكتاب العزيز؛ وذلك لما لها من أثر بالغ في فقه القرآن الكريم، وكذلك الحال بالنسبة لأهمية أسباب ورود الحديث لفقه الحديث.

وقد غني الأئمة بهذا الموضوع دراسةً له، وجمعاً للروايات فيه.

وَمِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ فِي ذَلِكَ:

١- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المتوفى سنة ٤٦٨هـ^(٢).

(١) الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٢) له طبعةٌ في مكة المكرمة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، وله طبعةٌ أخرى بتحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان. قال المحقق: «قمتُ بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجاً =

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- العُجاب في بيان الأسباب (أسباب النزول)، ابن حجر، العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، المتوفى سنة ٨٥٢هـ^(١).

٢- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ^(٢).

٣- أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب الحديث، الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ^(٣).

٤- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد كمال الدين المشهور بابن خَمَزَة الحسيني، المتوفى سنة ١١٢٠هـ^(٤).

٥- الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقْبَلُ بْنُ هَادِي بْنِ مُقْبَلِ الهَمْدَانِي الوادِعِي، المتوفى سنة ١٤٢٢هـ^(٥).

= مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد»، الدمام، دار الإصلاح، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، وطُبِعَ أيضاً بتحقيق السيد أحمد صقر، جدة، دار القبلية للثقافة الإسلامية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(١) المملكة العربية السعودية، تحقيق عبد الحكيم محمد الأيس، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٢) ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.

(٣) تحقيق يحيى إسماعيل أحمد، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٤) له عدة طبعات، منها: طبعة حلب، ١٣٢٩هـ، وطبعة بتحقيق الحسيني عبد المجيد هاشم، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٥) القاهرة، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة مزينة ومنقحة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.



(١١) الناسخ والمنسوخ:

ومن المؤلفات فيه:

- ١- الناسخ والمنسوخ، قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب، السدوسي البصري، المتوفى سنة ١١٧هـ^(١).
- ٢- الناسخ والمنسوخ - وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، المتوفى سنة ١٢٤هـ، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، المتوفى سنة ٤١٢هـ^(٢).
- ٣- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، المتوفى سنة ٢٢٤هـ^(٣).
- ٤- الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر، النّحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، النحوي، المتوفى سنة ٣٣٨هـ^(٤).
- ٥- الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم، هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ، المتوفى سنة ٤١٠هـ^(٥).
- ٦- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، صنعة الإمام العلامة أبي محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة ٤٣٧هـ^(٦).

(١) تحقيق حاتم صالح الضامن، كلية الآداب - جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) دراسة وتحقيق محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، الرياض، مكتبة الرشد / شركة الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، الكويت، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٥) تحقيق زهير الشاويش، ومحمد كنعان، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٦) تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات، طُبِعَ بمناسبة انتقال الجامعة إلى المدينة الجامعية، أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وَمِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ فِيهِ اللَّاحِقَةُ بَعْدَ ذَلِكَ:

١- الاعتبار، في الناسخ والمنسوخ من الآثار، الإمام الحافظ البارع أبي بكر، محمد بن موسى الحازمي، المتوفى سنة ٥٨٤هـ^(١).

٢- المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة: ٥٩٧هـ^(٢).

٣- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٣٣هـ^(٣).

(١٢) الإعجاز، ولا سيما الإعجاز في القرآن الكريم والحديث الشريف:

والكتاب والسنة مرتبطان ببعضهما؛ إذ هما وحي الله سبحانه، وفي كل منهما أَوْجُهُ مِنَ الإعجاز تَخَضَعُ لَهَا الْأَعْنَاقُ!

وهذا الإعجاز في الوحيين فيه أنواعٌ منه متجددةٌ، يُجَدِّدها الله للبشرية في كل عصرٍ بما يشهد له بأنه وحي الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد!

وَمِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ فِي الإعجاز الكتب الآتية:

١- إعجاز القرآن، الباقلائي، أبو بكر، محمد بن الطيب، المتوفى سنة ٤٠٣هـ^(٤).

(١) له عدة طبعات، منها: طبعةٌ بتحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مصر، مكتبة عاطف، بدون تاريخ الطبع، وطبعة حيدر آباد- الدكن، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، ١٣٥٩هـ، وطبعة راتب حاكمي، حمص، مطبعة الأندلس، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

(٢) تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٣) تحقيق سامي عطا حسن، الكويت، دار القرآن الكريم.

(٤) تحقيق السيد أحمد صقر، مصر، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.



٢- دلائل الإعجاز، الإمام أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، المتوفى سنة ٤٧١هـ - أو سنة ٤٧٤هـ^(١).

٣- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي^(٢)، وهي:

الرسالة الأولى: بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، (٣١٩هـ-٣٨٨هـ).

الرسالة الثانية: النّكب في إعجاز القرآن، أبو الحسن، علي بن عيسى الرّماني، (٢٩٦هـ-٣٨٦هـ).

الرسالة الثالثة: الرسالة الشافية، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ-).

وَمِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ فِيهِ اللَّاحِقَةُ بَعْدَ ذَلِكَ:

١- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ^(٣).

٢- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي^(٤).

(١) قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمّد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) حقّقها وعلّق عليها محمّد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

[عن نسخة حسين جلى المصورة بمعهد مخطوطات الجامعة العربية].

(٣) بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٤) سورية - دمشق، دار المكتبي، الحلبوني - جادة ابن سينا، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٣- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أ.د. أحمد بن محمد الخراط^(١).

(١٣) البلاغة:

ولا سيما البلاغة في القرآن، وتشمل: الإعجاز البياني والبلاغي، ومختلف أنواع الإعجاز الأخرى في القرآن الكريم، وبعض ما اشتمل عليه الحديث الشريف من إعجاز، ومن ذلك ما كان فيه خاصاً بالقرآن.

ومن المؤلفات في البلاغة:

١- أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، المتوفى سنة ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ^(٢). يقول شارحُه، د. محمد إبراهيم شادي: «موضوع هذا الكتاب نقديٌّ، ويسعى إلى تكوين الخبرة النقدية ((وكيف ينبغي أن يُحكم في تفاضل الأقوال إذا أراد الناقد أن يُقسّم بينها حظوظها من الاستحسان، ويعدّل القسمة بصائب القسطاس والميزان))»^(٣).

٢- شرح أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، المتوفى سنة ٤٧١ هـ، أو سنة ٤٧٤ هـ، شرح أ. د. محمد إبراهيم شادي^(٤)، وهو شرحٌ رصينٌ وافٍ.

(١) المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

(٢) طُبِعَ هذا الكتاب بقراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، وله طبعةٌ بتحقيق عبد الحميد هندراوي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٣) شرح أسرار البلاغة... الدكتور محمد إبراهيم شادي، مصر، عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

(٤) مصر، عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.



٣- أساس البلاغة، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المعتزلي، المتوفى سنة ٥٣٨هـ^(١).

وَمِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ فِيهِ اللَّاحِقَةُ بَعْدَ ذَلِكَ:

١- شرح نهج البلاغة، أبو حامد، عز الدين، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، عُلّق على الكتاب في الشاملة بقولهم: «هذا الكتاب به أخطاء عقدية متعددة فليُتَبَّه لذلك»^(٢).

٢- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، المتوفى سنة ٧٣٩هـ^(٣).

٣- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالباني الملقب بالمؤيد بالله، المتوفى سنة ٧٤٥هـ^(٤).

٤- الباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السراج، راجعه خير الدين شمسى باشا^(٥).

(١) تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) تحقيق محمد عبد الكريم النمري، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٣) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثالثة، وطبعة أخرى: بيروت، دار إحياء العلوم، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.

(٤) بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٥) دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

(١٤) الوجوه والنظائر في اللغة وفي القرآن الكريم:

وهذا فنٌ علميٌّ يُظهر تَفَنُّنَ العلماء في العناية بالقرآن وبعلمومه، وفهمه وضبطه. قال الإمام ابن تيمية: «فالوجوه في الأسماء المُشتركة، والنظائر في الأسماء المُتواطئة، وقد ظنَّ بعضُ أصحابنا المُصنِّفين في ذلك أنَّ الوجوه والنظائر جميعًا في الأسماء المُشتركة. فهي نظائرٌ باعتبار اللَّفْظِ ووجوهٌ باعتبارِ الْمَعْنَى»^(١).

وقال الدكتور حاتم صالح الضامن، محقق كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن العظيم»، لمقاتل بن سليمان في مقدمة تحقيقه:

«معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة واحدةً، ذُكرت في مواضع من القرآن على لفظٍ واحدٍ، وحركةٍ واحدةٍ، وأريدَ بكلِّ مكانٍ معنى غير الآخر؛ فلفظ كلِّ كلمةٍ ذُكرت في موضعٍ نظيرٌ لللفظِ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كلِّ كلمةٍ بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه»^(٢).

ومن المؤلفات في الأشباه والنظائر:

١- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، أبو الحسن، مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، المتوفى سنة ١٥٠ هـ^(٣).

٢- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى القاري، المتوفى سنة ١٧٠ هـ^(٤).

(١) مجموع الفتاوى، باب الوجوه والنظائر، ١٣/ ١٧٦-٢٧٧.

(٢) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، مقاتل بن سليمان البلخي، مقدمة المحقق.

(٣) تحقيق حاتم بن صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م، وطبعة، قدمت لها وحققته هند شليبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩ م.

(٤) تحقيق د. حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، العراق، دائرة الآثار والتراث، ٢٠٠٦ م.



٣- التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، المتوفى سنة ٢٠٠هـ^(١).

٤- الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري المعتزلي، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، العسكري، المتوفى نحو ٣٩٥هـ^(٢).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ^(٣).

٢- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، ٨٤٩-٩١١هـ^(٤). وهو كتاب في النحو، صنّفه الإمام السيوطي على هذه الطريقة المبتكرة، حيث رتبّه على ما ألقه المتأخرون في الفقه مما أسَمَوْه بـ«الأشباه والنظائر»، ورتّب بعضهم فيها القواعد على حروف المعجم، فصنّف السيوطي فيه القواعد على طريقة أهل الفقه هؤلاء، وقال في مقدّمته: «...صمّنتُ القواعد النحوية ذوات الأشباه والنظائر، وخَرَجْتُ عليها الفروع السائرة سَيْرَ المَثَلِ السائر...!» وقد عُنِيَ فيه الإمام بالشواهد من القرآن والحديث؛ فهو من المؤلفات الخادمة للتدبر. وهو كتاب فيه علمٌ كثير.

ومن أراد معرفة عبقرية الإمام السيوطي؛ فليقرأ هذا الكتاب!^(٥).

(١) قدمْتُ له وحققته هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

(٢) تحقيق وتعليق محمد عثمان، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٤) بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٥) وأنه ليس بحاطبٍ ليل، على ما أشاعه بعضهم، وإنما هو مفكّرٌ مُبتَكِرٌ، في العلم، فارسُ نهارٍ وليلٍ! رحمه الله تعالى.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٣- زوائد ابن الجوزي على مقاتل في الوجوه والنظائر، فهد بن إبراهيم بن عبد الله الضالع^(١).

(١٥) فقه اللغة العربية:

تقرض عليك بعض كتب التفسير، وكتب التدبر، أن يكون لديك حصيلة من اللغة العربية كافية لفهم الكلام والمصطلحات، وهكذا كلام بعض الأئمة، كالإمام ابن تيمية وغيره ممن عُنوا باللغة العربية وتآلقوا فيها، تراه يفرض عليك -بطبيعة الحال وأنت تقرأ له- أن تكون ذا أساس طيب في اللغة العربية وعلومها... إلخ.

وعلم فقه اللغة علم من فروع علوم اللغة العربية، مهم ومفيد في فقه الكلام، وهو مما عني به من العلوم في مجال اللغة العربية، وفي مجال الوحيين.

ومن المؤلفات في فقه اللغة:

١- الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى سنة ٣٩٥هـ^(٢).

٢- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المتوفى سنة ٤٢٩هـ^(٣).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح، المتوفى سنة ١٤٠٧هـ^(٤).

(١) رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، العام الجامعي: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) له طبعات، منها: طبعة بتحقيق عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، وطبعة بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.

(٤) دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.



إلى غير ذلك من المؤلفات.

(١٦) علوم القرآن:

علوم القرآن فيها مؤلفات كثيرة مهمة في مختلف أنواع علوم القرآن، فمنها المفردة في بعض علوم القرآن، ومنها المؤلفات الجامعة لمختلف علومه، ولا يسعنا هنا إلا أن نضرب بعض الأمثلة للمهم منها.

ومن المؤلفات في علوم القرآن:

١ - البرهان في علوم القرآن، علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، وهو كتاب في التفسير كبير، ويبدو أن المؤلف سمّاه بـ«البرهان في علوم القرآن»؛ لكونه شاملاً في العناية بالقرآن، «نحواً، ولغة، وفقه، وقرائات»، وقد اعتمد عليه عدد من المفسرين وغيرهم، الذين جاؤوا من بعده، «كالقرطبي، وابن كثير، وأكثر عنه النقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري»^(١).

٢ - فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ^(٢).

٣ - عدد من المؤلفات المتقدمة في علوم القرآن، قد عرضت علوم القرآن مندرجة تحت عناوين أخرى مختلفة، كالمؤلفات في فضائل القرآن، مثل «فضائل القرآن»، لأبي عبيد، القاسم بن سلام، الذي يعدّ موسوعة شاملة في علوم القرآن.

(١) مقدمة محقق تفسير سورة يوسف منه، في رسالته للدكتوراه، إبراهيم عناني عطية عناني، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، العام الجامعي: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

(٢) بيروت - لبنان، دار البشائر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ^(١).

٢- الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ^(٢)، وهو كتاب مشهور لدى المتخصصين وسواهم، وله من اسمه نصيب.

٣- موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور^(٣).

٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المتوفى سنة ١٣٦٧هـ^(٤). وهو كتاب مشهور، معروفة قيمته العلمية.

٥- معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي^(٥).

٦- إتيان البرهان في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس^(٦).

٧- الميسر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي^(٧). وهو كتاب متقن، مُحَرَّرٌ، قد يُوفَّر على دارسه الوقت للإلمام الشامل الموجز في علوم القرآن.

(١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ثم صوّرته - بنفس ترقيم الصفحات - دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. وكذلك طُبِعَ بتحقيق مركز الدراسات القرآنية في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

(٣) حلب، دار القلم العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م.

(٥) دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٦) الأردن، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

(٧) رَاجَعَهُ أ.د. غانِم قُدُورِي الحَمْد، وأ.د. مُسَاعِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الطَّيَّار، المملكة العربية السعودية - جدة، دار وقف أضواء الشاطبية للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.



(١٧) فضائل القرآن:

جاء التأليف في فضائل القرآن منذ عهد مبكرٍ.

ومن المؤلفات في فضائل القرآن:

١ - فضائل القرآن^(١)، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، ١٥٧-٢٢٤هـ، وجاء عنوانه في طبعةٍ أخرى^(٢): «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه»، وهو عنوانٌ واردٌ في بعض مخطوطات الكتاب، ولكن الكتاب رُبَّما اشتهر باسمه المختصر (فضائل القرآن)^(٣).

وكتاب أبي عبيدٍ هذا من أوائل كُتُبِ فضائل القرآن، وأولاهما، ورُبَّما كان هو الكتاب الثاني في التأليف في «فضائل القرآن»، أو هو الأول في التأليف في هذا الموضوع بعد الإمام الشافعي، رحمهما الله.

وكان التأليف في فضائل القرآن مشتملاً على موضوعاتٍ أخرى مهمة، غير فضائل القرآن، كما هو الشأن في كتاب أبي عبيدٍ هذا، وقد أفردته بالكلام عنه في موضعه من هذا الكتاب.

٢ - فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبو عبد الله، محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس الرازي، المتوفى ٢٩٤هـ^(٤).

(١) تحقيق وشرح وتعليق: الدكتور مروان العطية، المملكة العربية السعودية - الرياض، الخزانة الأندلسية، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ.

(٢) طبعة المغرب، دراسة وتحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة فضالة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٣) وقد اخترنا هذا الكتاب ضمن المصادر المبكرة المؤسسة للتدبر، واخترنا منه عدداً من الأمثلة، انظره في الفصل السادس، المبحث الأول، في المطلب الثاني منه، من هذا الكتاب.

(٤) تحقيق غزوة بدير، دمشق - سورية، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٣- فضائل القرآن، أبو بكر، جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفَاض الفِرْزَابِي، المتوفى سنة ٣٠١هـ^(١).

٤- فضائل القرآن، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي، النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ^(٢).

٥- فضائل القرآن، أبو حفص، عمر بن محمد بن بجير البجيرى، المتوفى سنة ٣١١هـ^(٣)، وهو: جزء من مستخرجه على صحيح الإمام البخاري.

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

١- كتاب فضائل القرآن العظيم وثواب من تعلّمه وعلمه وما أعد الله عز وجل لتاليه في الجنان، ضياء الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد المقدسي، المتوفى سنة ٦٤٣هـ^(٤).

٢- فضائل القرآن، ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ^(٥).

٣- موسوعة فضائل سور وآيات القرآن - القسم الصحيح، محمد بن رزق بن طرهوني^(٦).

(١) تحقيق وتخريج ودراسة يوسف عثمان فضل الله جبريل، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) تحقيق د. فاروق حمادة، بيروت، دار إحياء العلوم، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٣) تحقيق الدكتور محمد بن بكر إبراهيم عابد، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، دمشق، دار العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٤) تحقيق صلاح بن عايض الشلاحي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٥) مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٦) جدة، مكتبة العلم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.



(١٨) علم القراءات:

معلومٌ لدى المتخصصين، القراءات القرآنية المتواترة، المعتمدة في نقل القرآن الكريم وقراءته، والعمل به، والصلاة به.

ومعلومٌ، أيضاً، أثرُ تعدّد الألفاظ فيما بين هذه القراءات الثابتة، وأنها كلها قرآن.

ومعلومٌ، كذلك، الحِكم في هذا التغيّر بين هذه القراءات المعتمدة في النقل عن رسول الله ﷺ.

ومعلومٌ، كذلك أهمية الألفاظ هذه في تفسير القرآن وتدبره، وأنّ مما يراعى في تفسير القرآن: اعتبار القراءة الأخرى تفسيراً، أو مساعدةً على تفسير هذه القراءة، أو تلك، وأنّ بعض قراءات الأصحاب، رضوان الله عليهم، المختلفة عن المصحف الإمام، الذي جمَعَ عليه الأئمة الخليفة الراشد ذو النورين، عثمان بن عفان، t، معدودةٌ في باب التفسير، وأنّ بعضها لا تعدّو أن تكون قراءةً تفسيريةً مهمّة، على ما قرّره المتخصصون، ومنهم الإمام أبو عبيد، القاسم بن سلام، (١٥٧-٢٢٤هـ) رحمه الله، في كتابه «فضائل القرآن»، في مواضع منه^(١).

وتفاصيل هذا الموضوع طويلة، لا تخفى على المعنيين بالقرآن وتفسيره وتدبره.

ويصعبُ هنا الدخول في علوم القراءات وتفصيلها، والمؤلّفات فيها، التي استغرقتْ مئات المؤلفات والمجلّدات، لكن أشيرُ إلى بعض المؤلفات المبكّرة في هذه القراءات القرآنية.

فمن المؤلفات المبكرة في القراءات:

١ - كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، المتوفى سنة ٣٢٤هـ^(٢).

(١) منها في ص ٤٢٣-٤٣٣، طبعة الدكتور مروان العطية، المملكة العربية السعودية - الرياض، الخزانة الأندلسية، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ.

(٢) تحقيق شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبير...

- ٢- معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المتوفى سنة ٣٧٠هـ^(١).
- ٣- إعراب القراءات السبع وعللها، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، الهمذاني النحوي الشافعي، المتوفى سنة ٣٧٠هـ^(٢).
- ٤- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، مؤلف الكتاب السابق ذكره نفسه^(٣).
- ٥- المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر، المتوفى سنة ٣٨١هـ^(٤).
- ٦- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، المتوفى سنة ٣٩٢هـ^(٥).
- ٧- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، المتوفى سنة حوالي ٤٠٣هـ^(٦).
- ٨- جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني، المتوفى سنة ٤٤٤هـ^(٧).

-
- (١) جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، مركز البحوث في كلية الآداب، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
 - (٢) حققه وقدم له د عبد الرحمن العثيمين، مكة المكرمة - جامعة أم القرى، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
 - (٣) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، المتوفى سنة ١٤٢٩هـ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، بيروت، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.
 - (٤) تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م.
 - (٥) تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
 - (٦) تحقيق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
 - (٧) أصل التحقيق: رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة، الإمارات، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.



ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

- ١- المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر. ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسور، عمر بن قاسم بن محمد، الأنصاري، أبو حفص، سراج الدين النشار الشافعي المصري، المتوفى سنة ٩٣٨هـ^(١).
- ٢- مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، وأحمد خالد شكري، ومحمد خالد منصور^(٢).
- ٣- مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، محمد عباس الباز^(٣).
- الإسناد عند علماء القراءات، د. محمد بن سيدي محمد محمد الأمين^(٤).

(١٩) علم الوقف والابتداء:

وهذا مرتبطٌ بفقه القرآن وتدبُّره، وتفسيره بصورة أساسية، وهناك أهمية كبيرة للعناية بالوقف والابتداء في باب التدبر؛ فإنَّهما بهما تظهر معاني القرآن ولطائفه المرتبطة بسلامة قراءة القرآن، التي يُفسدها الإخلال بسلامة تطبيق هذا العلم.

ويا لله كم أفسدَ معنى القرآن قارئه؛ بسبب إهماله للمواضع المناسبة للوقف والابتداء! وكَم أظهرَ قارئُ القرآن معنى النصِّ القرآني، وبهاءً، ورُوعَةً، بسبب مراعاته المناسبة لكلِّ من الوقف والابتداء!^(٥)

ومواضع الوقف في القرآن الكريم اجتهادية، ليست توقيفية، إنما يحكمها المعنى وقوانين اللغة العربية؛ ولهذا تجدهم ربما اختلفوا في مواضع الوقف ما بين

(١) تحقيق أحمد محمود عبد السمیع الشافعي الحفيان، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) عمان، الأردن، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) القاهرة، دار الكلمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٤) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٩، ١٤٢٥هـ.

(٥) ولهذا رأيتُ أن أُطيلَ بعض الشيء في الكلام عن هذا الموضوع في هذه الصفحات.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

إمام وإمام، وما بين طبعة للمصحف وطبعة أخرى، بل ربما غيروا فيها وعدّلوا ما بين الطبعة الأولى من المصحف لدى جهة ما والطبعة اللاحقة لها.

وهذا يعني أنه ليس كل قارئ يستطيع أن يميّز مواضع الوقف هذه، وإنما مَنْ لديه الأهلية اللغوية والعلمية والتخصص في القرآن الكريم. وفي كلّ الأحوال، على قارئ القرآن أن يهتدي في ذلك بما حدّده الأئمة المتخصصون من قواعد الوقف، ولا سيما الوقف الممنوع، ولا سيما ما اتفقوا عليه من ذلك؛ لِمَا له من أثر في استقامة المعنى، أو إفسادٍ للمعنى القرآني.

وبناءً على هذا، فليس كل مَنْ قرأ القرآن قد قرأه، إذ لعلّه يقرأه وهو يحرفه بسبب إفساده معانيه بالقراءة الخطأ.

ولعلّ من المهمّ هنا تأكيد النصح لطالب العلم والتدبّر، المعنيّ بقراءة القرآن الكريم أن يُعنى بقراءة هذا المرجع المهم، أو صيّه بهذا، وأنا شريك له في الأمر، إن شاء الله.

ومن أهمّ ما تجب العناية به في باب الوقف والابتداء في القرآن الكريم: الوقف الممنوع^(١).

المؤلفات في الوقف والابتداء:

بالرغم من أنني أرى أنه يكفي -أيها القارئ العزيز- في المؤلفات في الوقف والابتداء أن أُحيلك على كتاب: «الوقف الممنوع في القرآن الكريم: مواضعه وأسراره البلاغية»، الذي سأذكره في المؤلفات في هذا الموضوع، إلا أنني أشير إلى بعض المؤلفات المتقدمة زمنًا في الوقف والابتداء.

(١) يُنظر، الوقف الممنوع، الدكتور إسماعيل صادق عبد الرحيم، مصر، دار البصائر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. ومما يلاحظ على هذا الكتاب في هذه الطبعة: عدم التفريق بالنقطة بين الباء المتطرفة والألف المقصورة، وكذلك عدم ضبط ما يحتاج ضبطًا من الكلمات، وعدم العناية الكافية بعلامات الترقيم.



فمن المؤلفات فيه:

- ١ - الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو جعفر، محمد بن سعدان الكوفي الضرير، المتوفى سنة ٢٣١هـ^(١).
- ٢ - إيضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، المتوفى سنة ٣٢٨هـ^(٢).
- ٣ - القطع والائتناف، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، المتوفى سنة ٣٣٨هـ^(٣).
- ٤ - المكنى في الوقف والابتداء، عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني، المتوفى سنة ٤٤٤هـ^(٤).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

لعل من المهم الإشارة إلى بعض المؤلفات المعاصرة في الموضوع؛ لأهمية هذا الأمر للتدبر، فمنها:

- ١ - الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، أ.د. عبد الكريم إبراهيم عوض صالح^(٥).

(١) تحقيق أبو بشر محمد خليل الزروق، دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

(٣) تحقيق د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٤) تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، وطبعة أخرى تحقيق د. يوسف المرعشلي، دار الرسالة.

(٥) مصر، دار السلام، الطبعة الخامسة، ٢٠١٩م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٢- الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب، أ.د. حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل^(١).

٣- الوقف الممنوع في القرآن الكريم: مواضعه وأسواره البلاغية، د. إسماعيل صادق عبد الرحيم، دار البصائر^(٢).

(٢٠) كتب التفسير، وعلم تفسير القرآن:

هذه المؤلفات الكثيرة العظيمة في تفسير القرآن الكريم، التي رُبَّما استعصت على الحصر، باختلاف مناهجها، ومنازلها العلمية ومشاربها، كُلُّها في فقه كتاب الله، واستجلاء معانيه، وتفسير مفرداته وجُمْلِهِ وأساليبه، ولُغَتِهِ وبلاغته، وإعجازه، إنَّ هذه المؤلفات من أعظم ما يُظهر أوجه حفظ كتاب الله تعالى.

والعجيب أنَّ التأليف والكتابة في تفسير القرآن الكريم، أمرٌ متجددٌ لم ينته، ولن ينته، بل أخبر الله تعالى بأنَّ آياته في الأنفس والآفاق متجددة، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، [فصلت: ٥٣].

لَعَلَّ من المهمِّ الإشارة هنا إلى أنَّ العناية بتفسير القرآن الكريم تنوَّعت، حتَّى حُلِمَ تفسير القرآن بطرائق ووسائل متعدِّدة، فجاءت هذه الخدمة للتفسير، كُتِبَ تفاسير مطوَّلة، وكُتِبَ تفسير متوسِّطة، وكُتِبَ تفسير مُختصرة، بل وتفسير كلمات ومُفردات القرآن الكريم.

(١) المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م. وهو كتابٌ مهمٌّ في مسألة التدبُّر وأدواته.
(٢) وهو في أصله رسالة دكتوراه، استغرقت خمس سنوات؛ فجاء بحثاً وافياً بحواشيه، متضمناً ذِكر المؤلفات في الموضوع، وجاء البحث في جزأين، مجموع صفحاتهما يُقارب ١٤٠٠ صفحة.



كما جاءتْ جُهودُ تفسير القرآنِ متنوّعةٌ في عصرنا في مجال الوسائل الإلكترونية؛ شَمَلَتْ: الكتاب الإلكتروني، والبرنامج الإلكتروني، والموقع الإلكتروني، ومُختلف الجُهود عَبْرَ الشبكة العنكبوتية (النت).

إلى آخر ما هنالك مِنْ أنواع العلوم والمجالات ذات الصلة بخدمة تدبُّر القرآن؛ تأسيساً له، التي لم يُذكر فيها «التدبر» أو شيء مِنْ مشتقاته، فحضر هذا النوع مِنْ المؤلفات هنا غير ممكن بسهولة.

وبالنسبة للمؤلفات في تفسير القرآن، فإنها غير قابلةٍ للحُضر؛ لكثرتها، وحسبُك أنْ تُعرف أنْ هناك مؤلفاتٍ وفهارسَ كثيرةً خاصةً في ذِكر كتب التفسير، وذِكر كتب علوم القرآن، ومنها «فهرست كتب التفسير» في ٣ مجلدات، أصدره «مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف» فجاء ما حُصر فيه مِنْ كتب التفسير أكثرَ مِنْ ٦٠٠٠ كتاب تفسير، وهذا ليس حاصراً لجميع كتب التفسير!^(١)

وَمِنْ الْمَوْلاَفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ زَمَناً فِي التَّفْسِيرِ وَعِلْمِ التَّفْسِيرِ:

١- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، المتوفى سنة ١٥٠ هـ^(٢)، علماً بأنّه ضعيفٌ عند أهل الحديث، لا يقبلون روايته، وأثنى بعض الأئمة على تفسيره، كالإمام ابن المبارك، والإمام الذهبي.

(١) على أن هذا الفهرس لم يصنّف بحسب القرون الهجرية، ولم يُبيّن فيه المطبوع من المخطوط.

وقد كتب أ.د. ياسر إسماعيل راضي بحثاً بعنوان: دليل التفاسير المطبوعة، حتى عام ١٤٣١ هـ، أحصى فيه كتب التفسير المطبوعة فقط، وصنّفها بحسب القرون الهجرية، الأمر الذي يُسهّل على القارئ أو طالب العلم البحث عنها، والقراءة فيها. (مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد ١، ٢٠١١ م).

(٢) بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٢- تفسير الثوري، أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، المتوفى سنة ١٦١هـ^(١).

٣- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى سنة ٢١١هـ^(٢).

٤- فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، المتوفى سنة ٢٤٣هـ^(٣).

٥- التنبيه على فضل علوم القرآن، محمد بن حبيب النيسابوري، أبو القاسم، المتوفى سنة ٢٤٥هـ^(٤).

٦- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ^(٥).

٧- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، التيمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧هـ^(٦).

٨- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المتوفى سنة ٣٩٩هـ^(٧).

(١) بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ.

(٣) تحقيق د. حسين القوتلي، بيروت، دار الكندي، ودار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

(٤) العراق، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية، تحقيق محمد عبد الكريم راضي، ١٩٨٨م.

(٥) تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٦) تحقيق أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

(٧) تحقيق أبو عبد الله، حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، مصر، القاهرة، الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



- ٩- التَّفْسِيرُ البَسيطُ، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ^(١).
- ١٠- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المتوفى سنة ٥٠٢ هـ^(٢).
- ١١- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٠ هـ^(٣).
- ١٢- أحكام القرآن، أبو بكر، محمد بن عبد الله المعروف بـ: ابن العربي، المتوفى سنة ٥٤٣ هـ^(٤).

ومن المؤلفات فيه اللاحقة بعد ذلك:

- ١- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ^(٥).
- ٢- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١ هـ^(٦).

-
- (١) تحقيق أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
 - (٢) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
 - (٣) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طبية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
 - (٤) تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
 - (٥) بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.
 - (٦) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٣- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، كتاب تفسير عجيب في رصانة منهجه العلمي، وشمولية مجالاته، والاستشهاد بالآيات والأحاديث واستعمالات العرب، واللغة والبلاغة، والاستنباطات، وعمق التدبر، الشاهدة بإمامة مؤلفه في اللغة! وأفضل من يستفيد منه من كان لديه خلفية كافية في اللغة.

٤- الإكسير في علم التفسير، نجم الدين الطوفي الحنبلي، المتوفى سنة ٧١٦هـ^(١).

٥- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٢٨هـ^(٢).

ومعلوم اختلاف مناهج كتب التفسير، وتعددتها، واختلاف مناهجها في التفسير، وفي أغراض التفسير، وما يستهدفه كل منها، وتفاوتها في الجودة^(٣).

ومما لا شك في أهميته لمُتَطَلِّب معاني القرآن، وفهمه وتدبره، أن يُعْنَى بكتب التفسير في مختلف هذه المجالات.

وبناءً على هذا كله، فلن ندخل هنا في الحديث التفصيلي عن هذه المجالات من مجالات التفسير، وإلا لأخذنا في بحرٍ بعيداً عن موضوع هذا الكتاب.

(١) تحقيق د. عبد القادر حسين، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٢) لها عدة طبعات وعدة شروح، منها: طبعة بيروت - لبنان، دار مكتبة الحياة، ١٤٩٠هـ - ١٩٨٠م. وشرحها الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المتوفى سنة ١٤٢١هـ، طُبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ، وشرح د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٨هـ.

(٣) للمؤلف كتابٌ عنوانه: «منهج تفسير القرآن الكريم بين الالتزام بالمأثور عن السلف والاجتهاد المشروع للخلف: دراسة نظرية تطبيقية نقدية»، لعله يتزامن طبعه مع طبع هذا الكتاب، بإذن الله تعالى. وأراه مُهمّاً للإسهام في منهجية التفسير والتدبر.





على أنّه ينبغي الإشارة هنا إلى أنّ جهود الأئمة الفضلاء في باب التفسير، جهود مشكورة، وبالعلم مذكورة.

ومع ذلك فأنمتنا في التفسير غير معصومين من الخطأ، بل حصلت منهم أخطاء. وطالب تدبر القرآن وتفسيره، يتعين عليه العناية بالتفسير، وبتحرير أقوال المفسرين؛ لأخذ الصواب منها، وتخطي ما عداه.

وإنّ في بعض الموضوعات والمجالات في هذا الكتاب ما يُساعد على هذه المهمة ويُمنهجها.

كما أُلّفَت بعض المؤلفات في التصويب أو التصحيح أو النقد لبعض تفسير المفسرين، أو لنقد بعض مؤلفاتهم، رحمهم الله، وهي كتب كثيرة.

ومنها كتاب: «بدع التفاسير»، عبد الله بن الصديق الغماري، المتوفى سنة ١٤١٣هـ^(١).

وقد تبّع فيه ما رآه من أخطاء في تفسير القرآن سورةً، سورةً، من أوله إلى آخره، فعرض لمواضع في نحو خمسين سورة. وهو كتاب مفيد، بالرغم مما ظهر لي عليه من بعض المآخذ، وليس هذا موضع تبّعها.

(١) دار الكتبي، الطبعة مزيدة ومنقحة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

المطلب الثالث

أهمية كلٍّ من العلوم والمؤلفات الأولى، المؤسسة لعلم تدبر القرآن، واستخلاص دلالاتها

ونتناول هذا في وقفتين:

الوقف الأولى: أهمية كلٍّ منهما:

يأتي الوقوف عند هذه المؤلفات؛ لأهميتها البالغة؛ وذلك باعتبارها حَجَر الأساس لهذا العلم، الذي ربما غُفِلَ عنه كثيرٌ من الناس.

ولاسيما أنه قد كانت اللغة العربية -لغة القرآن الكريم- أهم ركائز هذا العلم، وأهم ركائز هذا النوع من مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته؛ وذلك لأهمية اللغة العربية وسيلة لفهم القرآن فهماً منهجياً صحيحاً؛ واستخراج دقائق القرآن ولطائفه وبلاغته وإعجازه...؛ وأهمية اللغة العربية وعلومها لامثال ما أَوْضَحَهُ اللهُ في كتابه عن حقيقة كتابه وأنه عربيٌّ؛ وأنه يجب أن يُتدبر ويُفهم ويُفقه على قانون لغته: اللغة العربية.

نعم، فليس المقصود من تناول هذا القسم من مصادر تدبر القرآن الكريم ومراجعته في هذا الكتاب الدخول في تفاصيل هذه المجالات ونماذجها كلها، كما لو كان الكتاب متخصصاً في هذه العلوم وهذه المجالات تخصصاً دقيقاً، وإنما هو





مَدْخَلٌ تعريفِي لا بد منه ليس إلا؛ وذلك لعدم إمكانية تنفيذ ذلك كله في كتابٍ واحد، وإنما المقصود: الإشارة المناسبة إلى هذه المجالات وإلى أهميتها؛ ليتعرّف عليها الدارس لكتاب الله؛ وليُطبّقها متى ما أراد، أو متى تمكّن من ذلك.

وحسبنا في هذا الكتاب أن يعرف القارئ هذه العلوم والوسائل، المساعدة على فهم القرآن، ومعرفة معانيه وأسراره - المتفرّع كثيرٌ منها عن اللغة العربية وفقهها وعلومها - وليُعرف طُرُق الوقوف على كنوز القرآن النورانية، وليُدرك أهميتها في باب التدبر، ثم يبقى هذا الباب مفتوحاً أمام الإنسان طوال حياته، طالما أنه حيٌّ، وطالما أن قلبه حيٌّ، وطالما أنه يفتح عينيه وعقله وقلبه على هذا الهدف الكبير، هدف فهم كلام ربه!

ويكفي هنا أن نُرشِد الدارس لكتاب الله، والمتطلّب معانيه وأسباب تدبره إلى هذه الطريق، أو هذه الطُرُق والمداخل، المساعدة على تحصيل القرآن وعلومه وتدبره، بصفة عامة، أو بصفة إجمالية؛ إرشاداً إلى سبيل الحصول على ثمرات التدبر الياينة الفريدة!

ولعل الحريص على التفقه في كتاب الله، الراغب في تدبره على ما ينبغي، أن يواصل طريقه مع كتاب الله: حفظاً، وتدبراً، وعملاً وتطبيقاً، وأن يجعل هذا كله من برنامجه في حياته كلها.

ويمكن ضرب أمثلة مختارة قليلة من بعض هذه الأبواب المشار إليها آنفاً...

حقاً، إن هذه الطريق، أو الطُرُق والمداخل، المساعدة على تحصيل القرآن وعلومه وتدبره، بصفة عامة، أو بصفة إجمالية، مداخلٌ مهمّة، فهي طريقٌ للحصول على ثمرات التدبر الياينة المسعّدة!

الوقف الثانية: استخلاص دلالات هذه الأنواع من العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة لعلم التدبر:

يُمكننا استخلاص دلالات هذه العلوم، ودلالات أنواع هذه المؤلفات التأسيسية المبكرة لعلم تدبر القرآن، المتناولة للتدبر بصورة غير مباشرة، فيما يلي:

مما يدلُّ عليه استعراض هذه المؤلفات، التأسيسية المبكرة لعلم تدبر القرآن، السابق ذكرها، أو ذكرُ مجالها العلمي، المتناولة للتدبر بصورة غير مباشرة:

١- تدل المؤلفات التأسيسية المبكرة هذه على أنها كانت تأسيساً علمياً مبكراً، على ما يشهد به تواريخ كتابتها، وتواريخ ولادة ووفيات مؤلفيها، رحمهم الله، وأنها لم تتأخر عن وقتها المناسب، ولو قال قائل: إنها تأخرت؛ لقال الإمام أبو عبيد، مثلاً، ولقال كتابه «فضائل القرآن»: كلا، كلا، بل ها أنا ذا قائمٌ بشهادتي لبيان الحقيقة؛ فأين تذهبون أيها المتقوّلون!

٢- وتدل على أنها جاءت مؤلفات فيها شمولية وموسوعية في مناقشة هذا النوع من العلم، وليست مقتصرة على جزئيات أو موضوعات جزئية فيما يتعلق بمجال هذا العلم.

٣- وتدل على أنها جاءت، أيضاً، مؤلفات تأسيسية تأسيسية، مبنية على البيان والاستدلال، لعلم تدبر القرآن، وعلوم القرآن، ومنهج فهم القرآن، ومنهج التعامل معه.

٤- وتدلُّ على أنها مؤلفات علمية متخصصة في القرآن، وفهمه، وتدبره، والتعامل معه، وإن لم تكن العناوين دائماً واردة باللفظ، لكنها في صميم المعنى وعين التخصص.



٥- ويدلّ مضمون هذه المؤلفات على حقائقٍ وواقعٍ علميٍّ؛ ينبغي لنا مراعاته والإفادة منه في عنايتنا بفهم القرآن، وتدبره، ومنهج التعامل معه. ومن هذه الحقائق: ما دلّت عليه هذه المؤلفات من بنائها، وبناء العلم فيها على أسسٍ علميةٍ، ضابطةٍ لهذا التخصص.

كتأسيس فهم القرآن وتدبره على اللغة العربية، وعلى العناية بها بمختلف علومها، والعناية بقواعدها النحوية، وعلم إعرابها، وعلم صرفها، وبأسس الاستعمالات اللغوية عند العرب، وبالعناية بمختلف دلالات المفردات والألفاظ، ودلالات أساليب اللغة.

وكتأليفهم كثيراً من أنواع المؤلفات، الخادمة لهذا المجال؛ فجاءت قواعدهم وأمثلتهم وشواهدهم فيها، شاهدةً بهذه الحقائق؛ ككثير من مؤلفات الإمام أبي عبيد، القاسم بن سلام، وكتاب الإمام السمرقندي، أبي النصر، شيخ المفسرين ببلده في زمنه، المتوفى بعد عام الأربع مئة الهجري، في كتابه «مدخلٌ لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، وما بنى الكلام عليه في هذا الكتاب العجب من علوم اللغة العربية المتخصصة الدقيقة! حتى إنه قد يصعبُ استيعابه على كثير من العرب الدارسين اليوم، أمّا ذوو الحصيلة اللغوية الكافية من الدارسين للقرآن وتدبره وتفسيره، فإنه مُتعةٌ لهم يسعدون بها!

ويدلّ مضمون هذه المؤلفات، أيضاً، على ارتباط هذا التأسيس العلمي فيها بأحاديث الرسول ﷺ؛ إذ جاء مَبْنَاهَا على الأحاديث النبوية، مُسَاقَةً بالسند إلى رسول الله ﷺ؛ وبهذا اكتمل مَبْنَى مادة هذه المؤلفات على أساس العلوم: القرآن الكريم، والحديث النبوي، واللغة العربية؛ فما أسعد المتلقّي لها بالفوز بالعلم والهدى!

٦- وأخيراً، أقول: كلُّ هذه الدلائل، المستخلصة من المؤلفات المبكرة هذه، تؤكد لنا ما أوضحناه سابقاً من أهمية اللغة العربية في الدراسات القرآنية

الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وفي العناية بتدبر القرآن ومصادر تدبره... وأهمية عناية دارس القرآن ومصادر تدبره بلغة القرآن، التي أنزله الله بها، وتحلّى به أهلها الناطقين بها؛ فهزّمهم، وأهمية عناية طالب علم التدبر بالحديث الشريف!

هذا كتاب الله، امتنّ الله على البشرية بنعمة إنزاله إليها، فكلّ ما كان لازماً لتدبره وفقهه، فهو يكتسب أهميته من أهمية موضوعه، وأهميته هدفه (القرآن الكريم).



الفصل الخامس



أمثلة تطبيقية على اختلاف دلالات كلٍّ من: الحروف، والمفردات، والأساليب، في الاستعمال القرآني واللغوي

وفيه التمهيد، والمطالب الآتية:

المطلب الأول: التنبيه لاختلاف معاني الحروف، واستعمالاتها، بحسب كلٍّ من سياقها، ودلالاتها اللغوية الأصلية، وأمثله.

المطلب الثاني: اختلاف معاني المفردة في القرآن بحسب دلالة كلٍّ من سياق ورودها، ومعناها اللغوي الأصلي، وأمثله.

المطلب الثالث: تعدُّد معاني الكلام في اللغة وفي القرآن، لاختلاف سياق الأساليب اللغوية، وأمثله.



الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على الحروف، والمفردات، والأساليب...

تمهيد:

إنَّ عِلْمَ معاني الحروف، وتنوُّع دلالاتها في اللغة العربية، وفي القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، وكذلك تعدُّد معاني الألفاظ والمفردات وتنوُّع دلالاتها، واستعمالاتها، في كلِّ من الاستعمال اللغوي والاستعمال القرآني، والاستعمال النبوي، عِلْمٌ أو علومٌ في غاية الأهمية، سواءً في تخصصات اللغة العربية، أو في تخصصات القرآن الكريم، ولا سيما في تدبره، وفي عِلْمِ التدبر وفي تخصص الحديث الشريف.

وإنَّ المتدبر للقرآن، والمشتغل بعلم التدبر، الذي يغفل عن هذا الباب، أو يتجاهله في تخصصه، سيقع في أخطاء فادحة، أو يُحصِّل تخصُّصه تحصيلًا ناقصًا.

ويُنَبغي عنايةً طالبِ التدبر ودارسِ القرآن الكريم بالأمثلة التطبيقية، وذلك فيما يتعلق بدلالات الاستعمال القرآني واللغوي، وملاحظة اختلاف معاني كلِّ من: الحروف، المفردات، والأساليب، للوقوف على أثر السياق في تحديد المعاني المقصودة بها، وأثر دلالة المعنى الأصلي في اللغة.

وسنضرب فيما يلي أمثلة تطبيقية على ذلك؛ يتَّضح بها المراد، ويتَّضح بها أهمية هذا الأمر لتدبر القرآن تدبراً منهجياً سديداً.

فليس أمرٌ تعدُّد المعاني وتنوُّع الاستعمالات مقتصرًا على تعدُّد دلالات اللفظة الواحدة وتنوُّعها، بل إنَّ الحرف في استعمالات اللغة العربية، أيضاً، قد تختلف دلالاته واستعمالاته من معنى إلى آخر، أو من استعمال إلى آخر، وهو بالتالي، يُؤثِّر في اختلاف دلالات الكلمات؛ لأنَّ الكلمات والألفاظ تتأثر معانيها وفُق تنوُّع معاني الحروف. ومعاني الحرف في الكلام تُعرف -في مختلف مواضعها- بسياق الكلام وقرائنه.



وَمِنْ هَذَا، مثلاً: أَثَرُ دخول الحروف على الأفعال، فتقول: وَقَفْتُ على هذا الأمر، ووقفتُ عنه، وتوقفتُ عنه، وتوقفتُ فيه؛ فتختلف المعاني بحسبِ هذا التغير في الحروف وفي الصياغة؛ ولهذا، أطلقوا عليها: حروف المعاني. إنها لغة غنيّة عجيبة!

وَمِنْ هَذَا، مثلاً: أَثَرُ ضبط الكلمة بحسبِ قواعدِ تصريف الأفعال؛ فمثلاً، هناك فرقٌ بين دلالة الفعل اللازم، والفعل المتعدّي، كما أنّ هناك فرقاً بين الفعل بهمزة التعديّة، والفعل بدونها، فمثلاً:

سَبَغَ، وَأَسْبَغَ، فليس معناهما واحداً، وإن كان أصلُ اشتقاقهما واحداً؛ وبالتالي: تقول: أَسْبَغَ الوضوءَ، يُسَبِّغُهُ، ولا تقول: يَسْبِغُهُ؛ وذلك لأنه مِنْ (أَسْبَغَ) لا مِنْ (سَبَغَ). وكم تنقلب المعاني بسبب الغفلة عن هذا الباب في اللغة! وكم يَحْصُلُ اللحن! وعلى هذا قال في «مُلحة الإعراب»:

وَضَمُّهَا مِنْ أَصْلِهَا الرِّبَاعِي ... نَحْوُ: يُجِيبُ مِنْ أَجَابِ الدَّاعِي^(١)

فتقول: (يُجِيبُ)؛ لأنها مِنْ (أَجَابَ)، ولا تقول في مضارع (أَجَابَ): (يَجُوبُ)؛ وإلا لانقلب المعنى إلى الفعل (جَابَ)، بمعنى جَابَ الأرضَ يَجُوبُهَا، أي: قَطَعَهَا مَشِياً! وكذا مثلُ: (جَارَ)، و(أَجَارَ)، فالمعنى مختلفٌ جداً بين الصيغة في الفعلين، وهكذا، فالأمثلة كثيرة، لا ينبغي أن تخفى على طالب التدبر.

وهذا كله ما سيُتَّضح كثيرٌ من جوانبه في هذا الفصل.

(١) الحريري، القاسم بن علي بن محمد أبو محمد، البصري، المتوفى سنة ٥١٦هـ، له عدة طبعات منها: القاهرة - مصر، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

المطلب الأول

التنبّه لاختلاف معاني الحروف بحسب كلٍّ من سياقها، ودلالاتها اللغوية الأصلية، وأمثله

إنّ اختلاف معاني حروف اللغة العربية، وتعدّد معانيها، واستعمالاتها، أمرٌ مستقرٌّ في اللغة العربية وفي استعمالاتها، ومستقرٌّ في استعمالات القرآن الكريم، والاستعمالات اللغوية.

ولتقرير تعدّد دلالات الحروف، لابدّ من الأمثلة لمعاني حرفٍ أو أكثر في الاستعمال اللغوي وفي الاستعمال القرآني، وهذا ما سيّضح لك في الأمثلة والأسطر الآتية:

أمثلة لمعاني حرف الألف في اللغة (أ):

(حرف الألف المفردة) حرفٌ يؤدي معاني متعدّدة، قال عنه في «المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم»^(١):

(١) د. نبيل عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، في ٢٢٨ صفحة، وهو اختصار لـ «معجم ألفاظ القرآن الكريم»، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذي كانت طبعته الرابعة في أكثر من (١٢٠٠ صفحة)، كما يقول صاحب المختصر. ويلاحظ على الكتاب عدّة ملحوظات وأخطاء. لم يُدقّق مؤلفه؛ فجاء بعض الكلام مختلاً في بعض المواضع؛ فلينبّه القارئ للتدقيق في الأخذ منه.



«الهمزة) أ: الحرف الأول من حروف الهجاء، وتُستعمل في القرآن للاستفهام، وتؤدي الهمزة، مع الاستفهام، معاني أخرى، أهمّها: التسوية، والإنكار، والتقرير، والتهكّم، والتعجّب»^(١).

أمثلة من القرآن الكريم لمعاني الهمزة هذه^(٢):

أ - من أمثلة إفادتها التسوية، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، [البقرة: ٦].

ب - من أمثلة إفادتها الإنكار، أو التهكّم قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾، [الأنبياء: ٤٣].

ج - ومن أمثلة إفادتها التهكّم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، [البقرة: ١٧٠].

د - ومن أمثلة إفادتها الاستفهام الحقيقي، قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَتَتْ فَعَلَتْ هَذَا إِسْرَافًا﴾، [الأنبياء: ٦٢].

هـ - ومن أمثلة إفادتها الاستفهام التقريري، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَْلَمُ الْغُيُوبِ﴾، [المائدة: ١١٦].

(١) المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، د.نبيل عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٧.

(٢) أورد معظم هذه الأمثلة الإمام ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن»، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ٢٧٥، فما بعدها، تحت «باب: مخالفة ظاهر اللفظ معناه»، وهو مما يندرج في باب الأساليب، وهو باب نفيس؛ فينبغي الإفادة منه.

الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على الحروف، والمفردات، والأساليب...

والأمثلة كثيرة جداً، وإنَّ المتخصص الملمّ باللغة العربية، إذا دَخَلَ في مختلف أبوابِ حروف المعاني؛ فسيرى أيَّ بحرٍ هو فيه مِنَ العلوم والمعاني في الكتاب العزيز! وهكذا ترى أنَّ حرف الهمزة المفردة، أو همزة الاستفهام، لها دلالاتٌ كثيرة مختلفة الأغراض والمعاني؛ فإذا رأيتَ الاستفهام بالهمزة في القرآن، فعليك استحضارَ هذا الأمر، وعليك مراعاته في تدبرِ الكتاب العزيز وفي تفسيره.

ومما ينبغي التنبيه له أنه قد كثر في القرآن تنوُّعُ أغراض الاستفهام بالهمزة بصورة مُلفتة للنظر، ولا سيما أنَّ هذا له علاقةٌ بأساليب الإيجاز والدقة، اللذين هما مما تميَّز بهما القرآن الكريم! وبهذا، ستري أنه إعجازٌ في اللغة، وإعجازٌ في الكتاب العزيز!





المطلب الثاني

اختلاف معاني المفردة في القرآن بحسب دلالة كلٍّ من سياق ورودها، ومعناها اللغوي الأصلي، وأمثله

إنَّ علومَ اللغة العربية، على وَجْهِ العموم، قد أُسِّست لخدمة اللغة العربية ذاتها، ولخدمة القرآن، ولخدمة حديث الرسول ﷺ.

وبعض هذه العلوم قد نُصِّوا فيها على خدمتها للقرآن الكريم والحديث الشريف، وبعضها معروفٌ عنه ذلك ضمناً.

والكتب الأولى، المؤسسة لتدبر القرآن -التي لم يَرِدَ فيها لفظة «تَدَبَّرَ» ومشتقاتها- مملوءةٌ بكثيرٍ من الأمثلة للأساليب اللغوية والقرآنية، الشاهدة بتقرير هذه الحقيقة، أعني: أنَّ معاني الحروف تتعدد وتتنوع، ومعاني الألفاظ، كذلك، تتعدد وتتنوع في الاستعمال اللغوي وفي الاستعمال القرآني في ضوء كلٍّ من سياقاتها الواردة فيها، وفي ضوء دلالة معانيها الأصلية في اللغة العربية.

وهذا أمرٌ أساسيٌّ في تدبُّر القرآن، وأساسٌ في علم التدبر، وأساسٌ في علم الدلالات اللغوية، ولذا فهو بابٌ مهمٌّ، ذو ارتباطٍ وثيقٍ بالصواب والخطأ في تدبُّر المتدبرين، وبالصواب والخطأ في تفسير المفسرين، وبالصواب والخطأ في استنتاجات المتكلمين في فقه القرآن والحديث.

الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على الحروف، والمفردات، والأساليب...

أسباب اختلاف معاني اللفظة الواحدة وتنوعها:

لا بد أن تعلم أن اللفظة الواحدة في اللغة العربية، قد تُستعمل في الدلالة على معانٍ كثيرة مختلفة، وهذا الاختلاف في معاني المفردة الواحدة في اللغة له أسباب:

- فمنها: تعدد معانيها بحسب الوضع في اللغة.
- ومنها: ارتباط دلالة المفردة باختلاف أساليب اللغة، فهناك فرق، مثلاً، بين كلمة «أسد» وفق معناها في الوضع اللغوي، بمعنى الحيوان المفترس المعروف، وكلمة «أسد» بمعنى تشبيه إنسان به في الشجاعة؛ فمن لا يُميّز في الاستعمال اللغوي بين الحقيقة والمجاز؛ تختلط عليه المعاني ودلالات الألفاظ. والكلام في هذا يطول.
- ومنها: اختلاف دلالة المفردة بتأثير السياق الواردة فيه؛ فالمفردة قد تأتي في سياق الكلام على الاستعمال على الحقيقة، وقد تأتي في سياق المجاز وأفانين البلاغة...، فليس معناها واحداً دائماً.
- وإليك بعض الأمثلة لذلك.

أمثلة لأثر اختلاف معنى اللفظة في القرآن بحسب سياقها وبحسب أصل دلالتها اللغوية:

فمن الأمثلة لأثر اختلاف معنى اللفظة في القرآن بحسب سياقها وأصل دلالتها اللغوية، الأمثلة الآتية:

المثال الأول: معنى (إيمانكم) في قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِ كَثِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّكَ إِلَهُهُ بِالْكَاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، [البقرة ١٤٣].

فكلمة (الإيمان) تأتي في اللغة العربية في أصل معناها العام بمعنى التصديق.



لكن معناها هنا هو: (صَلَاتِكُمْ)، وذلك على ما دل عليه سبب نزول الآية، بأنّ بعض الصحابة ماتوا قبل أن يُذَرِكُوا نَسْخَ الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ فستاءلوا عن إخوانهم أولئك؛ فنزلت الآية جواباً لهم.

فسمّى الصلاة إيماناً؛ وهو قول: ابن عباس، والبراء بن عازب، وجماعة من التابعين. واعتمده البخاري في صحيحه، والترمذي في سننه^(١).

قال في «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ».

«... وجعل الصلاة إيماناً في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، [البقرة: ١٤٣] أي: صَلَاتِكُمْ نحو بيت المقدس. والمعنى: تصديقكم بأمر القبلة، وذلك أن المنافقين وغيرهم لما حُولت القبلة، قالوا: فكيف بمن مات قبل ذلك؟ قاله المنافقون استهزاءً؛ والمؤمنون تحزناً على الموتى؛ واستفساراً عن حالهم»^(٢).

وهكذا ترى كيف جاءت هذه الكلمة على غير معناها اللغوي الأصلي، فلو فسرتها به لأخطأت، لكن، بإعمال القرائن اتضح المعنى المراد.

المثال الثاني: تنوّع معنى كلمة «لسان» في القرآن:

جاءت كلمة «لسان» في اللغة العربية وفي القرآن على معانٍ كثيرة.

ومن دلائلها ما جاء منها في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

- قوله تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (٢٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨)، [طه: ٢٧-٢٨].

(١) ذكر هذا عدد من المفسرين وغيرهم، وانظر مثلاً: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، أبو عمر، ابن عبد البر، القرطبي، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م، ٦/ ٣٨٤، و ٩/ ٢٤٥.
(٢) ١٢٥/ ١.

الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على الحروف، والمفردات، والأساليب...

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبْنِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّثَبِّتٌ﴾، [النحل: ١٠٣].
- وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، [الشعراء: ٨٤].
- وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، [القيامة: ١٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾، [الشعراء: ١٣].
- وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، [مريم: ٥٠].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾، [القصص: ٣٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، [الأحقاف: ١٢].
- وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾، [المائدة: ٧٨-٧٩].

فكلمة «لسان» في هذه الآيات، ليس معناها كلها واحداً، ويُعرف معنى كل موضع من مواضعها بدلالة السياق والقرائن، إضافة إلى ملاحظة معناها الأصلي في اللغة. ومن يجهل التفريق بين دلالة الكلام على الحقيقة ودلالته على المجاز، لن يدرك معاني كلمة «لسان» في هذه المواضع السابقة من الآيات، وستختلط عليه دلالاتها.



إنَّ المتدبر للقرآن الكريم، الذي لا يعرف الفرق بين دلالة الكلام على الحقيقة ودلالته على المجاز، ولا يلتفت إلى هذا؛ فإنه تختلط عليه المعاني المرادة بالكلام.

وهكذا فإنَّ معنى «لسان» في هذه الآيات ليس معنىً واحداً، وإنما قد يُراد به:

- ١ - معنى الحقيقة، وهو هذا العضو، أو الآلة الجارحة في الإنسان (اللسان).
- ٢ - وبعضها مرادُّ به المعنى المجازي، ومن ذلك أن يُراد به الذِّكر الحسن بين الناس.
- ٣ - ويُطلق اللسان في القرآن، أحياناً، ويُراد به: اللغة، التي تختلف باختلاف الشعوب...

ولك أن تتأمل هذه الآيات السابقة، وتفرّق فيها بين معانيها، وأيها المراد به هذا المعنى أو ذاك؟

وهذا مما يؤكد أهمية القول بارتباط تدبر القرآن وتفسيره بالإلمام بعلوم اللغة العربية، وعلوم البلاغة، بما فيها التفريق بين الدلالة على الحقيقة والمجاز.

وهذا مما يؤكد قولنا بأنَّ من مصادر تدبر القرآن وتفسيره: تلك المؤلفات في مختلف فنون اللغة العربية، لغة القرآن، التي بأصولها وقواعدها واستعمالاتها تظهر معاني القرآن ودقائقه، وبلاغته، وعجائبه، وهذا بالرغم من أنَّ كلمة «تدبر» ومشتقاتها، قد لا تكون مذكورة في هذه العلوم والمؤلفات!

إذن، ينبغي للمعني بالقرآن الكريم، وتدبره، وتفسيره، أن يُراعي هذه الحقيقة، ويعمل بمقتضاها، ويُطبّقها في برنامجه النظري والتطبيقي في سعيه لتحقيق تخصصه في تدبر كتاب ربه عز وجل، فيتخذ مختلف الأسباب والوسائل لتكوين نفسه علمياً لمهمة تدبر الكتاب العزيز، وللتأهل لهذه المهمة الشريفة المنيفة؛ للظفر بإدراك معاني كتاب ربه، والسرور بتدبرها، والسموّ بعقله وفكره إلى كمالات صُحبة الكتاب العزيز!

وإنما يظفر بهذا الشرف من أتى الأمور من أبوابها؛ حتى صار من أربابها؛ فامتلك الأهلية لتدبر القرآن، ولحسن صحبته، والحياة به، والحياة معه، والحياة لأجله!

الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على الحروف، والمفردات، والأساليب...

حقاً، إنّ الأساليب اللغوية في كلِّ من اللغة وفي القرآن الكريم، عالمٌ من الإعجاز، والسموّ، والعَجَبِ الذي لا ينتهي!

اللهم نسألك من فضلك.

المثال الثالث: أمثلة للتفريق بين حمل الكلام على الحقيقة أو المجاز:

سبق أن قلنا: إنّ مَنْ يجهل، أو يتجاهل التفريق بين دلالة الكلام: بين الحقيقة والمجاز، فلن يفقه المراد بكثيرٍ من عباراتِ وألفاظِ القرآن والحديث الشريف، فلن يُدرك معنى قول الله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ مَخْتَلَتُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْلَيْلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، لن يُدرك المعنى المراد، مثلاً: بقوله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، وأنه ليس هو الخيط على الحقيقة، وإنما المراد به التفريق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب، وهو الأمر الذي وقع فيه الصحابي عدي بن حاتم رضي الله عنه حين أحضرَ حَبْلَيْنِ: أبيضَ وأسودَ، وهو يَتَسَحَّرُ، وجعلَ يأكل ويشرب وينظر إليهما؛ فاستغرب الرسول ﷺ فهمه، ووصَّفه بأنه (عريض الوِساد)^(١)؛ كنايةً عن عدم الفطنة!

المثال الرابع: الإفادة من دلالة الاستقراء لاستعمال الحروف والكلمات والأساليب في الكتاب العزيز:

حسبي أن أقول هنا: إنّ من المهم في تدبر القرآن وتفسيره: مراعاة دلالة الاستقراء لأساليب القرآن في الكلام عن المعاني والأشخاص والأشياء، وفُق النظر

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٠٩)، وأخرجه غيره.



إلى البحث عن كلٍّ من اللفظ والمعنى، وعدم الاقتصار على النظرة اللفظية أو الحرفية فقط، وذلك - كما قلْتُ سابقاً - كالبُحث عَمَّا جاء في القرآن بشأن التدبر، على كلٍّ من اللفظ والمعنى، وإلا ستكون النتائج ناقصةً أو مختلّةً.

وهذا كله مما يُؤكّد سدادَ تقسيمنا لمصادر التدبر ومراجعته إلى أقسام موضوعية، لا أقساماً لفظيةً فقط؛ ولذلك كان النوع الأول من هذه المصادر هو: (الكتابات والمؤلفات المؤسّسة للتدبر، التي لم تُرد فيها كلمة «تدبر» ومشتقاتها).

وهذا الأمر بابٌ واسعٌ، فلو بحثت في الكتاب العزيز، بحثاً استقرائياً لاختلاف الاستعمال القرآني في التعبير عن المعاني في نطاق الحروف، ونطاق الكلمات، ونطاق الأساليب؛ لظَهَرَ لك العجبُ العجائب من الدقّة والإتقان في التعبير عن مختلف المعاني في مواضعها، المتنوّعُ ورودها فيه.

المثال الخامس: مراعاة اختلاف معنى الكلمة أو الكلام بحسب الظاهر وعدمه:

نعم، الكلام في اللغة العربية، يختلف معناه، بحسب ظاهره، وبحسب عدم إرادته ظاهراً، وهكذا الحال بالنسبة للكلمة.

وإليك بعض الأمثلة:

فكلمة (خَيْر)، مثلاً: تأتي بمعنى الخير ضدّ الشرّ، وتأتي (خير) بمعنى المال، وتأتي (خَيْر) بمعنى (الخيّل)، وتأتي (خَيْر) أفعل تفضيل... إلخ.

وسأذكر بعض الآيات التي وردت فيها كلمة (خَيْر)، وأترك لك واجب إنزال كلٍّ منها على المعنى المراد بها من المعاني التي أشرت إليها أعلاه، فمن هذه الآيات:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءِامَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، [فصلت: ٤٠].

الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على الحروف، والمفردات، والأساليب...

- وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، [سورة ص: ٣٢].

- وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، [الأنبياء: ٣٥].

- وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، [البقرة: ١٨٠].

ومن ذلك، أيضاً: استخدام كلمة (فتنة) في مختلف معانيها المختلفة، فارجع إليها في معاجم اللغة، وفي الاستعمالات القرآنية، والاستعمالات الحديثية؛ لتري الفرق بين معانيها، وأهمية إنزالها في كل موضع وردت فيه على المعنى الذي أريد بها، وتري أهمية فقه هذا الباب لفقه وحي الله وحسن تدبره!

ومن الأمثلة، كذلك، كلمة (الأمر)، التي وردت في القرآن في مواضع على معانٍ مختلفة، قد دلَّ عليها السياق ودلَّ عليها أيضاً، أضلَّ معناها في اللغة^(١).

ومن الأمثلة الموضحة لبعض أسباب اختلاف دلالة الكلمة الواحدة في اللغة العربية: ما يُسمَّى بُلُغَةُ الأضداد، حيث تأتي بعض الكلمات في اللغة مستعملة في معنيين متضادين، ويُعرَف المراد بها في الحالين بالقرائن في الكلام، مثل استخدامهم كلمة (سليم) في معناها الظاهر، واستخدامهم لها بمعنى لَدِيغ، أي: الذي لدغته سامة، مِن حَيَّةٍ أو ثعبانٍ، أو عقربٍ؛ وذلك تفاؤلاً منهم. ومن هذا إطلاقهم كلمة (مَفَازة) على الصحراء المَهْلَكَة؛ تفاؤلاً منهم، ويُدرَك المعنى المراد بالقرائن في الكلام، فَمَن كان بعيداً عن هذا المجال في اللغة، فأتى له إدراك المعاني في مثل هذه المواضع!

إلى آخر ما هنالك من الأمثلة، لكن أتجاوز الاسترسال في ذكرها؛ اختصاراً.

(١) انظر معانيها فيما ذكره ابن قتيبة في تأويل مُشْكَل القرآن، ص ٥١٤ - ٥١٥.



المطلب الثالث

تعدد معاني الكلام في اللغة وفي القرآن، لاختلاف سياق الأساليب اللغوية، وأمثله

تختلف الأساليب اللغوية في الكلام؛ فيختلف معنى الكلام المراد حينئذٍ تبعاً لاختلاف هذه الأساليب، ومن ليس لديه إلمام باللغة العربية وأساليبها، تختلط عليه المعاني المرادة بالكلام.

وإليك بعض الأمثلة:

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ...﴾ [البقرة: ١٢١]، قال ابن عباس: «يتبعونه حق اتباعه». قال عكرمة: «ألا ترى أنك تقول: فلان يتلو فلاناً، أي: يتبعه؟» ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا لِلَّهَا ②﴾ [الشمس: ١-٢] أي: تبعها^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿... فَنبذوه وراء ظهورهم ...﴾ [آل عمران: ١٨٧] قال فيه الشعبي: «أما إنه كان بين أيديهم، ولكن نبذوا العمل به»^(٢)، كما مر في موضع سابق.

(١) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص ١٧٩.

(٢) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص ١٨٣، تحقيق د. مروان العطية، المملكة العربية السعودية - الرياض، الخزانة الأندلسية، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ.

الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على الحروف، والمفردات، والأساليب...

فالمرادُ بهذا هو المعنى المجازي، لا الاستعمال في الحقيقة؛ إذ السياق يدلُّ على ذلك، فالمعنى هو: فأعرضوا عنه.

٣- وقول الرسول ﷺ: (ذاك رجلٌ لا يتوسَّدُ القرآنَ)^(١). وقد مرَّ هذا الحديث في الكلام عن العلوم المبكرة المؤسسة للتدبر.

٤- من أمثلة تنوع دلالات الألفاظ في استعمالات اللغة، واستعمالات القرآن، بحسب أثر السياق، قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾، [الأنبياء: ٤٢]، فهذا استفهامٌ، لكنه ليس استفهاماً حقيقياً؛ فالله سبحانه لا تخفى عليه خافية؛ فهو سبحانه لا يسأل أحداً من خلقه سؤالَ مَنْ خفيت عليه حقيقة الأمر، وإنما هو استفهامٌ تقريرى، المراد به إقامة الحجة في ذلك اليوم على المشركين، الذين عبدوا عيسى مشركين إياه مع الله، تعالى وتقدس عن خلقه!

٥- ومن أمثلة إفادة الاستفهام التعجب، قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ^(٣)، [النبا: ١-٢].

ولك أن تتبَّع كثيراً مما كُتب عن حروف المعاني ودلالاتها، واختلافها من استعمالٍ إلى استعمالٍ^(٤).

وكذلك أن تتبَّع أثر اختلاف الحركات في ضبط الكلمة في اختلاف معانيها.

وكذلك أن تتبَّع أثر التنوين والقطع عن الإضافة، والفرق في المعنى بينهما؛ فترى في ذلك كله العجب من عجائب هذه اللغة ودقائقها.

(١) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص ١٧٩. والحديث أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٥٧٢٤) وكرره برقم (١٥٧٢٥)، طبعة الرسالة، والنسائي برقم (١٧٨٣).

(٢) يُنْظَر، على سبيل المثال، ما ذكره ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن، في «باب تفسير حُرُوف المعاني وما شاكلها من الأفعال، التي لا تُنْصَرَفُ»، صفحة ٥١٧ - ٥٩١، ففيه علمٌ كثير، ودقائق في اللغة لا يستغني عنها طالب العلم، وطالب التدبر.



وأرى من المهم أن ترجع في هذا كله إلى الإمام ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» في مواضع منه، منها، مثلاً:

- «باب الكناية والتعريض»، ص ٢٥٦ - ٢٧٤.

- «باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة»، ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

- «باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض»، ص ٥٦٥ - ٥٧٨.

وانظر طرفاً من هذا، مثلاً، عنده في مواضع وموضوعات أخرى في كتابه هذا، وسواه من مؤلفاته^(١).

وأترك الاسترسال في ذكر الأمثلة على ذلك؛ اختصاراً.

(١) وانظر فيه، مثلاً: معنى «الروح» وضبطها، واختلاف معانيها بحسب اختلاف ضبطها، واختلاف استعمالاتها في اللغة، ص ٤٨٥-٤٨٨، إلى آخر ما هنالك.

الفصل السادس



نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر، التي لم تنص عناوينها على التدبر

ويتناول ثلاثة نماذج من هذه الكتابات:

وَفَقَّ المباحث الآتية:

المبحث الأول: كتاب «فضائل القرآن»، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي،
(١٥٧-٢٢٤هـ) وأمثلة منه.

المبحث الثاني: كتاب «تأويل مشكل القرآن»، أبو محمد، عبد الله بن مسلم
بن قتيبة، (٢١٣-٢٧٦هـ) وأمثلة منه.

المبحث الثالث: كتاب «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، أبو النصر، أحمد بن
محمد بن أحمد السمرقندي، الحدادي، (المتوفى بعد الأربعمئة)
وأمثلة منه.



تمهيد:

نسوق هنا الكلام عن نماذج مُهمّةٍ من نماذج الكتابات الكثيرة المبكرة المؤسسة للتدبر، لم تكن عناوينها مشتملةً على التدبر بصورة مباشرة، ونحدث عنها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: «فضائل القرآن»، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، ١٥٧ - ٢٢٤ هـ، تحقيق الدكتور مروان العطية، (المملكة العربية السعودية - الرياض، الخزنة الأندلسية، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣ هـ، مزينة ومُنقّحة).

المبحث الثاني: «تأويل مشكل القرآن»، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ٢١٣-٢٧٦ هـ، تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، (القاهرة، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م)، علماً بأنّ ممّا يكمّل هذا الكتاب في مجال غريب ألفاظ القرآن كتابه: (تفسير غريب القرآن)، فكلاهما مكملٌ للآخر...

المبحث الثالث: «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، السمرقندي، أبو النصر، أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي، الحدّادي، المتوفى بعد (الأربعمئة)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، (دار القلم - دمشق، ودارة العلوم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م). وهو من الكتب المنهجية المتقدمة، المؤكّدة على اللغة العربية أساساً لفقه القرآن الكريم.



المبحث الأول

كتاب «فضائل القرآن»، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، وأمثلةٌ منه^(١)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المؤلف الإمام أبو عبيد، رحمه الله.
المطلب الثاني: كتاب: «فضائل القرآن»، وأمثلةٌ منه.

المطلب الأول

المؤلف الإمام أبو عبيد، رحمه الله

عاش المؤلف الإمام أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، ١٥٧-٢٢٤هـ، في هذه الفترة الزمنية المجيدة، المتقدمة من تاريخ الإسلام، ومن تاريخ علومه، وهذا يُعطي أهمية لهذا الإمام ولمؤلفاته، القربة العهد بزمان رسول الله ﷺ.

وكان الإمام أبو عبيد إماماً في مختلف العلوم، ولا سيما في القرآن وعلومه وفقهه، وفي الحديث الشريف وفقهه، وفي اللغة العربية.

(١) تحقيق الدكتور مروان العطية، (المملكة العربية السعودية - الرياض، الخزانة الأندلسية، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ، مزودة ومُنقحة).

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وإنّ مما يلفت النظر -بإكبار وإعجاب في شخص هذا الإمام-: تعمّقه في اللغة العربية وعلومها ودقائقها، رُغم أنه في الأصل أعجمي! وهذا إنما هو بتوفيق الله تعالى، ثم بنباهة هذا الرجل وذكائه، وجِدّه واجتهاده في تحصيل العلوم.

وهنا ينبغي الإشارة -بسرور وإعجاب- إلى طبيعة هذه اللغة العربية وعظمتها، وقابليّة اكتساب الأعجمي لها، بل وفتح الباب له فيها، ليُصبح إماماً من أئمتها، كما لو كان عربيّ الأصل.

ويعلم الله كم يأسرني أبو عبيد بإمامته في اللغة العربية، وبإعماله اللغة وعلومها في خدمة وحي الله: القرآن الكريم، والحديث الشريف!

ويعلم الله كم يأسرني أبو عبيد، أيضاً، بهذا الجمع في علمه بين الكتاب والسنة واللغة، جمعاً جعل منهجه منهجاً أقرب للدقة والتحقيق في خدمته لعلوم الوحيين! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء!

وقد ألف الإمام أبو عبيد الهرويّ عدة مؤلفات رائعة في مختلف الفنون العلمية، ولا سيما في القرآن وعلومه، والحديث الشريف، واللغة العربية، وبلغت مؤلفاته ربما نحو (٥٥) كتاباً، ما بين كبير وصغير، ولك أن تتصوّر كيف وصلت مؤلفاته إلى هذا العدد في ذلك الزمان، الذي لم تكن وسائله وإمكاناته على ما هي عليه في عصرنا اليوم!

وتميّزت مؤلفاته بأصالتها، وباستقامة منهجه فيها، وبإيراد مادتها بالأسانيد على وجه العموم، وهذه ميزة علميّة لها أهميّتها؛ وذلك لما لذكر الأسانيد من أهمية في توثيق المادة العلمية.

واختار أبو عبيد الكتابة في موضوعات علمية جادة مطلوبة، وعُني فيها بالتأصيل المنهجيّ، فجاءت مؤلفاته مصادر مهمّة في باب تقرير هذه العلوم.





واتَّسم أسلوبه بالثبوت، والتدقيق والتحقيق، والأمانة، وحُسن الكلام، وجزالة اللغة، وتركيز في الاهتمام، وعناية بالثبوت، أيضاً، في الفهم والرأي..

وإنك كلما قرأت لأبي عبيد، القاسم بن سلام، لا تملك إلا الدعاء له والإعجاب به، وبجهوده المستقصية، وذكائه وفطنته، والإعجاب، كذلك باستقصاء بحث الموضوع الذي يكتب فيه!

رحمه الله رحمةً واسعةً، وجزاه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين، وعن كتاب الله، وحديث رسوله ﷺ، واللغة العربية وعلومها.

وقد جاءت حياته مثلاً وقدوةً حسنة للعالم المخلص، المكتمل الأهلية العلمية، مع الشمول في جمعه لمختلف المجالات العلمية، الجامع بين النظرية والتطبيق فيما كتبه في مؤلفاته! على أنه ليس بالمعصوم من الخطأ، وقد نقدَه الإمام ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» وغيره في بعض آرائه في كتابه «تفسير غريب الحديث»، بعبارات كلها أدبٌ وسُمُوٌّ وفصاحةٌ تُطربُ قارئها، بغضّ النظر عن الرأي المختار في ذلك.

المطلب الثاني

كتابه: «فضائل القرآن»^(١)، وأمثلة منه

هذا الكتاب يُعدُّ من المؤلفات المؤسسة للتدبر، بالرغم من عدم النص في عنوانه على التدبر، أو على شيءٍ من مشتقاته، بل سمّاه مؤلفه بأنه في (فضائل القرآن).

ولابدَّ أن نَقِفَ وقفاتٍ عند كتاب الإمام أبي عبيد، القاسم بن سلام هذا، رحمه الله ورضي عنه، وقفاتٍ نَقْطِفُ فيها بعض أزهار الكتاب العلمية الإيمانية القرآنية الفريدة، ونَعْرِفُ طَرَفاً من شأن هذا الكتاب!

وذلك رجاء الاقتباس من أزهاره وأنواره، ذات الشذى الفيّاح بَعَبَقِ تلك الفترة المجيدة، التي عاشها المؤلف غير بعيدٍ عن زمن النبوة وأنفاسها! وربما أطلتُ الكلام عن هذا الكتاب، نوعاً ما؛ لِسَبْقِهِ وأصالته في هذا الباب؛ وكونه من أهم

(١) رأيتُ له طبعين: الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣ هـ، مزينة ومُنقّحة، تحقيق د. مروان العطية. وطبعة بدراسة وتحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة فضالة، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، وهذه الطبعة قد جاءت فيها فوائد في تحقيقه وتعليقاته وفي ترجمته لأبي عبيد، لكنها طبعة قديمة بالنظر لطبعة د. مروان العطية، الذي أوصل عدد مؤلفات أبي عبيد إلى نحو ٥٥ مؤلفاً، بينما الذي انتهى إليه محقق الطبعة المغربية هذه هو ٤٣ كتاباً، ولعل ترجمته في الطبعة المغربية أكثر فوائد من ترجمته عند د. العطية؛ ربما لتخصّص الخياطي في الحديث؛ فكان أقرب إلى مظان ترجمته، وفي كلٍّ من الطبعين خير، والكتاب من أوّل ما كُتِبَ في فضائل القرآن، وربما لم يسبقه في هذا سوى الشافعي. ولهذا، اخترنا هذا الكتاب ضمن المصادر المبكرة المؤسسة للتدبر، واخترنا منه عدداً من الأمثلة.



المصادر المؤسسة لعلم التدبر بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، رُغم أن عنوان الكتاب لا يُشير إلى هذا!

وقبل الحديث عن هذا الكتاب، لا أمْلِكُ إلا أن أَسْتَهْلَ الكلام بالدعاء للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام، وكُنْتُ لا أعرفه، لكن عَرَفْتُهُ، وعَرَفْتُ كَلَامَهُ وأنفَاسَهُ وعَقْلَهُ وذَكَاءَهُ وزَكَاءَهُ؛ فَأَنْعَشَنِي، وَأَسْعَدَنِي، وَأَسْرَنِي، وَخَطَفْتُ أَنْوَارَهُ عَقْلِي وَلُبِّي، فَاللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى أَنْ تَرْحَمَ الْإِمَامَ أَبَا عبيد، الْقَاسِمَ بْنَ سَلَامٍ، وَتَغْفِرَ لَهُ، وَتَرْفَعَ دَرَجَاتِهِ عِنْدَكَ فِي الْأَثْمَةِ الْمَهْدِيِّينَ، وَالْعِبَادِ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ، وَأَنْ تَجْزِيَهُ عَنَّا وَعَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْعِلْمَ خَيْرَ الْجَزَاءِ!

ونتناول الكلام عن الكتاب في أمرين:

الأول: من مميزات الإمام أبي عبيد وخصائص كتابه:

ولا أحصي، وإنما أذكر بعض ما ظهر لي من خصائص هذا الإمام وكتابه هذا في التالي:

١- أن مؤلف الكتاب أبا عبيد صاحب رأي ناقد، فتراه يُعلّق تعليقات علمية في مواضعها المناسبة، فيقبل، ويردّ، ويرجّح، ويستدل استدلالاً عالم محقّق، ولا سيما وهو الإمام المتفنّن في مختلف الفنون العلمية.

٢- أنه يسوق مادته العلمية بالسند، في الجملة، لا كلاماً مُرْسَلاً بدون أسانيد.

٣- أن أغلب مادة الكتاب هي أحاديث نبوية، بأسانيدها، وهي أسانيد قصيرة؛ وذلك لقرب عهد المؤلف من زمن رسول الله ﷺ. وهي أحاديث فيها الصحيح والضعيف.

٤- اشتمل الكتاب على بعض الآثار عن الصحابة والتابعين، وهي من نفيس مادة الكتاب، المهمة المفيدة، حين تكون ثابتة، أو ضعيفة لكنها في أمر له أصل.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٥- من غنائم هذا الكتاب تعليقات مؤلفه أبي عبيد، العلمية الذكية القيمة، واختياراته وترجيحاته، التي تتسم بالإحكام، وبعدم التطويل، على ما تراه -مثلاً- في فوائد الكتاب في باب وسائل التدبر وأسبابه، التي أوردت بعضها في الفقرة الآتية بعنوان: (فوائد في التدبر من «فضائل القرآن»، أبو عبيد).

٦- من أهم خصائص كتاب (فضائل القرآن)، أبو عبيد، أنه محدود في أوائل من كتب في فضائل القرآن، إن لم يكن هو الأول، وكذلك كتابه هذا هو في أول ما كتب في علوم القرآن، الجامعة لأكثر من علم من علوم القرآن، إن لم يكن أول المؤلفات من هذا النوع.

٧- أن كتاب (فضائل القرآن)، يُعدّ -على وجاهته- موسوعة شاملة عن القرآن وعلومه وآداب التعامل معه وخدمة تدبره وحسن فهمه، فاشتمل على كثير من المعلومات في هذا المجال، وهذا بالرغم من أن مخطوطه جاء في نسخة (٦٤) ورقة، وفي نسخة (١١٨) ورقة، وجاء بعد التحقيق في (٦٨٠) صفحة، بالفهارس، وبدونها في (٥٣٩) صفحة بالتقديم والدراسة للكتاب، الذي جاء في نحو (٦٠) صفحة. وقد جاء تحقيقه تحقيقاً جيداً، لكن فيه أخطاء مطبعية كثيرة^(١).

٨- والملحوظة المهمة هي أن هذا الكتاب قد صار لدى الأئمة الذين جاءوا من بعده؛ عمدة وأصلاً مهماً في نقل ما أورده الإمام أبو عبيد من الأحاديث والآثار، وبدا هذا واضحاً من كثرة العزو إلى كتابه هذا في كثير من كتب تخريج الروايات، وكتب الحكم على الروايات.

(١) طبعة د. مروان العطية، وباقي الإحالات هي إحالات إليها، ما لم أنص على الطبعة المغربية. وقد جاءت الطبعة المغربية بعنوان: «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه»، وهذا العنوان مذكور في مخطوط الكتاب. لكن اشتهر الكتاب بالاسم مختصراً: (فضائل القرآن).



الثاني: فوائد من كتاب «فضائل القرآن» في وسائل التدبر وأسبابه:

عَقَدَ الإمام أبو عبيد عناوين في الكتاب شاهدةً بعنايته بوسائل التدبر وبأسبابه، تكلّم تحتها بما يُناسبها من المعاني والفوائد، ومنها العناوين الآتية:

- ١- «تعظيم القرآن».
- ٢- «تعظيم قدر حامل القرآن».
- ٣- «معرفة فضائل القرآن».
- ٤- «معرفة أهمية تدبر القرآن».
- ٥- «معرفة آداب القرآن».
- ٦- الوقوف على حديث: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ...) الحديث^(١).
- ٧- الوقوف على حديث: (إِنَّ كُلَّ مُؤَدَّبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى أَدْبُهُ، وَإِنَّ أَدَبَ اللَّهِ الْقُرْآنَ)^(٢).
- ٨- وما رواه الأعمش، قال: «مَرَّ أَعْرَابِيٌّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْمًا الْقُرْآنَ، أَوْ قَالَ: وَعِنْدَهُ قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَقْتَسِمُونَ مِيرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٣).

(١) ص ٨٢-٨٣. وفي سنده عند أبي عبيد (أبو إسحاق الهجري)، هو: إبراهيم بن مسلم العبدی، قال أبو حاتم: لَيْسَ الْحَدِيثُ، لَيْسَ بِقَوِيٍّ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ: ضَعِيفٌ. رَوَى لَهُ ابْنُ مَاجَه. والحديث عند عبد الرزاق في مصنفه برقم (٦٠١٧)، وعند ابن أبي شيبة في مسنده برقم (٣٧٦)، وفي مسند الدارمي في مواضع، منها برقم (٣٣٥٠)، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (٨٦٤٦)، وسواهم. وفي ضبط كلمة (مأدبة) نقل الإمام ابن حجر عن الرَّامِهُزْمِيِّ فِي حَدِيثِ: (الْقُرْآنُ مَأْدِبَةُ اللَّهِ): «وَقَالَ لِي أَبُو مُوسَى الْخَامِضُ: مَنْ قَالَهُ بِالضَّمِّ أَرَادَ الْوَلِيْمَةَ، وَمَنْ قَالَهُ بِالْفَتْحِ أَرَادَ أَدَبَ اللَّهِ الَّذِي أَدَّبَ بِهِ عِبَادَهُ»، فتح الباري، ١٣/ ٢٥٥.

(٢) ص ٨٤. هذا لفظه عند أبي عبيد القاسم بن سلام، وأخرجه الدارمي في سننه برقم (٣٣٦٤). وبلغظ: (لَيْسَ مِنْ مُؤَدَّبٍ إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى أَدْبُهُ، وَإِنَّ أَدَبَ اللَّهِ الْقُرْآنُ)، وغيره.

(٣) ص ٨٤-٨٥. والحديث ذكره ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري برقم (٤٥)، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم (١٨٥٣)، وابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ١/ ٣٧.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

٩- «بيان أنه يُستحب البكاء عند قراءة القرآن»^(١).

١٠- «بيان أنه يُستحب للقارئ إذا مرّ في قراءته بذكر الجنة من المسألة، وبذكر النار من التعوذ»^(٢). و«باب استحباب تكرار الآية وتَرَدّدها»^(٣).

وسأختار أربعة فقط من هذه العناوين، وأذكر شيئاً مما أورده أبو عبيد تحتها، وهي:

العنوان الأول: ما يُستحب لقارئ القرآن من الجواب عند الآية والشهادة لها^(٤):

وإليك بعض الأمثلة التي أوردها أبو عبيد من هذه المواضع التي ينبغي للقارئ مجاوبته فيها للآيات والشهادة والتصديق لها^(٥):

- عن عبد الله بن السائب، قال: أخطر عمر بن الخطاب، كرم الله وجهه، العشاء الآخرة؛ فصليت، ودخل فكان في ظهري، فقرأت: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾، [الذاريات: ١]

(١) ص ١٨٩.

(٢) ص ١٩٧.

(٣) ص ٢٠٠.

(٤) ص ٢٠٦-٢١٤.

(٥) أذكرها على سبيل الإيجاز، وربما حذف الأسانيد، أو حذف منها. علماً بأن إمامنا أبا عبيد، رحمه الله ورضي عنه، في بعض ما أورده من أسانيد مجالاً للبحث والنظر في ضوء أصول منهج المحدثين؛ إذ بعضها قال فيه أنه لم يحفظ سنده، وفي بعض أسانيدها مبهمون أو مجهولون، لكن، لم يدخل في اهتمامي -في هذه الطبعة من الكتاب- تتبع هذه الروايات كلها وتخريجها؛ إذ هي تستغرق وقتاً لا يتوفر لديّ حالياً. ومن المهم العلم بأن مجموع ما ذكره الإمام في هذا الباب ثابت، في الجملة، بهذه الأحاديث وهذه الآثار، بالرغم من أن بعضها واضح عدم ثبوته، لكن، ليس كلّ حديث ضعيف مردود، وإنما يخضع هذا لأمر وقرائن، فليس الضعف على درجة واحدة، وليس الحديث الضعيف فيما ليس له أصل، كالضعيف فيما له أصل.

وقد ضرب أبو عبيد بهذا البيان، حينما يقول: «لم أحفظ سنده» مثلاً للصدق والأمانة في النقل، أحسن الله إليه. علماً بأن أبا عبيد -كما سبق أن قلت- معدود في أول المصادر في هذا الباب في ذلك العصر، الذي عاش فيه، واعتمد عليه كثير ممن جاء بعده من الأئمة المحدثين وسواهم.



حتى أتيت على قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، [الذاريات: ٢٢] فرفع صوته حتى ملأ المسجد: «أشهد».

- قال أبو عبيد: حدثنا عباد بن العوام، عن سعيد بن إياس الجريري، عن جعفر بن إياس، قال: دخل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسجد، وقد سبق ببعض الصلاة، فنشب في الصف، وقرأ الإمام ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، [الذاريات: ٢٢] فقال عمر: «وأنا أشهد»^(١).

- قال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن أبي عمر، زياد بن أبي مسلم، عن صالح أبي الخليل، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع رجلاً، يقرأ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، [الإنسان: ١] فقال: «يا ليتها تمت»^(٢).

- ... عن جعفر بن برقان، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد، أن عبد الله بن مسعود، سمع رجلاً قرأ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، [الإنسان: ١] فقال: «إي وعزتك، فجعلته سميعاً بصيراً، وحيّاً وميتاً»^(٣).

- حدثنا أبو عبيد حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن صالح بن مسمار، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، [الانفطار: ٦] فقال: (جهله).

(١) يُنظَرُ للاستقصاء في تخريج هذا الحديث، وما في معناه من الأحاديث والآثار الآتية: «فضل الرحيم الودود في تخريج سنن أبي داود»، ٩/ ٤٩٠-٥٠٤. وهي في الجملة أحاديث وأثار فيها الثابت المرفوع، والموقوف، وفيها ما لا يثبت.

(٢) قلت: ويبدو - والله أعلم - أن هذا منه كان وهو خارج الصلاة.

(٣) يُنظَرُ للاستقصاء في تخريج هذا الحديث، وما في معناه من الأحاديث والآثار الآتية: «فضل الرحيم الودود في تخريج سنن أبي داود»، ٩/ ٤٩٠-٥٠٤. وهي في الجملة أحاديث وأثار فيها الثابت المرفوع، والموقوف، وفيها ما لا يثبت.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

- قال أبو عبيد: حدثنا أبو النضر، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، عن رجل، عن آخر، عن آخر، أنه كان يقرأ فوق بيت له فرفع صوته: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، [القيامة: ٤٠] فقال: «سبحانك اللهم! وبلى». فسئل عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقوله.

- ... عن ابن عباس، أنه قرأ في الصلاة: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، [القيامة: ٤٠] فقال: «سبحانك! وبلى»^(١).

- ... عن عبد الرحمن بن القاسم، قال: قال أبو هريرة:

من قرأ: ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، [القيامة: ١] فانتهى إلى آخرها، أو بلغ آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، [القيامة: ٤٠] فليقل: بلى. وإذا قرأ ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾، [المرسلات: ١] فانتهى إلى آخرها، أو بلغ آخرها: ﴿فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، [المرسلات: ٥٠] فليقل: آمنت بالله وما أنزل. ومن قرأ: ﴿وَالْبَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾، [التين: ١] فانتهى إلى آخرها، أو بلغ آخرها: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ الْخَكِيمِينَ﴾، [التين: ٨] فليقل: بلى.

- قال أبو عبيد: وحدثنا أبو أحمد الزبيري، عن سفيان، عن عمر بن عطية، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول: «إذا قرأت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، [الإخلاص: ١] فقل أنت: الله أحد، الله الصمد. وإذا قرأت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾، [الفلق: ١] فقل أنت: أعوذ برب الفلق. وإذا قرأت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، [الناس: ١] فقل أنت: «أعوذ برب الناس».

(١) تُنظَرُ الحاشية السابقة.



- قال أبو عبيد: ويروى عن معمر بن راشد، أن حُجراً المَدْرِيّ قام ليلة يصلي، فاستفتح الواقعة، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨) ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (٥٩)، [الواقعة: ٥٨-٥٩] فقال: بل أنت يا رب. ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٦٤)، [الواقعة: ٦٣-٦٤] فقال: بل أنت يا رب. ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (٦٩)، [الواقعة: ٦٨-٦٩] فقال: بل أنت يا رب. ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١) ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٧٢)، [الواقعة: ٧١-٧٢] فقال: «بل أنت يا رب». إلى غير ذلك من الأمثلة التي أوردها الإمام أبي عبيد.

قلت: وهذا معنى شريف، مما يُمكن لقارئ القرآن أن يظفر به؛ فينبغي لقارئ القرآن الكريم أن يُجاوب الآيات الكريمة -على حدّ تعبير أبي عبيد- ويشهد لها حينما يقرأها، فيُجيب الاستفهامات التقريرية، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، فيقول، مثلاً: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. وهكذا ما سواها من المواضع التي تستدعي جواباً، أو تجاوباً فورياً من القارئ.

وحين يفعل القارئ ذلك يكون متجاوباً مع القرآن، متفاعلاً معه، لا مجرد ناطقٍ بالآيات؛ وحينئذٍ يكون هذا القارئ لكتاب الله في حال مخاطبة مع ربه سبحانه وتعالى؛ فيُحيي الآيات بقراءته، فهو يحيا هو بقراءة الكتاب العزيز؛ فتكون في قراءته حياة!

حقاً، إنّ هذا من الحياة بالقرآن، إنه من تفعيل القرآن في حياتك أيها المسلم وأيتها المسلمة التالين لكتاب ربكم، جلّ جلاله، على هذا النحو!

فيا لله ما أعظم شرف المقام!

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

العنوان الثاني: باب ما يُستحب لقارئ القرآن من الترسل في قراءته والترتيل والتدبر^(١):

وهذا أمرٌ مهمٌّ في باب تدبُّر القرآن والتعامل معه. أورد المؤلف فيه مجموعة من الأحاديث والآثار، فيها قدوةٌ، ومُعَبَّرٌ لِمَن كان ذا قلبٍ منيب.

- قال أبو عبيد، القاسم بن سلام، رحمه الله تعالى:

حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَبُّهُ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، [المزمل: ٤] قال: «ترسل فيه ترسيلاً».

- قال أبو عبيد: حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبد الله بن المبارك، عن الليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم سلمة، أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءةً مفسرةً حرفاً، حرفاً.

- قال أبو عبيد: حدثني يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة، قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخِيمَ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾، [الفاتحة: ١-٤] هكذا قال ابن أبي مليكة.

- قال أبو عبيد: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: قرأ علقمة على عبد الله، فكانه عجل، فقال عبد الله: «فذاك أبي وأمي رتل، فإنه زين القرآن» قال: وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن.

- قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن أبي حمزة، قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، وإنني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: «لأن أقرأ البقرة في ليلةٍ فأدبرها^(٢) وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول».

(١) ص ٢١٥-٢١٨.

(٢) أدبر: أتأمل فيها.



- قال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن شعبة، وحماد بن سلمة، عن أبي جمرة، عن ابن عباس، نحو ذلك. إلا أن في حديث حماد: «أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن أجمع هَذْرَمَةً».

- قال أبو عبيد: حدثنا يزيد، عن يحيى بن سعيد، عن رجل، حدثه عن أبيه، أنه سأل زيد بن ثابت عن قراءة القرآن في سبع، فقال: «حسن، ولأن أقرأه في عشرين أو في النصف أحب إليَّ من أن أقرأه في سبع، وسألني^(١) عن ذلك: أردده، وأقف عليه».

- قال أبو عبيد: حدثنا أبو النضر، عن شعبة، عن عبد ربه، ويحيى ابني سعيد، عن رجلٍ تَبَّانٍ من أهل المدينة، عن أبيه، عن زيد بن ثابت، مثل ذلك.

- قال أبو عبيد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عبيد المكتب، قال: قلت لمجاهد: رجلٌ قرأ البقرة وآل عمران، ورجلٌ قرأ البقرة؛ قيامُهما واحد، وركوعُهما واحد، وسجودُهما واحد، وجلوسُهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: «الذي قرأ البقرة». ثم قرأ ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الاسراء: ١٠٦].

ما أعذب هذه المعالم المنهجية، وهذه التوجيهات، التي يسوقها الإمام أبو عبيد، القاسم بن سلام!

إِنَّ مَنْ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِهَا فِي صَحْبَتِهِ لِكِتَابِ اللَّهِ؛ سَيُدْرِكُ أَهْمِيَّتَهَا، وَيَجْنِي ثَمَرَتَهَا!
وما من شكٍّ في أنه ما كان لهذا الإمام الحَبْر أن يُظْهِرَ لنا هذا؛ لولا توفيق الله أولاً، ثم أنه حَبْرٌ حقاً!

(١) هكذا هي في طبعة د. مروان العطية، وفي الطبعة المغربية «وسألني». وظاهر الكلام يدلُّ على أنَّ الصواب ما أثبتُّه.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

أرأيتم طَعَمَ هذا السَّفَرُ النفيس! وأهميَّته ونفاسَته وتميِّزه وتَنَوُّعَ مادته في هذا الباب!

وما أجملَ أن يأخذ القارئُ كتابَ الله هذه المعاني، ويترسَّسُها في نهجه تجاه الكتاب العزيز!

وما مِن شكٍّ في أنها تحتاج مَزِيدَ عنايةٍ منه، ومِرانٍ على تطبيقها، حتى تُصبح نهجاً معتاداً.

العنوان الثالث: باب ما يستحب للقارئ من تحسين القرآن وتزيينه بصوته^(١):

- قال أبو عبيد: حدثنا أبو النضر، عن شعبة، قال: حدثني معاوية بن قرة، قال: سمعت عبد الله بن مغفل، يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقته أو جملِهِ يسيرُ وهو يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح. ثم قرأ معاوية قراءَةً لَيِّنَةً ورجَعَ^(٢)، ثم قال: لولا أني أخشى أن يجتمع الناس علينا لقرأت ذلك اللحن.

- قال أبو عبيد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: حدثنا طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: (زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)^(٣).

(١) ص ٢١٩-٢٣١.

(٢) الحديث في الصحيحين، وغيرهما: البخاري في صحيحه، في مواضع، منها: برقم، ٤٠٣١، و٥٠٤٧، ومسلم في صحيحه، برقم، ٢٣٧-٢٣٩-٧٩٤)، عن عبد الله بن مغفل المُرْنِيّ، t.

(٣) الحديث صحيح بهذا اللفظ، أخرجه عددٌ من الأئمة. وعَلَّقَه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم، فقال: «باب: قول النبي ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة). و: (زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)»، وفي معناه ما أخرجه البخاري ومسلم: (ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أَذِنَ اللهُ لِنبيٍّ حَسَنَ الصوت يتغنَّى بالقرآن يَجْهَرُ به).



قال: نسيئها، فذكرَنيها الضحاك.

- قال أبو عبيد: حدثنا يحيى بن بكير، عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (زينوا أصواتكم بالقرآن)^(١).

- قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كإذنه^(٢) لنبي يتغنّى^(٣) بالقرآن يجهر به).

(١) الحديث بهذا اللفظ من حيث الرواية ضعيف، لكن، معناه لطيف. وما أجمل أن نُزَيَّنَ القرآن بأصواتنا! وما أجمل، أيضاً، أن نُزَيَّنَ أصواتنا بالقرآن! وقد فُتِرَ بعضهم حديث: (زينوا القرآن بأصواتكم)، بمعنى هذا الحديث؛ على أنه من باب المقلوب، كقولهم: عرضت الناقة على الحوض، أي: عرضت الحوض على الناقة. ولم يفرّق الحاكم بين المتن ومقلوبه، بل اعتبرهما واحداً عند إيراده مختلف الروايات، فكان المعنى عنده هو نفسه، تُنظر، حاشية شعيب الأرناؤوط ومَن معه على المسند، ٣٠/ ٥٨٠-٥٨١.

(٢) جاء الحديث عند البخاري في عدة مواضع بلفظ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ)، وفي رواية بلفظ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)، وهكذا عند مسلم بهذا اللفظ، برقم ٢٣٢، ٢٣٣- (٧٩٢)، وفي رواية عند مسلم بلفظ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)، برقم ٢٣٤- (٧٩٢). قلتُ: وبهذا يَبَيَّنُ ثبوت الحديث بمعنى (الإذن)، وبمعنى (الأذن). ومعنى «أذن» في اللغة الاستماع. والمراد به في الحديث هنا على ما يليق بالله سبحانه وتعالى، وقد ردّ الإمام أبو عبيد القول بتأويلها بأنها (أذن) من الإذن، وصدّق أبو عبيد -وانظر قوله عنه بعد صفحات- فإنه تأويل متكلف، يخالف سياق الحديث، ويردّ هذا التأويل قوله في الحديث: (...حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)؛ فهو صريح في ردّ تأويله بأنه من (الإذن). وأمّا كلمة (كأذنه) فواضح، أيضاً، المراد بها، وأنه: استماعه سبحانه وتعالى على ما يليق به.

(٣) يتغنّى بالقرآن: يُلْهَجُ بتلاوته كما يُلْهَجُ بعض الناس بالغناء والطرب، وقيل يُحَسِّنُ صوته بتلاوته، كما قال عددٌ من أهل اللغة، كالهروي، والخطابي، ومَن تقدّمهما. ومِن تعليق أحمد شاكر على حديث: (ليس ممّا مَن لم يتغنّ بالقرآن): «(يتغن)، هكذا فسرها كيع، والراجح عندي غير ذلك، وفي النهاية: «أي: لم يستغن به عن غيره، يقال: تغنيت وتغانيت واستغنيت. وقيل: أراد مَن لم يجهر بالقراءة فليس منا، وقد جاء مفسراً في حديث آخر: (ما أذن الله لشيءٍ =

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

- قال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، مثل ذلك، ولم يرفعه.

- قال أبو عبيد: حدثني هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، عن الأوزاعي، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله، عن فضالة بن عبيد، عن النبي ﷺ قال: (لَلَّهِ أَشَدُّ أَذْنًا^(١)) إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ^(٢) إِلَى قَيْنَتِهِ^(٣).

- قال أبو عبيد: هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده يقول: عن إسماعيل بن عبيد الله، عن مولى فضالة، عن فضالة. وقوله: (أشد أذنا) هكذا الحديث^(٤). وهو في كلام العرب: «أشد أذنا» يعني: الاستماع. وهو قوله في الحديث الآخر: (ما أذن الله لشيء) أي ما: استمع.

- قال أبو عبيد: حدثنا يزيد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فسمع قراءة رجل، فقال: «مَنْ هذا؟» قيل: عبد الله بن قيس، فقال: «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود».

= كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به). قيل إن قوله (يجهر به) تفسير لقوله (يتغنى به). وقال الشافعي: معناه تحسين القراءة وترقيقها. ويشهد له الحديث الآخر: (زينوا القرآن بأصواتكم). وكل مَنْ رفع صوته ووالاه، فصوته عند العرب غناء. قال ابن الأعرابي: كانت العرب تتغنى بالركباني إذا ركبت، وإذا جلست في الألفية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ - أن تكون هجراهم بالقرآن، مكان التغني بالركباني... فهذا المعنى الآخر هو الراجح، بل هو الصحيح، (انتهى من حاشية أحمد شاكر على المسند، ٢/ ٢٢٦). قلت: وانظر تفسير الإمام أبي عبيد للحديثين، وقد ذكره في كتابه «فضائل القرآن»، ونقلته هنا، وفي كتابه «غريب الحديث»، وقد نقلته بعد صفحات في آخر هذا الموضوع، فانظروا، إن شئت.

(١) في «فضائل القرآن»، أبو عبيد: (أذنا)، لكن، من خلال الرجوع للمراجع، لعل الحديث لم يرد بهذه اللفظة؛ لهذا أصلحته، على الرغم من أن أبا عبيد قال: «هكذا الحديث»، ولعله جاء مُصَحَّفًا.

(٢) القينة: الجارية المغنية.

(٣) الحديث بهذا اللفظ ضعيف، وهو مروي بلفظ (أذنا)، وليس (أذنا).

(٤) قد علمت أن الحديث لم يُثبت بهذه اللفظة، والله أعلم. ورحم الله أبا عبيد.



- قال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، وأبو النضر، عن الليث، قال: حدثني ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن النبي ﷺ، وأبي موسى، مثل ذلك ونحوه.

- حدثنا أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة، أن رسول الله ﷺ قال ذلك لأبي موسى.

- قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا سليمان التيمي، أو نُبْتُ عَنْهُ قَالَ: حدثنا أبو عثمان النهدي، قال: «كان أبو موسى يصلي بنا، فلو قلت: إني لم أسمع صوتَ صَنْجٍ قَطُّ^(١)، ولا صوتَ بَرْبَطٍ قَطُّ، ولا شيئاً قَطُّ أحسنَ مِن صوته».

- قال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان عمر t إذا رأى أبا موسى قال: «ذَكَّرْنَا رَبَّنَا يَا أبا موسى» فيقرأ عنده.

- قال أبو عبيد: حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن حيي بن عبد الله المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، أنه سمع عقبة بن عامر، يقول: - قال: وكان عُقْبَةُ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ - قال عمر: «يا عقبة، اعْرِضْ عَلَيَّ سُورَةَ». قال: فَعَرَضَ عَلَيْهِ: بَرَاءَةَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

- قال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما تقول في القراءة على الألحان؟ فقال: «وما بأسُ ذلك؟ سمعت عبيد بن عمير يقول: كان داود يفعل كذا وكذا، لشيء ذكره، يريد: أن يَبْكِي بِذَلِكَ وَيُبْكِي. وذكر شيئاً كرهته».

(١) قط: بمعنى أبدأ، وفيما مضى من الزمان.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

- قال أبو عبيد: وعلى هذا المعنى تُحْمَل هذه الأحاديث، التي ذكرناها في حسن الصوت، إنما هو طريق الحزن والتخويف والتشويق، يُبَيِّن ذلك حديث أبي موسى: أَنَّ أزواج النبي ﷺ استمعن قراءته، فَأُخْبِر بذلك، فقال: لو علمت لشَوَّقْتُ تشويقاً، أو حَبَّرْتُ تحبيراً.

فهذا وجهه، لا الألحان المطرّبة الملهية، وقد روي في ذلك أحاديث مفسّرة مرفوعة وغير مرفوعة.

- قال أبو عبيد: حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن ابن جريج، عن طاووس، عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم، عن طاووس، قال: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أحسنُ صوتاً بالقرآن؟ فقال: (الذي إذا سمعته رأيته يخشى الله تعالى). أو قال: سئل: أي الناس أحسن قراءة؟ فقال: (الذي إذا سمعته رُئِيَتْهُ يخشى الله عز وجل).

- قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن طاووس، قال: (أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم الله تعالى).

- قال أبو عبيد: وحدثني نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن حصين بن مالك الفزاري، قال: سمعت شيخاً، يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قومٌ من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنُّوح، لا يُجَاوِز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يُعجبهم شأنهم)^(١).

- قال أبو عبيد: وحدثنا يزيد، عن شريك، عن أبي اليقظان عثمان بن عُمَيْر، عن زاذان أبي عمر، عن عَلِيٍّ، قال: كنا على سطح، ومعنا رجل من أصحاب

(١) الشأن: الأمر والخطب والحال.



النبي ﷺ قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: عبس الغفاري، فرأى الناس يخرجون في الطاعون، فقال: ما لهؤلاء؟ قالوا: يفرون من الطاعون. فقال: يا طاعون، خُذني. فقالوا: أتمنى الموت، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يتمنين أحدكم الموت؟) فقال: «إني أبادر خِصَالاً»^(١) سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته؛ يبع الحكم، والاستخفاف بالدم، وقطيعة الرحم، وقوماً يتخذون القرآن مزامير، يُقدّمون أحدهم، ليس بأفقههم، ولا أفضلهم، إلا ليُغنيهم به غناء»، وذكر خلتين آخرين.

- قال أبو عبيد: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن زاذان، عن عابس الغفاري، عن النبي ﷺ بمثل ذلك أو نحوه.

- قال أبو عبيد: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن الأعمش، عن رجل، عن أنس بن مالك، أنه سمع رجلاً، يقرأ بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك، ونهى عنه.

- قال أبو عبيد: وحدثني يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: «نهاني أيوب أن أُحدث، بهذا الحديث: (زينوا القرآن بأصواتكم)»^(٢).

- قال أبو عبيد: وإنما كره أيوب، فيما نرى، أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في هذه الألحان المبتدعة، ولهذا نهاه أن يحدث به.

- قال أبو عبيد: سمعت أبا الحارث المكفوف، يسأل يزيد بن هارون في التحبير^(٣)، فقال: «بدعة وضلالة». قال: «ما تقول في قراءة الحزن؟» قال: «فاذهب فحزّن نفسك في بيتك». قال: «ما تقول في قراءة الألحان؟» قال: «بدعة». قال: «يا أبا خالد، يشتهي الناس. قال: «لك غيره».

(١) الخصال: جمع خصلة، وهي خُلُقٌ في الإنسان، ويكون فضيلةً أو رذيلةً.

(٢) مضى تخريجه قبل نحو ٥ صفحات.

(٣) التحبير: هو تحسين الصوت بالقرآن.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

قلت: حرّر الإمام أبو عبيد في كتابه «تفسير غريب الحديث»، المعنى المراد بأحاديث تزيين القرآن بالصوت، فقال:

«يُرِيدُ بِقَوْلِهِ (يَأْذُنُ): يَسْمَعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ﴾، [الانشقاق: ٢، ٥]، أَيْ: سَمِعَتْ. وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ: كَأِذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ بِكُسْرِ الْأَلْفِ؛ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْإِذْنِ مِنَ الْاسْتِثْنَاءِ. وَلَيْسَ لِهَذَا وَجْهٌ عِنْدِي؛ وَكَيْفَ يَكُونُ إِذْنُهُ لَهُ فِي هَذَا أَكْثَرَ مِنْ إِذْنِهِ لَهُ فِي غَيْرِهِ، وَالَّذِي أَذِنَ لَهُ فِيهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَالْإِبْلَاحُ عَنْهُ، أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْإِذْنِ فِي قِرَاءَةِ يَجْهَرُ بِهَا!

وقوله: (يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ)، إِنَّمَا مَذْهَبُهُ عِنْدَنَا تَخْرِيْنُ الْقِرَاءَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُهُ الْآخَرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقِلٍ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ. فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْنَا؛ لَحَكَيْتُ تِلْكَ الْقِرَاءَةَ، وَقَدْ رَجَعُ.

وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ حَدِيثُ يَرْوَى عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ ذَكَرَ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ، فَقَالَ: (بَيْعُ الْحُكْمِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَالْإِسْتِخْفَافُ بِالدَّمِ، وَكَثْرَةُ الشُّرْطِ، وَأَنْ يَتَّخِذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرَ؛ يُقَدِّمُونَ أَحَدَهُمْ، لَيْسَ بِأَقْرَبَهُمْ وَلَا أَفْضَلَهُمْ، إِلَّا لِيُغْنِيَهُمْ بِهِ غِنَاءٌ)^(١). وَعَنْ طَاوُوسٍ أَنَّهُ قَالَ: «أَقْرَأَ النَّاسُ لِلْقُرْآنِ أَحْشَاهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى».

فَهَذَا تَأْوِيلُ حَدِيثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأِذْنِهِ لِنَبِيِّ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ وَأَنْ يَجْهَرُ بِهِ). وَهُوَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: (زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ...)»^(٢).

(١) مسند الإمام أحمد، برقم، ١٦٠٤٠، عن عيس أو عابس الغفاري، وبرقم، ٢٣٩٧٠، عن عوف بن مالك، طبعة الرسالة، وأخرجه غيره، وهو حديث صحيح.

(٢) تفسير غريب القرآن، أبو عبيد، ط. الهندية، ٢/ ١٤٠-١٤١.



- «وقال أبو عبيد، أيضاً: وأما حديث رسول الله ﷺ: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، فليس هو عندي من هذا، إنما هو من الاستغناء»^(١).

ولله در الإمام أبو عبيد، فما أجمل هذا التحقيق اللغوي في تفسيره لأحاديث رسول الله ﷺ!

العنوان الرابع: «بيان أنه يستحب للقارئ إذا مرّ في قراءته بذكر الجنة من المسألة، وبذكر النار من التعوذ»^(٢). «استحباب تكرار الآية وتردادها»^(٣).

ذكر الإمام أبو عبيد - ونعم العبيد أبو عبيد - في هذا مجموعة من الروايات لأحاديث والآثار، الدالة على هذا النهج الطيب في التعامل مع كتاب الله تعالى.

قلت: حقاً، إن مما له علاقة وثيقة بتدبر القرآن الكريم: تكرار الآية أو الآيات في قيام الليل أو في سواه، حتى ربما قضى القارئ ليلته كلها مقتصرًا عليها، وقوفًا عندها متأثراً بها؛ وذلك لأنه قرأ معناها كما قرأ ألفاظها؛ فهذا دليل على حسن تدبر الآية أو الآيات، وحسن فهمها.

وقد فعل هذا الرسول ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، رحمهم الله.

وهذا شاهد بإحساس مرهف لدى القارئ لآيات الله، وحسن تدبر منه، وحسن فقه لكتاب الله، ودليل على تجاوز قراءة الألفاظ إلى قراءة المعاني الكريمة في كتاب الله!

(١) تفسير غريب القرآن، أبو عبيد، ط. الهندية، ١٤٢/٢.

(٢) ص ١٩٧.

(٣) ص ٢٠٠.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وختاماً:

أُشيرُ إلى بعض نتائج هذا المرور على بعض المعاني الرائقة عند الإمام أبي عبيد، رحمنا الله، وإياه، وسائر المسلمين.

فمن النتائج ذات العلاقة بكتاب الله وبحديث رسوله ﷺ، وتدبرهما وفقهما:

١- رُبطُ أبي عبيد لرأيه واجتهاده وفقهه لهذا الموضوع بالروايات عن الرسول ﷺ؛ فلهذا تراه ما إن يُورد رأيه في المسألة، أو يُعلّق ببيان فقهه للأحاديث، إلا ويورد الأحاديث، التي يستند إليها في فقهه ورأيه!

٢- دقّته في فقهه للأحاديث، وبُعْده عن التكلف؛ لذا أشعُرُ بتجاوب عقلي وفطرتي مع ما يُذلي به أبو عبيد، رحمه الله، من رأي وفقه للأحاديث والأحكام منها.

٣- ظهور أثر عُمق تخصصه في اللغة العربية، واستيعابه لدقائقها؛ الأمر الذي يعود على كلامه بإصابة الصواب، وبالفطنة في مناط استنباطه للفقه والأحكام منها.

٤- صراحته في اجتهاداته في تفسير غريب القرآن، وتفسير غريب الأحاديث، وعدم المجاملة في ذلك.

٥- ظهور نتائج عنايته بالتدبر، وتأملاته لألفاظ الوحي الإلهي فيما استنبطه من وسائل التدبر وأسبابه.

٦- ينبغي لطالب العلم، وطالب تدبر القرآن الكريم، وطالب فقه الأحاديث الشريفة، العناية بفقه أبي عبيد لهذه الموضوعات، وعنايته بوسائل التدبر وأسبابه التي نصّ عليها أبو عبيد، رحمة الله عليه.



٧- ومما يَحْسُنُ استذكاره مما أُوْرِدَهُ الإمام أبو عبيدٍ مِن مسائل التدبُّرِ ووسائله وأسبابه، الأمور الآتية:

أ - «تعظيم القرآن»، فهو مِن أهم الأسباب الداعية للعناية بتدبره.

ب - «تعظيم قدر حامل القرآن»، وهذا فُرْعٌ عن تعظيم القرآن.

ج - «معرفة فضائل القرآن»، فهي مِن أهم دواعي تدبره.

د - «معرفة أهمية تدبر القرآن»، وَمَن لَمْ يُدْرِكْ أهميته؛ فكيف يُعْنَى به!

هـ - «معرفة آداب القرآن»، وهذا مِن أهم أسباب البركة وحُسن الاهتداء لمعانيه وتدبره.

و - معرفة حديث: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدَبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ...) الحديث.

ز - الوقوف على حديث: (إِنَّ كُلَّ مُؤَدَّبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى أَدَبُهُ، وَإِنْ أَدَبَ اللَّهِ الْقُرْآنَ).

ح - استحضار قارئ القرآن والمعْنَى بتدبره، أنه في أَخْذِهِ بِالْقُرْآنِ، واشتغاله به، إنما يأخذُ حَظًّا مِنْ إِزْثِ النُّبُوَّةِ، كما في الأثر: «مَرَّ أَعْرَابِيٌّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَهُوَ يُقْرَأُ قَوْمًا الْقُرْآنَ، أَوْ قَالَ: وَعِنْدَهُ قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «يَقْتَسِمُونَ مِيرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ».

ط - استحباب البكاء عند قراءة القرآن، وهذا مِن النتائج التطبيقية لتعظيم القرآن، وتدبره.

ي - الاستحباب للقارئ إذا مرَّ في قراءته بذكر الجنة مِن المسألة، وبذكر النار مِن التَعَوُّذِ.

ك - استحباب تكرار الآية وتَرْدَادُهَا.

المبحث الثاني

كتاب «تأويل مشكل القرآن»، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قُتيبة، وأمثلةٌ منه

يتناول هذا المبحث كتاب «تأويل مشكل القرآن»، أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قُتيبة، (٢١٣-٢٧٦هـ)^(١).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المؤلف الإمام ابن قتيبة، رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: كتاب «تأويل مشكل القرآن»، وأمثلةٌ منه.

(١) تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م. ويأخذ كتابه «تفسير غريب القرآن» حُكمَ هذا الكتاب.





المطلب الأول

المؤلف الإمام ابن قتيبة، رحمه الله تعالى

لست مُضِيعاً وقتي حين أتحدّث عن الإمام ابن قتيبة، رحمه الله، ولست مُضِيعاً وقتك حين تقرأ في سيرته العلمية العطرة، أو تقرأ في مؤلفاته القيّمة!

بل ما أسعدَ مَنْ يصحّب هذا الإمام، بقراءة سيرته ومؤهلاته العلمية، ومؤلفاته المهمة الرائقة في مختلف الفنون!

أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (٢١٣-٢٧٦هـ)، يُعدُّ متقدماً في عصره، وقد كان عصره عصرَ ازدهار العلوم الإسلامية، وتسايق الناس في زمنه في تحصيل العلوم والتنافس فيها، وقد كان ذا همّة عالية طموحة؛ فأورثه ذلك علماً متنوعاً جماً؛ وكان هذا ممّا يُحسبُ له من إيجابيات في مؤلفاته القيّمة حقاً.

وليس هذا كله بعجيب في حقّ هذا الإمام الفذّ، الذي ظهرت عليه أمارات النجابة منذ عهدِ شبابه المبكر، حتى إنه ربما يُفجّؤك أنه قد اتّجه للعلم في تلك السنّ المبكرة على نهج الكبار؛ فقد تلقى عن أحمد بن سعيد اللحياني في سنة ٢٣١هـ، كتاب: الأموال، وكتاب غريب الحديث، أبو عبيد، وكان عُمر ابن قتيبة حينئذٍ ثمانية عشر عاماً^(١)؛ فلا عَجَب أن تراه بعد ذلك إماماً، يُؤلّف تلك المؤلفات المتقنة المتنوعة في مختلف الفنون! بل ترى هذا الفتى الذي تلقى -وهو في هذه السنّ- مثل كُتُب الإمام أبي عبيد، مُتَقِدّاً، بعد ذلك، أبا عبيد في بعض آرائه في فقه غريب

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ٣، مقدمة المحقق.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبير...

الحديث، وما إلى ذلك! ويؤلف «إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث»، بأدب هو الأدب! ويكتب اعتذاراً لطيفاً عن نقده، وأنه لا يقصد الإضرار على أبي عبيد، وإنما بيان الصواب!

وقد كتب الكثير من المؤلفات، التي خدَم فيها اللغة العربية، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، والدفاع عنهما، وتفنيده كلام الطاعنين فيهما.

قال عنه الإمام الذهبي، رحمه الله تعالى: «وَالرَّجُلُ لَيْسَ بِصَاحِبِ حَدِيثٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ، عِنْدَهُ فَنُونُ جَمَّةٍ، وَعُلُومُ مُهَمَّةٍ»^(١).

قلتُ: وفي قوله: «ليس بصاحب حديث»، هذا حُكْمُ جاء على نظر الإمام الذهبي، الذي يُحدِّد به اشتراطات الوصف بـ «محدث» عنده، لكن، في تطبيق ذلك على ابن قتيبة، نظرُ! وكيفنا في سيرة ابن قتيبة ما بذله من جهود مشكورة تجاه الحديث وفقهه، والدفاع عنه وعن القرآن الكريم.

وأما مقياس الإمام الذهبي فأمر آخر، قد عرَضَ له في «سير أعلام النبلاء»، قال:

«قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَةَ الْحَلَبِيِّ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ خُرَّزَادٍ يَقُولُ: يَحْتَاجُ صَاحِبُ الْحَدِيثِ إِلَى خَمْسٍ، فَإِنْ عَدِمَتْ وَاحِدَةً، فَهِيَ نَقْصٌ، يَحْتَاجُ إِلَى: عَقْلٍ جَيِّدٍ، وَدِينٍ، وَضَبْطٍ، وَحَذَاقَةٍ بِالصَّنَاعَةِ، مَعَ أَمَانَةٍ تُعْرِفُ مِنْهُ».

ثم قال الذهبي: «قُلْتُ: الْأَمَانَةُ جُزْءٌ مِنَ الدِّينِ، وَالضَّبْطُ دَاخِلٌ فِي الْحَذَقِ، فَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَافِظُ أَنْ يَكُونَ تَقِيًّا ذَكِيًّا، نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا زَكِيًّا، حَيِّيًّا، سَلَفِيًّا، يَكْفِيهِ أَنْ يَكْتَبَ بِيَدِهِ مَائَتِي مُجَلَّدٍ، وَيَحْصُلَ مِنَ الدَّوَاوِينِ الْمَعْتَبَرَةِ خَمْسَ مِائَةِ مُجَلَّدٍ، وَأَنْ لَا يَفْتَرِ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ إِلَى الْمَمَاتِ، بَنِيَّةً خَالِصَةً وَتَوَاضِعًا، وَإِلَّا فَلَا يَتَعَنَّ»^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣/ ٣٠٠، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣/ ٣٨٠.



وقد أطلق على ابن قتيبة بأنه أديب الفقهاء، وفقه الأدياء؛ ذلك أنه جمع بين اللغة والأدب والشرعة، وجاءت كُتُبُه شاهدةً بسُمُو أدبه، وعُلُو مقاصده، وقد سخره الله لتفنيد كلام المعتدين على الإسلام وأحكامه وكتابه وسُنَّته، فردَّ على المذاهب المنحرفة عن نهج الإسلام، كالزنادقة والمعتزلة وسواهم. وإنَّ المطَّلِعَ على مؤلَّفاته يُسَعِّدُهُ ما يَرَاهُ مِنْ تلك المنافحات عن أنوار الوحي الإلهي بقلمٍ عِلْمِيٍّ أدبيٍّ، يترسَّم منهجَ المحدثين، ونَسَقَ التَّجَبُّتِ في الرواية، والتَّجَبُّتِ في الفهم والمعنى، كما هو الشأنُ في مثل كتابه: «تأويل مختلف الحديث»، وكتابه «تأويل مشكل القرآن»، وكتابه «تفسير غريب الحديث»، وسواها من مؤلَّفاته، التي عدَّها السيد أحمد صقر في مقدِّمته لتحقيقه لكتاب «تأويل مشكل القرآن»، فأوصلها إلى ستة وأربعين كتاباً. وبالاطلاع على مقدمته هذه تُعرَفُ مكانةُ الإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني

كتاب «تأويل مشكل القرآن»، وأمثلة منه

ونعرض الموضوع في الوقفات الآتية:

الوقف الأول: فكرة الكتاب وشيء عن قيمته:

كتاب «تأويل مشكل القرآن»، كتاب نفيس، وفي موضوع مهم، وهو كتاب عالي اللغة والمنهج؛ فلا يعرف قدره من ليس لديه الحد الكافي من ثقافة اللغة العربية، وعربية الثقافة!

وهو كتاب مختص بما يُطلق عليه: علم مشكل القرآن. وإن لم يكن في القرآن مُشكل. فهو كتاب معني بتفنيد دعاوى المدّعين الشبهات والإشكال على القرآن الكريم، بلسان عربي رصين. على أن الكتاب لم يأت خاصاً بعلم مشكل القرآن، وإنما شمل كلامه في ذلك ما يتعلق بمختلف مجالات دعاوى الطاعنين في القرآن -وهي زائفة-.

قال عنه مؤلفه الإمام ابن قتيبة في مقدمته:

«قد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولُعوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلية، وأبصار عليلية، ونظر مدّخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدّلوه عن سُبله، ثم قَضَوْا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف...»^(١).

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ٢٢/١.



إلى أن قال ابن قتيبة: «... فأحببتُ أن أنضَحَ عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفتُ هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب، لأري المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل.

ولم يَجْز لي أن أنصَّ بالإسناد إلى مَنْ له أصلُ التفسير؛ إذ كنتُ لم أقتصر على وَحْيِ القوم حتى كَشَفْتُهُ، وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وزدتُ في الألفاظ ونقصتُ، وقَدِّمتُ وأخرتُ، وضربتُ لبعض ذلك الأمثال والأشكال، حتى يستوي في فهمه السامعون.

وأسأل الله التجاوزَ عن الزَّلة بحسن النيَّة، فيما دلَّلتُ عليه، وأجريتُ إليه، والتوفيقَ للصواب، وحسن الثواب»^(١). وما أجَمَلَ هذه الخاتمة وهذا الدعاء من ابن قتيبة!

ومن الواضح أنَّ الكتاب متخصص في هذا الموضوع، (مشكل القرآن)؛ وذلك:

- لبيان وجوه الكلام في هذا النوع من القرآن، وبيان سمو القرآن عن كل شبهة.

- وبيان أنَّ كلَّ طعنٍ وجَّهه الطاعنون في القرآن الكريم فهو طَعْنٌ داخِض!

- ومن أهم أغراض هذا الكتاب، كذلك، تفنيد الشبهات والطعون التي أثارها المُثيرون على القرآن.

- والكتاب مبنيٌّ على الأسس التي ذكرها المؤلف في مقدمته، التي نقلنا بعضها في الأسطر السابقة.

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ٢٣/١.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

والإمام ابن قتيبة، رحمه الله، هذه موضوعاته، وهذا مجاله، الذي نشط فيه، وألف فيه، ونافح عن القرآن والحديث الشريف، كما هو الشأن في عددٍ من مؤلفاته الأخرى، ومنها كتابه (تفسير غريب القرآن)، وهو متمم لغرض كتاب المشكل، على ما أشار إليه ابن قتيبة نفسه.

ومما يؤكد هذا الكلام، أنه أشار في مقدمة (غريب القرآن)، أيضاً، إلى مثل هذا الذي قاله في مقدمة المشكل. استمع إليه وهو يقول:

«وغرَضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكمل، وأن نوضح ونُجمل؛ وأن لا نستشهد على اللفظ المُبتذل، ولا نُكثِر الدلالة على الحرف المستعمل؛ وأن لا نحشو كتابنا بالنحو والحديث والأسانيد. فإننا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث: لاحتجنا إلى أن نأتي بتفسير السلف -رحمة الله عليهم- بعينه؛ ولو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي ألفتها نقلُ الحديث؛ ولو تكلفنا بعدُ اقتصاص اختلافهم، وتبيين معانيهم، وفقَّ جملهم بألفاظنا، وموضع الاختيار من ذلك الاختلاف، وإقامة الدلائل عليه، والإخبار عن العلة فيه-: لأشهبنا في القول، وأطلنا الكتاب؛ وقطعنا منه طمع المُتَحَفِّظ^(١)، وباعدناه من بُعْيَةِ المُتَأَدِّب؛ وتكلفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِيناه وكُفِيناه»^(٢).

وقد بنى ابن قتيبة كتاب «تأويل مشكل القرآن» على ما انتهى إليه من إمامته في اللغة وعُلُومها وأساليبها وفقهها؛ فاستند في الدفاع عن القرآن والحديث على المَجَاز؛ «لأن أكثر غلط المتأولين كان من جهته. وبسببه تشعبت الطرق، واختلفت التحل».

(١) يعني: الراغب في حفظ كتابه.

(٢) غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، ص ٣. وانظر ما نقلته عن مقدمة الإمام ابن قتيبة لكتابه (تفسير غريب القرآن)، في أثناء فقرة: «وقفه نقديّة...» لنص منقول عن كتاب (المدخل...)، للحدادي، في المبحث الثالث، من هذا الفصل السادس، من هذا الكتاب.





وطريقته في إيراد أبواب المجاز أنه يذكر ما أتى منها في كتاب الله، ويُعقبه بأمثاله: من الشعر ولغات العرب، وما استعمله الناس في كلامهم.

وقد بدأ بباب الاستعارة، ثم باب المقلوب، وباب الحذف والاختصار، وباب تكرار الكلام والزيادة فيه، وباب الكناية والتعريض، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه.

ثم ذكر باب الأبواب في الكتاب، وهو باب تأويل الحروف التي أدعي على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم، فتحدث عن الحروف المقطعة، واختلاف المفسرين فيها. ثم خُص من الكلام عليها إلى الكلام على مشكل سور القرآن؛ فيذكر ما في السورة منه ثم يؤوله؛ ولكنه لم يرتب السور على حسب ترتيبها المعروف في المصحف؛ بل ذكرها حسبما عَنَّ له من مشاكلها^(١). وقد لا يستوفي الكلام على مشاكل السورة التي يذكرها؛ فيعيد ذكرها مرة أو مرات: مثلما فعل في سورة البقرة والأنعام، وسورة النحل والنساء^(٢).

وموضوع الكتابين: (المشكل) و(الغريب) موضوع واضح علاقته بعلم التدبر؛ لاختصاصهما في تصحيح فهم وحي الله، وبيان محاسن تعبيره ودقته، وتفنيد طعون الطاعنين السقيمة، المبنية على سوء فهمهم له، وعلى تحريفهم له، وصرفهم للكلام عن مواضعه؛ وهو الأمر الذي لا يُفند إلا ببيان الفهم السديد لنصوص الكتاب والسنة.

قلت: وإنني لأعجب من هؤلاء المخلوقين المتعوسين، الطاعنين في وحي الله تعالى، المتناوشين - من مكان بعيد - هدفهم المشين؛ متوهمين أن بمقدورهم أن يُصححوا لله رب العالمين كتابه الخاتم إلى البشرية! ثم يتعامل معهم الناس بالعلم والمناهج العلمية لمناقشتهم في تهافتاتهم والرد عليهم! وكان حقهم البحث عن أدوية لهم وعلاج؛ فإن لم يُجد ذلك نفعاً؛ فليُدفعوا دفعاً، كما يُدفع العدو الصائل والكلب العقور، وإنزال العقوبات فيهم والتعزير!

(١) كان ينبغي أن يقول: المشكل فيها. فليس في كتاب الله مشكلات.

(٢) مقدمة السيد أحمد صقر لتحقيقه «تأويل مشكل القرآن»، ص ٨٠-٨١.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

لكن الله الحكمة البالغة فيما قدره؛ فقد جعل الله هذا كله سبباً من أسباب حفظه
وحيه سبحانه!

ملحوظة سريعة على كتاب تأويل مشكل القرآن:

تتلخص الملحوظة في أنني وددتُ لو أنَّ الإمام ابن قتيبة، رحمه الله، اختار ترتيباً
أفضل فيما يتعلق بإيراده للشبهات في بعض المواضع من الكتاب، بحيث لا يكون
إيراد الشبهات متقدماً كثيراً عن تفنيدها، لكنه لم يفعل ذلك في «باب الحكاية عن
الطاعنين»، ص ٢٤ - ٣٢، حيث سرد فيه شبهة الطاعنين في القرآن الكريم وطعونهم،
ثم أورد الرد عليهم في الباب الذي يليه (باب الرد عليهم في وجوه القراءات)،
ص ٣٣ - ٤٩، وما بعده من الأبواب. ومثل ذلك «باب ما ادُعي على القرآن من
اللحن»، ساق فيه طعونهم أولاً، ثم ردّ عليها^(١)، وهكذا في أبواب أخرى.

وهذا ترتيب ليس هو الأولي؛ لأن عرض الشبهات ابتداءً يؤثر في القارئ تأثيراً
سلبياً؛ فالواجب هو عرض الحق قبل الباطل.

وقد تأكد لي في منهجية مناقشة الشبهات: أهمية العناية بتقديم المقدم وتأخير
المؤخر، لا العكس؛ إذ من حق الحق أن يكون مقدماً، وأن يكون الباطل مؤخراً،
فينبغي عدم تقديم إيراد الشبهات كلها سرداً مطوّلاً، ثم يؤتى بمناقشتها والرد عليها.

وإن كان من حاجة لتقديم الشبهة على الرد عليها؛ فلا بد أن يكون ضمن منهج
يتحاشى إضلال العقول البريئة بسوق الباطل إليها ابتداءً؛ لكن، يصوغها صياغة تُشعر
بأنها دعاوى، على أن لا يبعد ذكر الشبهة عن الرد عليها، وبيان بطلانها.

(١) وهذا باب مهمٌ للمتدبر كتاب الله تعالى؛ فينبغي الرجوع إليه؛ لرؤية كلام الإمام ابن قتيبة،
وتفنيده طعونهم الزائفة.



الوقفه الثانية: من مميزات الإمام ابن قتيبة وخصائص كتابه:

ولا أحصي، وإنما أذكر بعض ما ظهر لي من ذلك.

وإنما يعرف مميزات هذا الإمام وخصائص كتابه هذا من وقف عليه، وتملى ما فيه من أفانين العلم!

ومن المناسب أن أذكر هنا التعليق التالي، الذي كتبته حين بدء مطالعتي لهذا الكتاب، فقلت:

«كم أسعدني أني أقرأ في هذا السُّفر النفيس، النفيس من العلم ما يُطربني، بل يُسكّرني سُكْرًا لا حدّ فيه! والحمد لله!

الحمد لله أني اشتريت هذا الكتاب من سورية، إبان زيارتنا لها زيارة رسمية، وجلّده بمئة وسبعين ليرة، آن كنت طويلًا -ولا زلتُ- واحتفظت به في مكتبتني يتنقل معها، حتى قبض الله لي الالتفات إليه الآن!

ما أسعدني به! ويا خيبة المفرطين في أعمارهم، المضيعين لأوقاتهم، غير شاعرين بما فاتهم، حتى حانت وفاتهم!

اللهم ارحم إمامًا كتبت أنامله هذا الكتاب، فأبدع فيه هذا الإبداع، وسَمّا فيه هذا السموّ في لغة العلم، وفي جزالة اللغة، متجاوزًا لغته الفارسية، إلى أن يُصبح فارسًا من فرسان العربية، وفارسًا بارعًا في الدفاع عن القرآن الكريم بهذا المستوى من الفصاحة والإمامة!

وما أسعده من رجلٍ قد حفظ الله له عمله من عصره في القرن الثالث -إذ توفي عام ٢٧٦هـ- إلى عصرنا! أليست هذه هي الحياة!

إنّ الرجل قد مات، لكنه ما مات! إنه ادّخر لنفسه ولنا أعمالاً باقية ما بقي الناس، وبقية ما بقي العلم، ومنها هذا الكتاب.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

فَمَنْ هُمُ الْأَمْوَاتُ وَمَنْ هُمُ الْأَحْيَاءُ؟ الجواب عكسيٌّ في حقِّ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْنا اليوم، فنحنُ الْأَمْوَاتُ، وأُولَئِكَ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْإِمَامِ هُمُ الْأَحْيَاءُ، بل ويُعَلِّموننا وهم في قبورهم، ونحنُ في دُورِنَا؛ فَلَهُمْ عَلَيْنَا مِنَ الْمِنَنِ مَا لَيْسَ بِمَقْدُورِنَا مَكَافَأُتُهُمْ عَلَيْهِ، رحمة الله عليهم، ورضي الله عنهم.

إنه لا يكفي في مُقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ فُرْصَةَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَقَطْ!

الْحَيَاةُ حَقًّا أَنْ تُؤَفَّقَ لِعَمَلٍ فِيهِ حَيَاةٌ، يَبْقَى مِنْ بَعْدِ رُؤْسِكَ؛ شَاهِدًا بِجِدِّكَ وَإِخْلَاصِكَ فِي اسْتِثْمَارِ يَوْمِكَ وَأَمْسِكَ، اسْتِثْمَارًا أُخْرَوِيًّا يَنْفَعُكَ هُنَاكَ، لَا هُنَا فَقَطْ! ^(١).

وإليك شيئاً من مميزات هذا الإمام وكتابه:

فمما بدا لي من مميزات الإمام ابن قتيبة، رحمه الله، في هذا الكتاب، وخصائص كتابه «تأويل مشكل القرآن»، الآتي -وأذكرها معاً-:

- ١ - دقَّةُ إجاباته عن دعاوى الاستشكال، وجزالتها.
- ٢ - ثراؤه اللغويّ المتين في أسلوبه وفي مفرداته، فهو جزلٌ، ثريٌّ بالاستعمالات اللغوية القديمة.
- ٣ - الكتاب شهادةٌ عالية للإمام ابن قتيبة في علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، وعلوم اللغة العربية؛ بما فيه من ممارسةٍ لمختلف أساليب اللغة في تطبيقات علم التدبر وعلوم الشريعة.
- ٤ - الكتاب شهادةٌ تطبيقية للغة العربية وعلومها بهذا المستوى من العلوِّ العلميِّ اللغويِّ، ولا سيما أنَّ مؤلفه ابن قتيبة ليس من أصلٍ عربيٍّ، وإنما هو أعجميٌّ، إذ كان من أصلٍ فارسيٍّ! ومع ذلك تحدَّثَ باللغة العربية، وألَّفَ مثل هذا الكتاب في اللغة العربية بمستوى أئمة اللغة العربية العرب الكبار، وهذا أنموذجٌ رائعٌ لصالح لغة القرآن، يشهد بصلاحها وفعاليتها وتميُّزها!

(١) وذُيِّلَتْ هذا التعليقُ بقولي: وَكَتَبَهُ الْجَدِلُ بِهَذَا الْعَمَلِ! ٢٧-١-١٤٤٣هـ.



٥- قوّة ارتباط موضوع الكتاب بعلم التدبر، بل هو نوعٌ منه.

٦- الكتاب رصيّدٌ مهمٌّ في علم التدبر في مجال اختصاصه؛ فينبغي الإفادة منه.

٧- الكتاب دليلٌ على جهود المعادين للقرآن والإسلام المبكرة، ودليلٌ على عناية أئمة الإسلام بالدفاع عن الإسلام، وتفنيد دعاوى أباطيلهم منذ ذلك الوقت.

الوقفه الثالثة: فوائد مؤسّسة للتدبر وأسبابه من كتاب «تأويل مشكل القرآن»:

وهنا ننقلُ من كتاب (تأويل مشكل القرآن) هذه الفوائد المؤسّسة لوسائل التدبرِ وأسبابه، مع تنسيقها بما يُظهر لك المعاني المقصودة له، ويُجَلِّها:

وربما تقتصر من الفوائد على ما يندرج تحت ما يُمكن التعبير عنه بالعنوان الآتي:

تقرير ابن قتيبة لبعض وسائل تدبر القرآن؛ اعتماداً على خصائص اللغة:

وهذا من أبرز ما انتهجه الإمام ابن قتيبة لخدمة اللغة العربية، وخدمة تدبر القرآن، ومن أمثلة هذا عنده أقواله الآتية:

١ - «و(ألفاظ العرب) مبنية على (ثمانية وعشرين حرفاً)، وهي أقصى طَوْقِ اللسان.

٢ - و(ألفاظ جميع الأمم) قاصرة عن (ثمانية وعشرين) ولستَ واجداً في شيءٍ من كلامهم حرفاً ليس في حرفنا إلا معدولاً عن مخرجه شيئاً، مثل (الحرف المتوسط: مخرجي القاف والكاف)، و(الحرف المتوسط: مخرجي الفاء والباء).

فهذه حال العرب في مباني ألفاظها»^(١).

(١) تأويل مشكل القرآن، ص ١٤.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وقال عن اللغة العربية، أيضاً:

٣ - «ولها (الإعراب) الذي جعله الله وشياً لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمُعَيَّنَيْن المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يُفَرِّقُ بينهما، إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحدٍ منهما - إلا (بالإعراب)»^(١):

ثم ضرب ابن قتيبة أمثلة تطبيقية جميلة لبعض آثار الإعراب في دلالات اللغة العربية، فقال:

٤ - «ولو أن قاتلاً قال: (هذا قاتل أخي) بالتنوين، وقال آخر: (هذا قاتل أخي) بالإضافة - لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله.

٥ - ولو أن قارئاً قرأ: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، [سورة يس: ٧٦]. وترك طريق الابتداء بإناء، وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب (أن) بالقول كما ينصبها بالظن - لقلب المعنى عن جهته، وأزاله عن طريقته، وجعل النبي، عليه السلام، محزوناً لقولهم: إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون. وهذا كفر ممن تعمده، وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به، ولا يجوز للمؤمنين أن يتجاوزوا فيه.

٦ - وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يُقتل قرشي صبراً بعد اليوم)^(٢):

(١) تأويل مشكل القرآن، ص ١٤.

(٢) الحديث عند مسلم في صحيحه: ٨٨ - (١٧٨٢) - عن عبد الله بن مطيع، عن أبيه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: (لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). والمراد أن القرشي لا يعود إلى الكفر، فيقتل على كفره صبراً، لا أنه لا يقتل قرشي صبراً على الإطلاق؛ فكلم قتل منهم في الإسلام صبراً! و«أصل الصبر: الحبس. والصبر: نصب الإنسان للقتل»، كما في «اللسان».



- فَمَنْ رَوَاهُ (جَزْماً) أَوْجَبَ ظَاهِرُ الْكَلَامِ لِلْقُرْشِيِّ أَلَّا يُقْتَلَ إِنْ ارْتَدَّ، وَلَا يُقْتَصَّ مِنْهُ إِنْ قُتِلَ.

- وَمَنْ رَوَاهُ (رَفْعاً) انْصَرَفَ التَّأْوِيلُ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ قُرَيْشٍ: أَنَّهُ لَا يَرْتَدُّ مِنْهَا أَحَدٌ عَنِ الْإِسْلَامِ؛ فَيَسْتَحَقُّ الْقَتْلَ.

أفما ترى (الإعراب) كيف فَرَّقَ بين هذين المعنيين! ^(١). بلى، والله، أيها الإمام! وَيَسْتَمِرُّ ابْنُ قَتِيْبَةَ، فِي ذِكْرِ بَعْضِ خِصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْمُؤَثِّرَةِ فِي اخْتِلَافِ دَلَالَةِ الْكَلَامِ، فَيَسُوقُ الْأَمْثِلَةَ الْآتِيَةَ:

١- «وَقَدْ يُفَرِّقُونَ بِحَرَكَةِ الْبِنَاءِ فِي الْحَرْفِ الْوَاحِدِ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ:

- فيقولون: (رَجُلٌ لُعْنَةٌ)، إِذَا كَانَ يَلْعَنُ النَّاسَ. فَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي يَلْعَنُ النَّاسَ، قَالُوا: (رَجُلٌ لُعْنَةٌ) فَحَرَكُوا الْعَيْنَ بِالْفَتْحِ.

- وَ(رَجُلٌ سُبَّةٌ) إِذَا كَانَ يَسِبُ النَّاسَ، فَإِنْ كَانَ هُوَ يَسِبُ النَّاسَ قَالُوا: (رَجُلٌ سُبَّةٌ).

- وَكَذَلِكَ: (هُزْأَةٌ، وَهَزْأَةٌ) وَ(سُخْرَةٌ، وَسُخْرَةٌ)، وَ(ضُحْكَةٌ، وَضُحْكَةٌ)، وَ(خُدْعَةٌ، وَخُدْعَةٌ) ^(٢).

٢- «وَقَدْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ الْمُتَقَارِبَيْنِ بِتَغْيِيرِ حَرْفٍ فِي الْكَلِمَةِ حَتَّى يَكُونَ تَقَارُبٌ مَا بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، كَتَقَارُبِ مَا بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ:

- كَقَوْلِهِمْ لِلْمَاءِ الْمِلْحِ، الَّذِي لَا يَشْرَبُ إِلَّا عِنْدَ الْضَّرُورَةِ: (شَرْوَبٌ)، وَلَمَّا كَانَ دُونَهُ مِمَّا قَدْ يَتَجَوَّزُ بِهِ: (شَرِيبٌ).

(١) تأويل مشكل القرآن، ص ١٤-١٥. وقد سبق نقلُ كلام ابن قتيبة هذا في الحديث عن علم الإعراب.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ١٥-١٦.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

- وكقولهم لما ارفضّ على الثوب من البول إذ كان مثل رؤوس الإبر: (نضج)، ورشّ الماء عليه يجرى من الغسل، فإن زاد على ذلك قليلاً قيل له: (نضخ) ولم يُجرى فيه إلا الغسل.
- وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع: (قبض) وبالكف: (قبض). ولأكل بأطراف الأسنان: (قضم) وبالفم: (خضم).
- ولما ارتفع من الأرض: (حزن)، فإن زاد قليلاً قيل: (حزم).
- وللذي يجد البرد: (خصر)، فإن كان مع ذلك جوع قيل: (خرص).
- وللنار إذا طفئت: (هامة)، فإن سكن اللهب وبقي من جمرها شيء قيل: (خامة)^(١).

٣- «وقد يكتنف الشيء معانٍ فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء، كاشتقاقهم من البطن للخميص: (مبطن)، وللعظيم البطن، إذا كان خلقاً: (بطين)، فإذا كان من كثرة الأكل قيل: (مبطان)، وللمنهوم: (بطن) وللعليل البطن: (مبطون).

ويقولون: وجذت الضالة، وجذت في الغضب، ووجدت في الحزن، ووجدت في الاستغناء. ثم يجعلون الاسم الضالة: (وجدوا) و(وجداناً)، وفي الحزن (وجداء)، وفي الغضب (موجدة)، وفي الاستغناء (وجداء)...

٤- «وللعرب (الشعر) الذي أقامه الله تعالى لها مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً لا يربط على الدهر، ولا يبيد على مر الزمان:

- وحرصه بالوزن، والقوافي، وحسن النظم، وجودة التخيير - من التدليس والتغيير، فمن أراد أن يحدث فيه شيئاً عسر ذلك عليه، ولم يخف له كما يخفي في الكلام المنشور.

(١) تأويل مشكل القرآن، ١٦-١٧.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ١٧.



- وقد تجد (الشاعر) منهم ربما زال عن سننهم شيئاً، فيقولون له: ساندت، وأقويت، وأكفأت، وأوطأت^(١)...»^(٢).

٥- «وللعرب (المجازات) في الكلام، ومعناها: طرُقُ القول ومآخذه. ففيها الاستعارة، والتَّمثِيل، والقَلْب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى»^(٣).

وقال ابن قتيبة -مُنتهياً بهذه التطبيقات، التي قرّرها عن طبيعة اللغة العربية، المؤثرة في دلالات الكلام- إلى القول:

- «وبكلّ (هذه المذاهب) نزل القرآن؛ ولذلك لا يُقدِرُ أحدٌ من التراجم^(٤) على أن ينقله إلى شيءٍ من الألسنة، كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور، وسائر كتب الله تعالى بالعربية؛ لأنّ (العجم) لم تتسع في (المجاز) اتساع العرب»^(٥):

(١) «انظر: معنى السناد، والإقواء، والإكفاء، والإبطاء، في الشعر والشعراء ١٤/٢ - ٤٤، والموشح ٢٤-٢٦، ونقد الشعر ٧٠-٨١، والعمدة ١٤١/١ - ١٤٧». (حاشية أحمد صقر).

(٢) تأويل مشكل القرآن، ١٧-١٨.

(٣) وهذه العلوم، على ما تراه من نفاسيتها وأهميتها لفهم الكلام، ولفهم الكتاب والسنة، هي من نفائس كتاب ابن قتيبة، رحمه الله.

(٤) يقصد: المترجمين للكلام من لغة إلى لغة أخرى.

(٥) تأويل مشكل القرآن، ٢٠-٢١.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

ثم يضرب ابن قتيبة أمثلة تطبيقية لهذا القول، فيقول^(١):

١- «ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ فَأُنِذُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾، [الأنفال: ٥٨] - لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هذنة وعهد، فخفت منهم خيانة ونقضاً، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وأذنهم بالحرب؛ لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء.

٢- وكذلك قوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، [الكهف: ١١] إن أردت أن تنقله بلفظه، لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أنمناهم سنين عدداً، لكنت مترجماً للمعنى دون اللفظ.

٣- وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، [الفرقان: ٧٣] إن ترجمته بمثل لفظه استغلق، وإن قلت: لم يتغافلوا؛ أديت المعنى بلفظ آخر.

٤- وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، [آل عمران: ٧] بأفهام كليلية، وأبصارٍ عليية، ونظير مذحول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدّلوه عن سبله.

ثم قصّوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللحن، وفساد النظم، والاختلاف.

وأدّلوا في ذلك بعلل، ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعتزّضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور.

(١) وهي أمثلة مفيدة لطيفة.



٥- ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأولهم - لسبق إلى الطعن به مَنْ لم يزل رسولُ الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يَحْتَجُّ عليه بالقرآن، وَيَجْعَلُهُ العَلَمَ لنبوته، والدليلَ على صدقِهِ، وَيَتَحَدَّاهُ فِي موطنٍ بعد موطنٍ، على أن يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مثله. وهم الفصحاء والبلغاء، والخطباء والشعراء، والمُخْصُوصون مِنْ بين جميع الأنام بالألْسِنَةِ الحَدَادِ، واللَّدَدِ، فِي الْخِصَامِ، مع اللَّبِّ والنُّهْيِ، وأصالة الزَّأْيِ. وقد وصفَهُم الله بذلك في غير موضع مِنَ الكتاب، وكانوا مَرَّةً يَقُولُونَ: هو سحر، ومَرَّةً يَقُولُونَ: هو قولُ الكهنة، ومَرَّةً: أساطيرُ الأولين.

ولم يَحْكِ الله تعالى عنهم، ولا بَلَّغْنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الروايات - أنهم جَدَّبُوهُ^(١) مِنَ الْجِهَةِ التي جَدَّبَهُ مِنْهَا الطاعنون^(٢).

وأقول: تالله، إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ، وهذه الحجة الدامغة، المبيِّرة لتَقْوَلِ الطاعنين في كتاب الله، حُجَّةٌ وَذِكَاؤٌ مِنْ هَذَا الْإِمَامِ الْمَوْفَّقِ - أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ - قَدْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلتَّفْطَنِ لَهَا، والاحتجاجِ بِهَا على الطاعنين في كتاب الله.

وقد أشار الله إلى هذه الحجة في تَحْدِيهِ للمُشْرِكِينَ الطاعنين في القرآن الكريم في مَعْرِضِ ذِكْرِهِ لِبَطْنِهِمْ فِيهِ، وَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ التَّحْدِيَّ لَهُمْ، وَإِخْبَارَهُ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا، مِنْ دَلَائِلِ الْحَقِّ وَالْإِعْجَازِ فِي نَصِّ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، كَالَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ، عَزَّ اسْمُهُ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾، [البقرة: ٢٣-٢٤]. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ

(١) «... وفي اللسان ١/ ٢٤٩: وَجَدَّبَ الشَّيْءَ يَجْدِبُهُ: عَابَهُ وَذَمَّهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (جَدَّبَ لَنَا عَمْرَ السَّمَرِ بَعْدَ عَمَتِهِ)، أَي: عَابَهُ وَذَمَّهُ». (حاشية أحمد صقر).

(٢) تأويل مشكل القرآن، ٢١-٢٣.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبير...

أَتَبَعَ هَوْنَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ، [الفصص: ٥٠]، وقوله عزَّ شَأْنَهُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ لَكُمْ فَاَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ ، [هود: ١٣-١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ ، [يونس: ٣٨] إلى غير ذلك مِنَ الآيات فِي الموضوع نَفْسِهِ؛ فَهَلْ ادَّعَى الْمُشْرِكُونَ -أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، وَأَهْلُ الذِّكَاةِ الْمُشْتَهَرِ عَنْهُمْ- جَوَاباً لِهَذَا التَّحْدِي؟ كَلَّا، بَلْ كَانُوا ضُمًّا بِكُمَا عُمِيًّا لَا يُبْصِرُونَ!

وهكذا حَالٌ مَنْ جَاءَ بَعْدَ مُشْرِكِي قَرِيْشٍ، مِنْ وَرَثَةِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَطَعْنِهِمْ الزَّائِفِ، وَسَيَكُونُ الْحَالُ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَيُؤَاجِهُهُ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ لَهُ، الرَّاغِبِينَ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْحَقِّ لِهَدَايَتِهِمْ؛ فَيُسْقِطُ فِي أَيْدِيهِمْ؛ فَلَا يَمْلِكُونَ جَوَاباً، وَلَا حِيلَةً، وَلَا حَلًّا، فَلَيْسَ أَمَامَهُمْ إِلَّا نَتِيجَةُ كُفْرِهِمْ، وَعَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، مُعِزٌّ مَنْ أَطَاعَهُ، مُذِلٌّ مَنْ كَفَرَ بِهِ!

ثم أَبَانَ ابْنُ قَتِيْبَةَ سَبَبَ تَأْلِيْفِهِ كِتَابَهُ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ نَقَلْتُهُ فِيْمَا مَضَى ^(١).

وَأَكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْأَمْثَلَةِ، وَإِلَّا فَنَفِي جُعْبَةِ الْإِمَامِ ابْنِ قَتِيْبَةَ الْكَثِيرِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحُجَجِ، وَالْفَوَائِدِ. وَلَعَلَّ هَذَا يُغْرِيكَ بِالْعَوْدَةِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ، فَتَضَحُّبُهُ زَمَناً مِنْ دَهْرِكَ، قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ عُمُرُكَ، أَوْ يَنْحَنِي ظَهْرُكَ!

(١) المطلب الثاني: «مشكل القرآن»، وأمثلة منه»، فِي الْمَبْحَثِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْفَصْلِ، فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ.



وختاماً:

أُشيرُ بإيجازٍ إلى بعض نتائج هذا المرور على بعض المعاني الرائقة عند الإمام ابن قتيبة، رحمه الله، وإيانا ووالدينا وسائر المسلمين، فمن معانيه ذات العلاقة بكتاب الله وبتدبره وفقهه:

١ - التخصص في اللغة العربية من أبرز ما انتهجه الإمام ابن قتيبة لخدمة اللغة العربية، وخدمة تدبُّر القرآن، وفقهه، والدفاع عن دين الله ووحيه سبحانه.

٢ - يتجلّى لك هذا كله عند ابن قتيبة باستعراض عناوين كتبه وأغراضها، وما سطره فيها من دلائل واضحة، أو شواهد شاهدة بتخصّصه، وإمامته، وإيمانه وأمانته، وجهاد قلمه لدخض طعون الطاعنين في دين الله ووحيه، المطعونين، وتفنيد شبهاتهم المزعومة.

٣ - ما سطره قلم ابن قتيبة، قد بقي تراثاً نفيساً مُنافساً في بابه: (اللغة العربية وعلومها وآدابها، وأصالتها، وفي أساليب القرآن والحديث الشريف، وبلاغتهما، وفي الدفاع عنهما، وإظهار محاسنهما، وأنهما الحق الذي لا يدخله ولا يلبسه باطل!) وإنه لثراءٌ مميّز؛ بعبق الإيمان؛ وبعمق التخصص؛ وبجدوة الزكاء والذكاء! فيا سعادة من سار في ركابه، وأحبّه وأحبّ كتابه!

٤ - (البلاغة، والمجاز، ومعاني حروف المعاني، واستثمار تمكّنه من دلالات الألفاظ، ودلالات مختلف أساليب اللغة العربية عن أهلها)، كان من أهم ما استثمره ابن قتيبة في الدفاع عن القرآن والحديث الشريف، وتفنيد الطعن فيهما: الأمر الذي يُنْعِشُ القارئ لكتابه، ويَهْدِي طالب التدبر سواء السبيل في هذه المجالات اللغوية، التي استخدمها القرآن الكريم في التعبير والبلاغة.

ولعلك تُتابع تَمَلّي حال ابن قتيبة وعلمه وكتبه، وجهوده؛ لِتَقْطِفَ المزيد، مما يُساعدك على حُسنِ فقه القرآن الكريم والحديث الشريف، وحُسنِ تدبرهما.

المبحث الثالث

كتاب «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، أبو النصر،
أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي، الحدّادي، وأمثلةٌ منه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مؤلف الكتاب، أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي، رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: كتاب «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، وأمثلةٌ منه.



المطلب الأول

مؤلف الكتاب: أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي، -رحمه الله تعالى-

الإمام أحمد السمرقندي -رحمه الله- رجلٌ أعجميٌّ من أهل سمرقند، توفي بعد الأربعمئة من الهجرة، قد أكرمه الله بالانصراف إلى اللغة العربية وكتاب الله تعالى، وعلم القراءات، وعلم الحديث، ورَحَلَ إلى البُلْدانِ في طَلَبِ الْعِلْمِ، حتى صار إماماً في اللغة العربية وتفسير القرآن الكريم وقراءاته.

وقد سَخَّرَهُ اللهُ لخدمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عن طريق تخصُّصه وعنايته باللغة العربية، وقد جاء كتابه (المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى) شاهداً على ذلك.

وقد تَقَرَّرَ لدى الأئمة أَنَّ الْمِفْتَاحَ الْأَسَاسَ لِفَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ، هو اللغة العربية، فَبَقَدَّرِ حَصِيلَةَ الْمَرْءِ من اللغة العربية يَظْفَرُ بِفَقْهِ كِتَابِ اللَّهِ.

قال أبو حيان: «فالكتاب^(١) هو المِرْقَاةُ إلى فَهْمِ الْكِتَابِ^(٢)؛ إذ هو الْمُطْلَعُ على عِلْمِ الْإِعْرَابِ...»^(٣).

وأكتفي في بعض ترجمة هذا الإمام بالنقل الآتي عن محقق الكتاب: صفوان عدنان داوودي:

(١) هو كتاب سيبويه في علم اللغة العربية.

(٢) هو القرآن الكريم.

(٣) مقدمة محقق الكتاب (المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى).

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

«هو الإمام العالم العلامة الزاهد الورع، أحمد بن محمد بن أحمد بن نصر السمرقندي، يُعرف بالحدادي.

- والحدادي: نسبة إلى عمل الحديد ... أو إلى قرية اسمها: حدّادة^(١).

وذكر ياقوت أن الحدّادة بالفتح والتشديد، قرية كبيرة بين دامغان وبسطام من أرض قومس على جادة الرّي^(٢).

والمشهور بالنسبة إليها:

- محمد بن زياد القومسي الحدادي، حدّث عن أحمد بن منيع البغوي. وروى عنه أبو بكر بن أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي.

- ومحمد بن خلف الحدادي المقرئ، يروي عن أبي أسامة وعبيد الله بن موسى وحسين الأشقر وغيرهم، روى عنه الدارقطني.

- وهناك حدّادي آخر وهو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن مهران الحدّادي المروزي الحاكم، أبو الفضل، كان قاضيًا ببخارى وغيرها. وكان فقيهاً حنفيًا، توفي في المحرم سنة ٣٨٨ هـ^(٣).

وهو معاصر لمؤلفنا وتوفي قبله فهذا كان ببخارى، والمؤلف في سمرقند.

ولم تبيّن المصادر التي بأيدينا أنهما اجتمعا أو التقيا^(٤).

(١) راجع الأنساب، السمعاني ٧٣-٧٤، والجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١٧٨/٤. (حاشية مُحَقِّق الكتاب).

(٢) راجع معجم البلدان، ٢١٧/٢. (حاشية مُحَقِّق الكتاب). وهي تقع حاليًا في إيران.

(٣) راجع الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ٣/١٤٤ و ١٧٨/٤. (حاشية مُحَقِّق الكتاب).

(٤) مقدمة محقق الكتاب، ص ١٧-١٨. وهذا الذي أخذته عنه في هذه الفقرة نقلته عنه بحواشيه؛ كسلاً واختصاراً للوقت.



وقد دَرَسَ على مشايخ من جَلَّةِ أهل عصره، وانصرف للعلم، وغُني بكتاب الله تعالى واللغة العربية -على ما مضى ذكره- خدمةً للكتاب العزيز والدفاع عنه، ونشر علومه.

وإنَّ ممَّا يلفت النظر، بإعجاب، أنَّ الرجلَ أعجميًّا، ومع ذلك بنى كتابه هذا على إتقان اللغة العربية، وتَمَرَّس عليها تَمَرَّساً يشهد بإمامته في اللغة وعلومها؛ فكَتَبَ هذا الكتاب بصياغةٍ، أجزم أنَّ كثيراً من العرب اليوم لا يفهمون كلامه، أو لا يكادون يفهمونه.

فينبغي لك يا طالب العلم، ويا طالب تدبّر وحي الله، أن تُعنى باللغة العربية، لغة الوحي الإلهيِّ، وتُعنى بالتدبر من هذا الباب العالي (باب لغة القرآن: اللغة العربية) للظفر بفقه هذا الوحي الشريف.

المطلب الثاني

كتاب «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»^(١)، وأمثلة منه

توطئة في فقرتين:

أ - حديثٌ عامٌّ عن الكتاب:

هذا كتابٌ قيّمٌ للغاية في باب علوم القرآن ومنهج تفسيره وتدبره، قد جاء مؤسساً تأسيساً علمياً معتمداً على إتقان اللغة العربية ودقائق علومها، وأسرارها، وهو الأمر الذي يتوقف عليه حُسن فقه الكتاب العزيز، وحُسن فقه حديث الرسول ﷺ، وإنّ القارئ المعنيّ باللغة العربية وبحُسن فقهها، والمعنيّ بحُسن فقه وحي الله؛ لَيَطْرُبُ عقله وقلبه بقراءته هذا الكتاب.

وهذا الكتاب من أوضح الأمثلة على مُصادقية ما قرّزناه في هذا الكتاب من أنّ هناك علوماً ومؤلفات مبكرة مؤسّسة لتدبر القرآن، بالرغم من أنّها لا تتضمن عناوين مباشرة في موضوع التدبر، وأنّ هذه العلوم وهذه المؤلفات مركّزة على اللغة العربية وعلومها ودقائقها!

وسَتَرَى بعض الأمثلة من الكتاب، المندرجة في هذا الباب التطبيقي في التدبر.

(١) دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



قَالَ مُحَقِّقُ كِتَابِ «المدخل»:

«- يُعْتَبَرُ هَذَا الْكِتَابُ مِنَ الْكُتُبِ الْقِيَمَةِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتفسير، وَقَدْ جَعَلَهُ الْمُؤَلِّفُ بِمِثَابَةِ الْمِفْتَاحِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الْقَصْرِ الْعَظِيمِ، وَالْبِنَاءِ الْكَبِيرِ، أَلَا وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَلَا يُمَكِّنُ دُخُولَ الْبُيُوتِ إِلَّا مَنْ أَبْوَابِهَا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحٌ.

فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلَاةُ، وَمِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ)^(١).

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:

«قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ مِفْتَاحًا يُفْتَحُ بِهِ، فَجَعَلَ مِفْتَاحَ الصَّلَاةِ الطُّهُورَ، وَمِفْتَاحَ الْحَجِّ الْإِحْرَامَ، وَمِفْتَاحَ الْبِرِّ الصَّدَقَةَ، وَمِفْتَاحَ الْجَنَّةِ التَّوْحِيدَ، وَمِفْتَاحَ الْعِلْمِ السُّؤَالَ وَحُسْنَ الْإِصْغَاءِ، وَمِفْتَاحَ الظَّفَرِ الصَّبْرَ، وَمِفْتَاحَ الْمَزِيدِ الشُّكْرَ، وَمِفْتَاحَ الْوَلَايَةِ الْمَحَبَّةَ وَالذِّكْرَ، وَمِفْتَاحَ الْفَلَاحِ التَّقْوَى، وَمِفْتَاحَ التَّوْفِيقِ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ، وَمِفْتَاحَ الْإِجَابَةِ الدُّعَاءَ، وَمِفْتَاحَ الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ الزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَمِفْتَاحَ الْإِيمَانِ التَّفَكُّرَ فِي مَصْنُوعَاتِ اللَّهِ، وَمِفْتَاحَ الرِّزْقِ السَّعْيَ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَمِفْتَاحَ الْعِزِّ الطَّاعَةَ.

وَكِتَابُنَا هَذَا مِفْتَاحٌ لِلتَّفْسِيرِ، إِذْ فِيهِ قَوَاعِدُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّفْسِيرِ وَالبَلَاغَةِ، مَنْ لَا يُحَسِّنُهَا وَلَا يَعْرِفُهَا، لَا يَسْتَطِيعُ الْخَوْضَ فِي لُجَّةِ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (١٤٨٨٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، فِي بَابِ مَا جَاءَ أَنَّ مِفْتَاحَ الصَّلَاةِ الطُّهُورَ، الْحَدِيثَ رَقْمَ (٤). عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَخْرَجَهُ غَيْرُهُمَا، وَوَرَدَ حَدِيثٌ عَنْ وَهَبِ بْنِ مَتْبَهٍ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يَفْتَحْ لَكَ»، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: (١-بَابُ فِي الْجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). وَأَخْرَجَهُ غَيْرُهُ.

(٢) مُقَدِّمَةُ مُحَقِّقِ الْكِتَابِ، ص ٢٨-٢٩.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

استفادة الإمام الحَدَّادي من الإمام ابن قتيبة وسواه:

استفاد الحَدَّادي في كتابه من ابن قتيبة في كتاب «مُشْكِل القرآن»، فجاءت مواضع عند الحَدَّادي متطابقة مع كتاب ابن قتيبة في أبوابه وفي أمثله فيها، إلا أنَّ الحَدَّادي غالباً لا يقتصر على أمثلة ابن قتيبة، وإنما يزيد عليها، ولهذا يأتي كلام الحَدَّادي أوسع من كلام ابن قتيبة، وهكذا استفاد الحَدَّادي، أيضاً من ابن فارس^(١).

ب- سبب تأليفه الكتاب:

ذكر المؤلف نفسه أنَّ الداعي للتأليف سببان:

١- صلةً لولده محمدٍ وهديةً له وللمسلمين.

٢- ردُّ على الطاعنين في القرآن من الملحدين وغيرهم.

فقد قال في المقدمة:

«إني لَمَّا فرغتُ من تصنيف كتابِ «المُوضح لعلم القرآن» صنفْتُ كتابي هذا تحفةً لولدي (محمدٍ نعمة الله)، وَصلةً مني إياه، وهديةً له ولسائر إخواني من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، وجعلته مدخلاً لعلم تفسير كتاب الله تعالى ومعانيه، وتنبهها على ما غمض من طُرُقِه ومبانيه، وردًّا على الملحدين الطاعنين في كتاب الله؛ لقصور علمهم عن افتنان لغة العرب وفصاحتها، ومذاهبها في الحذف والاختصار، والإيجاز والتكرار، والتقديم والتأخير، والإطالة والتقصير، وذكر التثنية بلفظ الجمع، وذكر الجمع بلفظ التثنية، والمذكر بلفظ التأنيث، والتأنيث بلفظ التذكير، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والعدول من المخاطبة إلى الغائبة، ومن الغائبة إلى المخاطبة، وحذف الجواب عن الشرط والقسم، وردَّ الكناية في الكلام إلى اللفظ تارةً وإلى المعنى أخرى، وإقامة بعض الحروف مقام بعض، وإثبات بعض الحروف

(١) يُنظر، صفوان بن عدنان داوودي، في مقدمة تحقيق كتاب المدخل، ص ٤١-٤٤. وعنه انتبهت إلى هذه الفائدة.



والمعنى حذفها، وحذف بعض الحروف والمعنى إثباتها، ولفظ الخبر بمعنى الأمر، والأمر بمعنى الخبر، وما يجيء بعد القول، وانتصاب الاسم على المصدر، وأشباهه، مما سيؤقّف عليه في أبواب هذا الكتاب، إن شاء الله عزّ وجلّ^(١).

ثم شرّع في أبواب الكتاب، وأوّلها: «الباب الأول: في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»، [الفاتحة: ٢] وقال: «اجتمع في هذه السورة ثمانية أبوابٍ من هذه الأبواب المذكورة من قبل، وغيرها» ثم ذكرها ووضّحها^(٢).

الوقف الأول: فوائد من «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»:

توطئة:

اشتمل كتاب «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى» على فوائد في تفسير القرآن الكريم، وفوائد لغوية مهمّة مراعاتها في منهج التفسير والتدبر، وهي ظاهرة في الكتاب من خلال العناوين والأبواب، ولا نستطيع إيرادها هنا؛ وإلا لأوردنا الكتاب كله.

لكن سأقتصر على الإشارة إلى عناوين قليلٍ منها، على غير تقيّد بالترتيب. وسأشير إليها في التالي:

ذكر المؤلف في كتابه أبواباً نفيسةً مهمّة في معرفة دلالات الآيات وألفاظها، وتحديد منهج التفسير في ذلك الباب وسواه من الأبواب.

وهي أبوابٌ مُركّزة على اللغة العربية وعلومها.

(١) المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، السمرقندي، ص ٥١-٥٢.

(٢) كتاب (المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى)، ص ٥٣.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

- ومن أمثلة هذه الأبواب عنده:
- بابُ ما جاءَ بعدَ القولِ.
 - بابُ انتصابِ الأسماءِ على المصادرِ.
 - بابُ العدولِ من الغائبةِ إلى المُخاطبةِ.
 - بابُ العدولِ من المُخاطبةِ إلى الغائبِ.
 - بابُ حذفِ المضاف وإقامةُ المضاف إليه مقامه.
 - بابُ البدلِ والمُبدل منه.
 - بابُ إدخالِ «لا» في الكلام، إمَّا صلَةً وإمَّا عطْفًا.
 - بابُ ذكرِ الجماعةِ بلفظِ الواحدِ.
 - بابُ ردِّ الكِنَايةِ تارةً إلى اللفظِ وتارةً إلى المعنى.
 - بابُ التَّقْدِيمِ والتَّأخِيرِ.
 - بابُ ذكرِ المتضادَّينِ باسمِ واحدٍ.
 - بابُ الإِثْبَاعِ.
 - بابُ الاستِعَارَةِ.
 - بابُ ما جاءَ على صيغةِ المُستَقْبَلِ ومعناه الماضي.
 - بابُ ما يُذكرُ بلفظِ الماضي ومعناه المُستَقْبَلِ.
 - بابُ اختلافِ اللفظَيْنِ والمعنى واحدًا.
 - بابُ ما جاءَ على وزنِ المفعولِ وهو في الحقيقةِ فاعِلٌ.
 - بابُ ما جاءَ على وزنِ الفاعلِ بمعنى المفعولِ.
 - بابُ ذكرِ التثنيةِ بلفظِ الجمعِ.
 - بابُ ما يُذكرُ بلفظِ الجمعِ ويُرادُّ به الواحدُ.





- بابُ حَذَفِ «يا» مِنَ الدَّاءِ.

- بابُ حُرُوفِ الْعَطْفِ إِذَا نَابَتْ عَنْ إِعَادَةِ «لا» وَ«لم».

- باب «بلى».

- باب «بل».

إلى آخر ما هُنالك من أبوابِ الكتابِ.

ولعلك ترى أَنَّ مثل هذه الأبواب جاءت كأنَّها هي دُرُوسٌ متخصَّصةٌ في اللغة العربية، وهي في الواقع كذلك، وهي تفسيرٌ للقرآنِ أيضاً وتَدْبِيرٌ له.

إليك هذه الأمثلة من الكتاب؛ تُنَبِّئُكَ عَمَّا وراءها من كنوزه النورانية:

المثال الأول: مجموعة أمثلة من كتاب «المدخل»، للحدادي:

هذا مثالٌ مُطَوَّلٌ نفيسٌ من «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، مما ذكره في بابٍ من أبواب الكتاب^(١)، ترى فيه بعض آراء الحدادي ونقده لبعض آراء المفسرين:

ذَكَرَ تحت هذا الباب عدداً من أمثلة التفسير هذه، وردَّ بعضها وقَبِلَ بعضها. وبعضُ هذه التفاسير ربما كانت من غرائب التفسير، فيما بدا لي؛ وهو في بعض المواضع منها يُقرَّر عدم ورود هذا التفسير في اللغة، ولكنه ربما يُصرِّح أحياناً باتِّباع رأي جمهور المفسرين بخلاف اللغة!

وعندي في هذه الأخيرة نظْرٌ، والله أعلم، فليس المقياس دائماً في تفسير كتاب الله هو قول الجمهور، وإنما صحة المعنى واستقامته على قانون اللغة العربية وفي ضوء الدليل مما ورد في القرآن في المواضع الأخرى من الكتاب العزيز، وما ثبت من الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

(١) هو باب: «باب ما جاء عن أهل التفسير ولا يوجد له أصلٌ عند النحويين ولا في اللغة»، ص ٩٨-١١٢.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وإليك شيئاً مما قاله الحدّادي تحت هذا الباب^(١):

مما قاله في تفسير وضبط كلمة (آمين):

«... وقال بعضهم: هذا لو كان كما ذهب إليه ابن قتيبة لكان النون فيه مرفوعاً؛ لأنّ المنادى إذا كان مفرداً كان مضمومًا، كما تقول: يا لطيفُ يا عليمُ.

فلَمَّا أجمعت القراء والنحويون على فتح نونه عَلِمَ أَنَّهُ ليس كذلك.

- فإن قيل: هل له في أصل اللغة أنّ «آمين» يكون بمعنى: اسمع استجب؟ أو اسمع؟ على ما سبق ذكره.

قلنا: ليس كل ما يُؤثّر عن المفسرين يوجد له أصل في اللغة.

- روينا عن زرّ بن حبيش أنه قال:

قرأت على عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، فلما بلغت الحواميم قال لي: يا زرّ قد بلغت عرائس القرآن، فلما بلغت رأس العشرين من حم عسق ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ...﴾ الآية، [الشورى: ٢٢]: بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع رأسه، وقال: يا ربّ آمّن على دعائي^(٢)، وذكر الحديث.

(١) وأرجو أن يلاحظ في هذا النقل آتي -اختصاراً للوقت والجهد-:

- اختصرت فيه بعض المواضع بالحذف.

- نقلت الكلام مع بعض حواشي محقق الكتاب: الأستاذ الفاضل، صفوان داوودي، وختمت حواشيه المنقولة بكلمة (صفوان).

- تقدت بعض ما ذهب إليه المحقق الفاضل من الرأي.

- ختمت في نهاية النقل بملحوظات واستدراكات على المؤلف، رحمه الله تعالى.

- وضعت خطأ تحت بعض الكلام الذي فيه شاهد للقول في فقه الكتاب العزيز وتدبره؛ تمييزاً له.

(٢) الحديث أخرجه ابن النجار في تاريخه عن رزين بن حصين قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على عليّ بن أبي طالب، فلما بلغت الحواميم قال لي: قد بلغت عرائس القرآن فلما =



قال الشيخ الإمام رضي الله عنه: هذا من أغرب ما في آمين، حيث دعا ربه أن يؤمن على دعائه^(١).

إن صحّت هذه الرواية هكذا، ولقوله: «يا رب آمن على دعائي» فقد غمض علمه عندنا؛ فعلينا أن نقتدي بالأئمة، ونُجريه كما أجروه، وإن لم نعرف حقيقته، ولم نجد له في اللغة والنحو أصلاً^(٢)، كما جاء عن الأئمة في تفسير بعض الآيات، مما يُشكل على أهل اللغة أصلها وبنائها، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ﴾، [هود: ٧١].

قال بعض المفسرين: معناه حاضت^(٣)، فأين محلّ حاضت من ضحكت في اللغة! إلا ما حكى من بعض أهل اللغة أنه قال: ضحكت الأرنب إذا خرج من قبلها دم، كان هذا استعارة من ذلك، والله أعلم.

- وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾، [يوسف: ٣١].

= بلغت اثنتين وعشرين آية من حم عسق بكى، ثم قال: اللهم إنني أسألك إخبات المحبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمة من كل برّ، والسلامة من كل إثم، ورجوت رحمتك، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، ثم قال: يا رزين إذا ختمت فادع بهذه فإن رسول الله ﷺ أمرني أن أدعو بهن عند ختم القرآن. (صفوان).

(١) قال الرحيلي: لو ثبت الحديث فلا غرابة في ذلك؛ لأنّ التأمين من الله تعالى في هذه الحال، المراد به: استجابته دعاءه، لكن الحديث يبدو أنه لا يثبت من الطريق الذي ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال، حيث قال في ترجمة زكريا بن صمامة: أتى بخبر منكر عن حسين الجعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، وذكر الحديث.

(٢) قال الرحيلي: قوله هذا - رحمه الله - ليس على إطلاقه؛ إذ الواجب أولاً: التثبت من صحة نسبة القول إلى الجمهور؛ إذ كم رأينا مما يُنسب إلى الجمهور، ثم لا نجد ذلك كذلك، ثم لا بد أن نقف على دلالة الدليل؛ لنضدّر عن دليل مقبول!

(٣) قال مجاهد وعكرمة: ضحكت: حاضت... والعرب تقول: ضحكت الأرنب إذا حاضت. وروي عن ابن عباس وعكرمة. أخذ من قولهم: ضحكت الكافورة - وهي قشرة الطلع - إذا انشقت. (مختصر حاشية محقق الكتاب).

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

قيل في تأويله: حِضْنٌ^(١). رواه مجاهد عن أبيه.

قال الشيخ الإمام رضي الله عنه: فهذا لا يصح إلا بإضمار كلمة. تقديره: أكبرن له، أو أكبرن به، ...

- ومنها قوله تعالى: ﴿عَيْنَاهَا تُسَمِّي سَلِيلًا﴾، [الإنسان: ١٨].

قال الشيخ الإمام رضي الله عنه: عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معناها: سل ربك إليه سبيلاً. فأول ما قرع سمعي هذه المقالة كنتُ أبدي عجباً، وقُلْتُ: ليس هذا من قبل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع فصاحته وفضله^(٢)، وأين خبر ﴿تُسَمِّي﴾^(٣)؟

(١) قاله قتادة ومقاتل والسدي... وأنكر ذلك أبو عبيدة، وقيل: البيت مصنوع مختلق. (مختصر حاشية محقق الكتاب).

(٢) قال الرحيلي: هذا هو الرأي الحق السديد، فليت الإمام السمرقندي ثبت عليه، ولم يزع عنه في الأسطر بعد هذا.

(٣) قال الجاحظ: «وقال آخرون في قوله تعالى: ﴿عَيْنَاهَا تُسَمِّي سَلِيلًا﴾، [الإنسان: ١٨] قالوا: أخطأ مَنْ وصل بعض هذه الكلمة ببعض. قالوا: وإنما هي: سل سبيلاً إليها يا محمد. فإن كان كما قالوا فأين معنى (تُسَمِّي)؟ وعلى أي شيء وقع (تسمى)؟ فتسمى ماذا؟ وما ذلك الشيء؟». كتاب الحيوان، للجاحظ، ١/ ٢٢٩، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ، في ٧ أجزاء. [قال الرحيلي: يُلاحظ أن قول الجاحظ هذا قد قال به الإمام السمرقندي الحدادي، ناسباً إياه لنفسه! وقد نقل هذا محقق كتاب المدخل، وقال:]

”أقول: - وهذا من المنسوب إلى سيدنا علي زوراً وبهتاناً.

ومثل هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر قال: ذكر لي الحافظ صلاح الدين الأقفهسي أنه سمع محمداً الكلائي الملقب صلاح الدين، أحد المذكرين، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾، [البقرة: ٢٥٥]-: مَنْ ذَلْ ذِي: ذَلَّ نفسه، وذِي: إشارة إلى النفس، يشف: يحصل له الشفاء، عُ: افهموا. قال: فذكرت ذلك للشيخ زين الدين الفارسكوري فمشى معي إلى الشيخ سراج الدين البلقيني، وأرسل إليه وعزَّره ومنعه من الكلام على الناس. راجع إنباء الغمر ٢/ ٨٨. (صفوان).

قلت: جميل أن تنبأ الأستاذ لهذا؛ فإنَّ ثبوت الرواية هو الأمر الأول الأساس، الذي كان ينبغي أن يُبنى عليه الرأي.



وذكرت في كتابي «المُوضح» هذا القول، وقلت: ليس هذا من عليّ، حتى وجدتُ في بعض كتب المتقدمين أنَّ هذا من قِبَل عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسَلَّمْتُ، وعددته من جملة ما وردَ عن أهل التفسير، مما لا أصل له في اللغة^(١).

- ومنها قوله تعالى: ﴿قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا﴾، [القصص: ٩]، الوقف على ﴿لَا﴾^(٢)، ثم تجعل ﴿نَقْتُلُوهُ﴾ ابتداءً. فهذا غير مفهوم عند النحويين.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾، [هود: ٩١] قال بعضهم: شيبتك^(٣).

(١) قال الرحيلي: هذا عجيبٌ من الإمام السمرقندي، وشاهدٌ على عدم تَمَكُّنِهِ من علم الحديث الشريف، وأنه لمجرد أن رأى الرواية عن عليّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مذكورة في بعض كتب المتقدمين، أخذ بها، ورجع عن القول الصحيح!

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الوقف لا، لأن امرأة فرعون قالت: قرّة عين لي ولك، فقال لها فرعون: أمّا لك فنعم، وأمّا لي فلا، ليس هو قرّة عين، فكان كما قال. قال الفراء وأبو حاتم وجماعة من أهل الكوفة: إنّ هذا لحن ولا وجه لهذا الوقف في العربية؛ لأنّه لو كان كذلك لقال: تقتلونه، بنون الرفع، إذ لا مقتضي لحذفها؛ لأنّ حذفها إنّما كان للنهي، فإذا بطل أن يكون نهياً، وجب ثبوت النون، فلما جاء بغير نون علِمَ أن العامل في الفعل «لا» فلا يفصل منه.

وهذا القول إقدامٌ من قائله على مثل ابن عباس، وهو الإمام المقدم في الفصاحة والعربية وأشعار العرب، وتأويل الكتاب والسنة...، ولقول ابن عباس مذهب سائغ في العربية، وهو أن يكون «تقتلوه» معه حرف جازم قد أضمر قبل الفعل، لأن ما قبله يدل عليه فكأنه قال: قرّة عين لي ولك لا، ثم قال: لا تقتلوه عسى أن ينفعنا، وتكون «لا» الأولى قد دلت على حذف الثانية، وقد جاء إضمار «لا» في القرآن في قوله: ﴿يَبْنَؤُا لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا﴾، [النساء: ١٧٦]، أي: لتلا تضلوا، وجاء في الشعر إضمار اللام كقول أبي طالب يخاطب النبي ﷺ:

محمّد تفدِ نفسك كلُّ نفسٍ... إذا ما خفت من أمرٍ تبالا.

راجع منار الهدى في الوقف والابتداء، ص ٢٨٩. (حاشية صفوان، باختصار).

[قال الرحيلي: ليس الأمر كذلك، وانظر ما سيأتي مما قلته في نقد هذا القول في فقرة: «وقفةً نقديةً لهذا النص السابق عن الإمام الحدّادي السمرقندي»].

(٣) قال الرحيلي: هذا من التكلف في تفسير كلام الله، وليس عليه دليل سوى الأقاويل!

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

- وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، [الأعراف: ١٦]، قيل: طريق مكة^(١).
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، [يونس: ٨١]: لا يرضى عمل القبط^(٢).
- وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، [هود: ٨٦] طاعة الله، عن مجاهد.
- وذكر الفراء: بقية الله: مراقبة الله^(٣).
- وقوله تعالى: ﴿فَتَذَكَّرْ أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى﴾، [البقرة: ٢٨٢]^(٤): أي: تجعل كل واحدة منهما الأخرى ذكراً في قول الشهادة^(٥).
- فهذا ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء وسفيان بن عيينة.
- وقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، [الأعراف: ٣١]، قيل: المشط^(٦).
- والآية نزلت في كشف العورة ولبس الثياب عند الطواف، ولها قصة^(٧).

-
- (١) قال الرحيلي: وهذا كذلك من التكلف في تفسير كلام الله، وليس عليه دليل سوى الأقاويل!
 - (٢) قال الرحيلي: وهذا كذلك من التكلف في تفسير كلام الله، وليس عليه دليل سوى الأقاويل!
 - (٣) انظر: معاني القرآن ٢/ ٢٥. (صفوان).
 - (٤) خَفَّفَ الذال والكاف ابن كثير وأبو عمرو، وعليه فيكون المعنى: أن تردها ذكراً في الشهادة لأن شهادة المرأة نصف شهادة، فإذا شَهِدَتَا؛ صار مجموعهما كشهادة ذَكَرٍ. قاله سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء.
 - وفيه بُعِدَ، إذ لا يحصل في مقابلة الضلال الذي معناه النسيان إلا الذُكْر، وهو معنى قراءة الجماعة «فَتَذَكَّرْ» بالتشديد. أي: تنبهها إذا غفلت ونسيت.
 - راجع تفسير القرطبي ٣/ ٣٩٧-٣٩٨. (صفوان).
 - (٥) قال الرحيلي: وهذا كذلك من التكلف في تفسير كلام الله، وليس عليه دليل سوى الأقاويل!
 - (٦) قال الرحيلي: وهذا كذلك من التكلف في تفسير كلام الله، وليس عليه دليل سوى الأقاويل!
 - (٧) وقصته أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، وتقول: من يعيرني تطوفاً؟ تجعله على فرجها وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا آدَمُ خُذْ زِينَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. وأذن مؤذن رسول الله ﷺ ألا لا يطوف بالبيت عريان. (صفوان).



- وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾، [الحجرات: ٣]: قال أهل التفسير: أخلص قلوبهم.

وقال الزجاج: وهو يُخرَج على تفسير حقيقة اللغة، فمعناه: اختبر الله قلوبهم فوجدهم مخلصين.

- وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، [المطففين: ١]، قيل: إنها وادٍ في جهنم^(١). وقيل: جبل في النار، وقيل: جُبٌّ في جهنم.

وفي اللغة: كلمة تستعمل في كل مَنْ وقع في ورطة أو هلكة.

- وقوله تعالى: ﴿فَلَا كُنْتُمْ فِيْنَا مَرْجُوءًا﴾، [هود: ٦٢]، أي: حقيرًا.

- وقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، [فاطر: ١]، قال الزهري: حسن الصوت. وقال قتادة: الملاححة في العينين.

وإنما نزلت هذه الآية في ذكر أجنحة الملائكة.

- وقوله تعالى: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾، [الروم: ١٥]، قيل: السماع. أي: نسبة بين السماع والحبور؟

- وقوله تعالى: ﴿يُضَاعَفُ مُرَّجَلَهُ﴾، [يوسف: ٨٨]^(٢)، قيل: هي الحبة الخضراء.

(١) جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: (ويلٌ وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره)، أخرجه أحمد في المسند، برقم ١١٧١٢، بسندٍ ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة عن دراج، وهو الترمذي، برقم ٣١٦٤، وقال: «غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج»، وسواهما. وأورده ابن كثير في تفسيره، وحكم بضعفه، وقال في موضع آخر: «لا يصح». وقال الفراء: «ذَكَرَ أَنَّ «وَيْلٌ» وادٍ في جهنم»، وعقب عليه بقوله: «والويل: الَّذِي نعرف»، معاني القرآن، ٢٤٥/٣. يعني: هو الذي نعرفه.

(٢) مزجاة: أي تُدفع ولا يقبلها كل أحد. وقيل: الحبة الخضراء والصنوبر حيث يؤكل ويعصر الزيت منه لعمل الصابون. قاله أبو صالح. راجع تفسير القرطبي ٥٣/٩. (صفوان).

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

- وقوله تعالى: ﴿وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾، [البقرة: ١٩١]، قيل: هي الفقر، عن الشعبي.
 - وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، [هود: ٨٧]، قيل: السفية الجاهل.
 - وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾، [الرعد: ٣٣]، بباطل.
 - وقوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، [الأنفال: ١١].
- وأطبقت المفسرون على أنه وسوسة الشيطان. وفي حقيقة اللغة الرجز: العذاب.
- قال علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ﴾، [الكوثر: ٢]، أي: ضع يمينك على شمالك في الصلاة^(١).
- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، [الحج: ١١]، قال مقاتل: على شك. فأئى نسبة بين الحرف والشك^(٢)؟
 - وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾، [سورة ص: ٦]، قيل في تفسيره: إن هذا شيء لا يتم ولا يكون، فأئى نسبة بين قوله: «يراد» وبين لا يتم؟! وهنا انتهى المراد نقله من هذا الباب في كتاب (المدخل)^(٣).

وقفه نقدياً عند هذا النص السابق من كلامه - رحمه الله -:

وتتلخص في أنه رغم ما وفق إليه الإمام السمرقندي من صواب القول في هذا النص السابق من كتابه، إلا أنه لم يكن الصواب حليفه في كل الأحوال؛ ولهذا أُشير إلى بعض الهنات، فيما أرى، التي وقع فيها، رحمه الله، ومنها الآتي:

- (١) قال علي بن أبي طالب ومحمد بن كعب، المعنى: ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة. وروي عن ابن عباس أيضاً. راجع تفسير القرطبي ٢٠/٢١٩. (صفوان).
- (٢) قال مجاهد وغيره: «على حرف» على شك، والنسبة بين الحرف والشك أنهما كلاهما على غير ثبات. وحقيقته أنه على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف مضطرب فيه، وحرف كل شيء: طرفه وشفيره وحده. (صفوان).
- (٣) ص ١١٢-١٠٣.



(١) الخطأ في تفسير ﴿سَلْسِيلًا﴾:

فقد تكلف الإمام الحدّادي في قبوله لتفسير المتكلفين حيث خطّأوا كلمة ﴿سَلْسِيلًا﴾، وزعموا أنها كلمتان: (سَل سَبِيلًا)، وهذا تحريف لكتاب الله؛ مع أن كلام الله واضح قد فسّره الله سبحانه وتعالى فقال في وصف العين التي يشرب بها عباد الله الداخلين الجنة. فقال: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾، [الإنسان: ١٨].

وبيان خطأ هؤلاء المتكلفين من وجوه:

أ - أن الله يُخبر في هذه الآية بأنها عينٌ تسمى أي: توصف، أنها سلسيل، فأى حاجة، بعد هذا، لتفسير الناس وتكلفاتهم!

ب- أن الرسول ﷺ قد فسّر الآية بهذا التفسير الصحيح، كما في الحديث عند الإمام مسلم في صحيحه، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، حدّثه قال: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ ... فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟) قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَعَهُ، فَقَالَ: (سَلْ)، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ)، قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةٌ؟ قَالَ: (فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ)، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحَفَّتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (زِيَادَةُ كِبِدِ النُّونِ)، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: (يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا)، قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: (مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا)، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: (يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟) قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ الْوَلَدِ، قَالَ: (مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

مَنِی الرَّجُلِ مَنِی الْمَرْأَةِ أَذْكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِی الْمَرْأَةُ مَنِی الرَّجُلِ أَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ) (١).

فَأَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ فَسَّرَ الْآيَةَ بَوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ؛ فَمَا الْحَاجَةُ لَتَفْسِيرِ الْمَفْسِرِينَ وَتَكُلُّفِ الْمُتَكَلِّفِينَ!

وما أجمل قول الإمام ابن قتيبة في بعض بيانه لمنهج في كتابه: (غريب القرآن) حيث قال:

«وكتابنا هذا مُسْتَنْبَطٌ مِنْ كِتَابِ الْمَفْسِرِينَ، وَكُتِبَ أَصْحَابُ اللُّغَةِ الْعَالَمِينَ. لَمْ نَخْرُجْ فِيهِ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَلَا تَكَلَّفْنَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ بَارِئًا غَيْرَ مَعَانِيهِمْ، بَعْدَ اخْتِيَارِنَا فِي الْحَرْفِ أَوْلَى الْأَقَاوِيلِ فِي اللُّغَةِ، وَأَشْبَهَهَا بِقِصَّةِ الْآيَةِ.

وَبَدَّنَا مُنْكَرَ التَّأْوِيلِ، وَمَنْحُولَ التَّفْسِيرِ.

- فَقَدْ نَحَلَ قَوْمُ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، [التكوير: ١] إِنَّهَا غُوِّرَتْ؛ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ بِالْفَارِسِيَّةِ: كُوزَ بِكَرْد.

- وَقَالَ آخَرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَيْنَاهَا تُسَوِّى سَلِيلًا﴾، [الإنسان: ١٨] أَرَادَ سَلَنِي سَبِيلًا إِلَيْهَا يَا مُحَمَّدٌ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم ٣٤ - (٣١٥).

والحديث مشتمل على بعض دلائل النبوة، وعلى أن السنة وحْيٌ من الله تعالى، والحديث فيه، أيضاً، إقامة الله الحجة ثابتة على أهل الكتاب بأن محمداً ﷺ رسولٌ من عند الله، وأن نبوته ثابتة عندهم، بما أقامه الله لهم وعليهم من الحجج المعلومة لديهم، كما هو الشأن في هذا الحديث! فأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ.



- وقال الآخر في قوله: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، [المطففين: ١] إن الويل: وإد في جهنم.
- وقال الآخر في قوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، [الغاشية: ١٧] إن الإبل: السحاب^(١).

قلت: حقاً، إن هذه التفسيرات من غرائب التفسير، وما أحوَجنا في تدبر كتاب الله وتفسيره إلى تجاوز هذه التكلفات المبتدعة في تدبر كتاب الله وتفسيره، وإلى انتهاج الاتباع وعدم الابتداع، وإلى السير على قانون اللغة العربية، لغة القرآن، وإلى ما ورد من نصوص الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ في معنى الآية.

(٢) لم يكن نقض الإمام السمرقندي لبعض الأقوال المنتقدة في التفسير بالقدر الكافي، المؤدّي إلى وضوح الترجيح، كما هو الحال فيما قاله في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، [القصص: ٩]، اقتصر الإمام على قوله: «الوقف على لا»، ثم تجعل ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ ابتداءً. فهذا غير مفهوم عند النحويين^(٣).

قلت: وهذا بالرغم من وضوح معنى الآية في ذاتها، ووضوح هذا التكلف في تفسيرها؛ إذ أنّ مجرد قراءة الآية يوضّح أنّها حكاية لقول امرأة فرعون؛ فلا يستقيم معها ذلك التفسير المتكلف، الذي ينقل وضوح هذه الآية إلى دائرة الغموض والألغاز.

وترجيح الأستاذ المُحقّق لكتاب (المدخل) لهذا القول المتكلف في تفسير هذه الآية -تعليقاً على ما مضى عند كلام السمرقندي عن تفسيرها- ترجيح غريب،

(١) غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، ص ٤.

(٢) يُنظر ما مضى في الثلاث صفحات السابقة.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

واحتجابه على هذا الترجيح بأنه كلام ابن عباس رضي الله عنهما وعدد من الأئمة، احتجاج ليس صحيحاً، يقيناً؛ وذلك لأسباب، منها:

أ - أنه ينبغي التثبت أولاً من صحة نسبة القول إليهم.

ب - أن القراءة تلك المتكلفة للآية، قراءة غير صحيحة، وأن نسبتها إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، لا تثبت، وذلك من جهة إسنادها، وكذلك من جهة المعنى؛ إذ هي إفساد للمعنى المقصود بالآية، وتحريف لكلام الله^(١).

ج - وأن المنهج المتعين في تدبر كتاب الله وتفسيره ليس هو تحكيم أقاويل المفسرين فيه، بقدر ما هي أقوال يسترشد بها، ويستضاء بها في تبين دلالات الكتاب العزيز، وأن أقوال المفسرين تؤخذ في ضوء قانون اللغة

(١) لم تأت هذه الرواية بهذا الوقف المتكلف في غير موضعه إلا في رواية منسوبة إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، لا تصح عنه؛ لأنها عن طريق السدي، عن الكلبي، عن أبي صالح عنه.

قال الفراء: «وقوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَ﴾، [القصص: ٩] رُفِعَتْ ﴿قُرْتُ عَيْنِي﴾ بإضمار (هو)، ومثله في القرآن كثير يُرفع بالضمير.

وقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ وفي قراءة عبد الله (لا تقتلوه قُرَةً عَيْنِي لِي وَلَكَ)، وتابع الفراء قائلاً: «وإنما ذكرت هذا لأنني سمعت الذي يُقال له ابن مَرْوَانَ السُّدِّيُّ يَذْكُرُ عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّهَا قَالَتْ ﴿قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَ﴾ وَهُوَ لَحْنٌ. وَيَقُولُكَ عَلَى رَدِّهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ». معاني القرآن، ٣٠٢/٢.

ونقل قوله هذا القرطبي في تفسير الآية، ثم قال:

«قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: وَإِنَّمَا حَكِمَ عَلَيْهِ بِاللَّحْنِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ (تَقْتُلُونَهُ) بِالنُّونِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمُسْتَقْبَلَ مَرْفُوعٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ النَّاصِبُ أَوْ الْجَزْمُ، فَالنُّونُ فِيهِ عَلَامَةُ الرَّفْعِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَيَقُولُكَ عَلَى رَدِّهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ لَا تَقْتُلُوهُ قُرَةً عَيْنِي لِي وَلَكَ)، بتقديم ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾، تفسير القرطبي، ٢٥٤/١٣.

وَمِنْ الطَّرِيفِ فِي هَذَا مَا قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٣٣٨ هـ، فِي كِتَابِ «الْقَطْعِ وَالِاتِّصَافِ» فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْوَقْفِ وَالِاتِّصَافِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «وَلَا يُنْتَفَتِ إِلَى قَوْلِ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا فِكْرَةَ، ثُمَّ يَقُولُ بِجَهْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي﴾. وَرَأْسُهُ فَيَجِبُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: يَا حِمَارُ فَمَا مَعْنَى: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَيْنِي أَنْ يَنْفَعَنِي﴾! ص ٥٠٨.



العربية واستعمالاتها، وما ثَبَّتَ في معنى الآية، ممَّا وَرَدَ في المواضع الأخرى من القرآن وما ثَبَّتَ عن الرسول ﷺ من الأحاديث.

د - ومما يَرُدُّ هذا التكلف في تفسير كلام الله تعالى، أن الله خاطب عباده في كتابه على واضح الكلام، لا على الألغاز، التي لا يُهْتَدَى إلى المراد منها إلا بتكلف، فلا يَعْرِفُ معناها حينئذٍ إلا عدد قليل من الناس!

والموقف من هذا المثال، وما ذكُرْتُهُ من بيان القول الصحيح فيه، يؤكِّد أهميَّة استبانة المتدبر والمفسر المنهج السديد، الذي ينبغي مراعاته في تدبره وتفسيره لكلام الله. اللهم نسألك هدايةً وتوفيقاً، وعِصمةً من الزلل في فقه كتابك.

المثال الثاني: ما قاله الحدادي في باب (بلى)^(١):

من أمثلة تمكُّن الإمام أحمد بن محمد السمرقندي من اللغة العربية - وهو ممَّا يُساعد على تدبُّر القرآن، بل هو شرطٌ له - كلامه في باب (بلى)، حيث قال:

«- إن سئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) ﴿بلى﴾^(٢)، [آل عمران: ٧٥-٧٦].

فقوله: ﴿بلى﴾ إلى ماذا يرجع؟

- الجواب:

قلنا - وبالله التوفيق - : علينا أن نبيِّن أولاً حكم (بلى) وما موضعه.

قيل: إن (بلى) له (ثلاثة) مواضع:

أحدها: أن يأتي بعد كلام منفي.

والثاني: بعد استفهام منفي.

(١) المثال الأول قد مضى قبل حوالي ١٤ صفحة.

(٢) تتمتها: ﴿بلى من أوفى بعهده وأتقى فإن الله يحب المتقين﴾، [آل عمران: ٧٦].

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

والثالث: بعد نهْيٍ مجرّد.

لأنّ (بلى) و(بل) لا استدراكٍ غلطٍ تقدّمهما، أو لردّ كلامٍ سبق وإثباتٍ كلامٍ آخر.

- أمّا ما جاء بعد استفهامٍ منفّي:

- فكقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تَوْنُ مِنْ قَالِ بَلَىٰ﴾، [البقرة: ٢٦٠].

- وكقوله: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِآلِ حَقٍّ قَالُوا بَلَىٰ﴾، [الأنعام: ٣٠].

- وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، [الأعراف: ١٧٢]، ونظائرها كثيرة.

- وأمّا ما جاء بعد النفي:

- فكقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانِي﴾^(١)، [البقرة: ١١١] الآية.

- ثم قال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، أي: ليس كما يقولون، ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ فله كذا.

- وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٧٥) بَلَىٰ، [آل عمران: ٧٥-٧٦]، يعني: قالت اليهود: ليس لنا في أخذ أموال الأُمّيين حرجٌ، وإنّ ذلك حلالٌ لنا، فردّ الله عليهم ما قالوا بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾، أي: ليس كما يقولون، ولكن عليكم حرجٌ.

والثاني: ما غلطتم فيما قلتم، ولكن من أوفى بعهده واتفى فإنه لا سبيل عليه.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّقَهُمُ الْمَلَكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَسْنَا مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢٨)، [النحل: ٢٨-٢٩].

- وأمّا قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ عَائِنِي، [الزمر: ٥٨-٥٩].

(١) تتمتها: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣١) بَلَىٰ، [البقرة: ١١١-١١٢].



فإن سئل عنه ف قيل: أين النفي ههنا حتى أجاب عنه بـ ﴿بلى﴾؟

قلنا: قوله: ﴿لَوْ أَن لِي كَرَّةٌ﴾ فيها معنى النفي، كأنهم قالوا: الآن لَمَّا أبصرنا وسمعنا لو أن لنا كَرَّةً فنكون من المحسنين، فإنه لم يأتنا أحدٌ في الدنيا يُخبرنا عن هذا، فردّ عليهم، ف قيل: كذبت، بلى قد جاءتك آياتنا فكذبت بها.

يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، [الملك: ١٠]، كأنهم أنكروا مجيء الرسل، والله أعلم.

- وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنِّي دَدَنِي﴾ [الزمر: ٥٧]، فيها معنى النفي أيضًا. كأنه قال: لم يهدني، ف قيل: بلى هداك. أي: دعاك الرسول إلى الإيمان. والله أعلم.

- وأمّا النفي المطلق: فهو كقولك للرجل: لا تقل، فيقول: بلى أقول، كما قال القائل:

بلى فانهلّ دمعك غير نَزَرٍ ... كما عيئت بالسرب الطّبابا^(١).

قلت: ولعلك أيها الكريم يتّضح لك من خلال هذا المثال:

- تَمَكُّنُ الإمام الحدّادي من اللغة العربية.
- تَمَكُّنُهُ من القرآن الكريم، وكيف أنه اصطاد منه هذه الأمثلة، ولم تكن الوسائل الفهرسيّة متاحة له حينئذٍ.
- اختياره خِدْمَتَهُ لتدبر القرآن وتفسيره عن طريق هذه العناية العلمية بكلّ من اللغة العربية، والقرآن الكريم.

وهنا، أدعوك أيها القارئ الكريم إلى الاستفادة من هذا المثال عند هذا الإمام وأمثاله، وتفعيله في واقعك: في فقهك للقرآن، وطريقة قراءتك له؛ لتقف في قراءتك

(١) المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، ص ٣٨٨-٣٩٠.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

له الموقف المناسب، أو تصل الكلام عند قراءتك للقرآن وتَمُرُّ عليك مثل هذه الحروف، التي يَحْسُنُ أن تقف عندها حيناً، وتصلها حيناً آخر؛ حسب المعنى.

المثال الثالث: ما قاله الحدادي في باب (بل):

وَمِنْ أَمْثَلِ تَمْكُنِ الإمام أحمد بن محمد السمرقندي مِنَ اللغة العربية، كذلك، وخدمته للقرآن وتدبره: كلامه في باب (بل)، حيث قال:

«قال الشيخ الإمام الزاهد، رضي الله عنه: إِنَّ (بَلْ) يدخل في الكلام على أحد أوجه ثلاثة:

الأول: إمَّا لاستدراك غلط، أو الرجوع عن جحدٍ مخضٍ.

والثاني: لتترك شيء من الكلام وأخذ غيره.

والثالث: مُبْتَدَأَةً، يليها اسمٌ، فُسِّهَتْ بالواو، التي تأتي للاستئناف.

- أمَّا الفصل الأول^(١):

فهو أن تأتي فيه لاستدراك غلط وقع، أو رجوع عن الجحد، فمثل قوله تعالى: ﴿الْمَرْ ١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَنَّهُمْ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾، [السجدة: ١-٣]، رَدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾ فقال: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾، يعني: ليس الأمر على ما يقولون، بل هو الحق.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، [العنكبوت: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، [آل عمران: ١٥٠].

(١) يقصد بـ«الفصل الأول»: ما ذكره بقوله: «الأول»، وهكذا الفصل الثاني والفصل الثالث.



- وأما الفصل الثاني:

فهو تركٌ لشيءٍ من الكلام، وأخذٌ غيره، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْرَأَنَ الْمَجِيدَ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا﴾، [سورة ق: ١-٢]، فترك الكلام الأول، وأخذ بـ ﴿بَلْ﴾ في الكلام الثاني، وكذلك قوله: ﴿أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾، [سورة ص: ٩].

وهذا بالفصل الأول أليق؛ لأنهم لما أنكروا إنزال القرآن على النبي ﷺ وقالوا: لم ينزل عليه شيءٌ ردَّ الله عليهم جحدَهم بـ ﴿بَلْ﴾، والله أعلم بمراده...

- والفصل الذي يأتي فيه مبتدأ^(١)، ويُشبهه بالواو التي تأتي مبتدأة للاستئناف...

والآيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، [الزمر: ٦٥-٦٦]. يُحتمل أن يكون معناه: فاعبد الله.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، [القيامة: ١٤].

أي: على الإنسان من نفسه بصيرةٌ وشاهدٌ، وهو جوارحه...

وقيل: إنَّ (بل) أصله (بلى)؛ لأنهما يَرُدَّانِ المتقدم، إلا أنه طرحت الياء من «بل» للفرق بين العارف وغيره^(٢).

وهنا أقول في التعليق على هذا المثال ما قلَّته في التعليق على المثال قبله، سواءً بسواء، وأدعوك، أيها القارئ، إلى ما دعوتُك إليه هناك.

المثال الرابع: ما ذكره الحدادي في باب (إذ) و(إذا):

قال رحمه الله: «(إذ) و(إذا) حَرْفَا تَوْقِيتٍ بِمَنْزِلَةِ الظُرُوفِ:

(إذ) لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، و(إذا) لِمَا يُسْتَقْبَلُ، وَقَدْ يُوضَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ.

(١) يَقْصَدُ: مَا ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: «الثالث».

(٢) الْمَدْخَلُ لِعِلْمِ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، ص ٣٩١-٣٩٣.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

قال المبرد: إن جاء (إِذْ) مع المستقبل^(١) كان معناه الماضي، نحو قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، [الأنفال: ٣٠]، ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾، [الأحزاب: ٣٧]، أي: إِذْ قلت وإِذْ مكروا.

وإذا جاء (إِذَا) مع الماضي كان معناه الاستقبال، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، [النصر: ١]، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾، [النازعات: ٣٤]...

قال الخليل: كل لامٍ جاءت بعد (إِذَا) كانت تأكيدَ جزاءٍ أو عقابٍ أو تحقيقَ أمرٍ. ومعناها ماضٍ، فيُنصبُ بها الفعل المستقبل، والتنوين فيها يدل على (أن).

فأما ما كان في تأكيد جزاءٍ أو ثوابٍ فنحو قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَآتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢٧) وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا^(٢٨)، [النساء: ٦٧-٦٨].

وما كان في تأكيد عقابٍ فكقوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾، [الإسراء: ٧٥].

وما كان في تحقيق أمرٍ لازمٍ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَأَبْنَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، [الإسراء: ٤٢]. وقد قيل: معناه: افعل ما لم أفعل^(٢).

وهنا أقول في التعليق على هذا المثال ما قلته في التعليق على المثالين قبله، سواءً بسواء، وأدعوك، أيها القارئ، إلى ما دعوتك إليه هناك.

وبتطبيق هذا المثال في (إِذْ) و(إِذَا)؛ تَصِلُ إلى معرفة المعنى المراد في كلام الله، عز وجل، بهما.

(١) أي: مع الفعل المضارع.

(٢) المدخل، الحدادي، ص ٥٧٥-٥٧٧.



بعضُ دلائل هذه الأمثلة من كتاب المدخل:

هذه الأمثلة من كتاب «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، تَهْدِينَا إِلَى مداخل أساسية لفقه القرآن الكريم، وأُسُهَا الأساس هو: التمكن من علوم اللغة العربية، وفقه ألفاظها، وفقه حروف المعاني فيها.

وقد رأينا هذا الربط الجميل بين فقه القرآن وتدبره وتفسيره وبين اللغة العربية وعلومها.

فينبغي للمتدبر لكتاب الله، وحديث رسوله ﷺ، والمفسر لهما، أن يُعْنَى باللغة العربية، وقد ذَكَرْنَا الله مراراً بأن القرآن عربيٌّ مبين؛ لأنَّ القرآن جاء باللغة العربية، بمختلف أساليبها، سواءً بالحقيقة أو بالمجاز؛ فبقدَرِ استيعاب المتدبر والمفسر للغة بين الحقيقة والمجاز، يَغوْصُ إلى معاني القرآن الكريم.

ومما ينبغي استنتاجه من هذه الأمثلة من كتاب «المدخل...»، أو التذكير به: تلك الملحوظات الأخرى على الكتاب، مثلُ:

- ترجيحه، أحياناً، قول جمهور المفسرين على خلاف اللغة العربية.
- عزوه، أحياناً، أقوالاً لم تثبت عن عزائها إليه.
- قبوله بعض غرائب القول في كتاب الله بغير دليل.
- عدم تمكنه في الحديث الشريف، وهذا مما كان سبباً في عَدَمِ تمييزه، أحياناً، بين صحيح الروايات وسقيمها.

استفادته من أقوال بعض مَنْ سبقه دون توثيق، كالأخذ عن الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، في كتاب الحيوان في معنى (سلسيلاً)، على سبيل المثال، وكاستفادته في كتاب (المدخل) من الإمام ابن قتيبة كثيراً ممَّا ذَكَرَهُ فِي كُتُبِهِ، ككتاب (تأويل مشكل القرآن)، و(كتاب غريب القرآن).

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

وَيَبْقَى هَذَا الْإِمَامُ إِمَاماً فِي الْقُرْآنِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي عُصِمَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! وَتَبْقَى الْفَوَائِدُ فِي هَذَا الْبَابِ فَوَائِدُ مُسَاعِدَةٍ لِّطَالِبِ التَّدْبِيرِ.

الوقف الثانية: بعض وسائل التدبر وأسبابه في كتاب «المدخل لعلم تفسير

كتاب الله تعالى»:

أَهْمُ مَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ وَسَائِلِ التَّدْبِيرِ وَأَسْبَابِهِ مِنْ كِتَابِ (المدخل لعلم كتاب الله تعالى)، هُوَ الْإِنْتِهَاءُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى نَتِيجَتَيْنِ:

النتيجة الأولى: أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، هِيَ الْبَابُ الْوَاسِعُ، وَالْأَسَاسُ الْمَهْمُ لِعِلْمِ تَدْبِيرِ كِتَابِ اللَّهِ، وَعِلْمِ تَفْسِيرِهِ، وَكَذَلِكَ تَفْسِيرُ حَدِيثِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَهُوَ بَابٌ تَنْوَعُ فِيهِ الدَّلَالَاتُ وَالْأَسَالِيبُ، لِلْوُصُولِ إِلَى فَهْمِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَإِلَى تَدْبِيرِهِ مِنْ بَابِهِ، وَإِلَى الْوُصُولِ لِهَدَايَاتِهِ.

وَالْإِنْتِهَاءُ مِنْ خِلَالِ مَادَّةِ كِتَابِ (المدخل) إِلَى أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَعِلْمُهَا وَقَوَانِينُهَا، هِيَ عِلْمٌ مِيزَانِ الْقَوْلِ فِي فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ، وَعِلْمٌ مِيزَانِ الْقَوْلِ فِي تَدْبِيرِهِ.

وَلِهَذَا أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عِدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ أَنَّهُ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، مَعَ إِشَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ تَضَحُّبُهُ فِي خَتَامِ تِلْكَ الْآيَاتِ، الْمُتَحَدِّثَةِ عَنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ، تَهْدِي الْمَتَدَبِّرِينَ إِلَى عِدَدٍ مِنْ مَقَاصِدِ عَرَبِيَّةِ هَذَا الْكِتَابِ.

النتيجة الثانية: أَنَّ مِنْ أَهْمِّ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَتَدَبِّرِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْ يُزَاعِيَهُ أَمْرَيْنِ:

الأول: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَسِّسَ عِلْمَهُ فِي بَابِ التَّدْبِيرِ عَلَى أُسَاسٍ مُتَيْنِ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ عِلْمِهَا وَأَبْوَابِهَا.

الثاني: أَنَّهُ لَا يَصِحُّ لَهُ أَنْ يَتَسَرَّعَ إِلَى الْقَوْلِ فِي تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ قَبْلَ الْأَهْلِيَّةِ الْكَافِيَةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: نَظْرِيًّا وَتَطْبِيقِيًّا.





ولا ينبغي لك استصعاب الطريق إلى اللغة العربية، وقد أقام الله لك شاهداً حياً من مثل:

- الإمام عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، سيبويه، الفارسي، المتوفى سنة ١٨٠ هـ.

- والإمام علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكسائي، الإمام في اللغة والنحو والقراءة، المتوفى سنة ١٨٩ هـ، ألف: «معاني القرآن»، «القراءات» و«الحروف» و«المتشابه في القرآن».

- والإمام أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، المتوفى سنة ٢٢٤ هـ.

- والإمام ابن قتيبة الفارسي، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ.

- والإمام أبي الفتح عثمان بن جني الرومي اليوناني، الذي كان والده مملوكاً لسليمان بن فهد الأزدي، المتوفى سنة ٣٩٢ هـ - على أن ابن جني كان يقول بقول المعتزلة في باب الأسماء والصفات الإلهية؛ فينبغي التنبيه لهذه الملحوظة في هذا الباب عند الأخذ عنه، ولتكن هذه قاعدة عنك يا طالب تدبُّر القرآن وتفسيره.

- والإمام الحدادي السمرقندي، المتوفى بعد سنة ٤٠٠ من الهجرة.

وسواهم من الأئمة الأعاجم، الذين أصبحوا أئمة كباراً في اللغة العربية وفي فقه وحيي الله تعالى؛ فكتبوا عن وحيي الله: كتاباً وسنةً، وفقههما، وبلاغتهما، ودافعوا عنهما، وفندوا شبهات أصحاب الأغراض المريضة، وكتبوا عن اللغة العربية: نحوها وصرفها، وفقهها، وأساليها، بل تذوقوها ومهروا في بلاغتها؛ فأنتجوا علوماً ومؤلفات يتعلم منها في اللغة العرب والعجم!

بل من العجب العجيب في أمر هؤلاء الأئمة الأعاجم (الأئمة في اللغة العربية)، أنهم بدّلوا من همّهم، وهمّتهم، وجهودهم وأوقاتهم؛ عنايةً باللغة العربية، أنهم تتبّعوا

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

اللغة العربية عند أئمتها، وعند الأعراب الأفحاح في البوادي، وأن أحدهم كان يثبت من عربية الأعرابي وأصالة لغته، قبل أن يأخذ عنه شيئاً في العربية، حتى انتهاء عصر الاحتجاج بالسماع - على ما كان مشهوراً من سيرة بعضهم، رحمهم الله وإيانا ووالدينا - وأنهم رَووا اللغة العربية بالسند!

بل كان هؤلاء الأئمة يقولون الشعر كما لو كانوا عرباً!

أي عز هذا! وأي شرف!

رحم الله تلك النفوس الكبار، وتلك الهمم العالية!

وحتى لا يكون الكلام تاريخاً فقط، فإني أدعوك أيها القارئ الكريم، وأيها الطالب للعلم وطالب تدبر وحي الله المجيد، إلى تفعيل هذه المعاني؛ فتحيي في نفسك هذه الهمة، وهذا السمو في المقاصد؛ لتكون عربي اللسان، فتكون عربياً مبيّناً؛ لتنال شرف الأهلوية للفقهاء عن الله جلّ جلاله، وعن رسوله صلى الله وسلم عليه وآله، والكلام نفسه أوجهه إلى طالبة العلم وطالبة تدبر وحي الله جلّ جلاله - قرآنًا وحديثًا -.

تعليق على كلامي السابق، وتعليق على التعليق:

علّق فاضلٌ على ذلك منتقداً أنني كنتُ ذكرتُ الإمام ابن جني في أئمة اللغة الأعاجم أولئك بالرغم مع أنه معتزلي.

ثم علّق فاضلٌ آخر^(١) على ذكرني لابن جني، وعلى انتقاد ذلك الفاضل، الذي أشرتُ إليه، فقال:

«ما شاء الله فكرة جيدة، وموضوع مهم. وهذا يؤكد أهمية تحصيل اللغة العربية لفهم كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ، وتدبرهما، وتحملهما، ونقلهما نقلاً صحيحاً؛

(١) هو شقيقي د. عطا الله، وفقه الله، الطبيب والمتخصص في القرآن الكريم، تقبل الله منه، وجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم بمنه وفضله.



لتحقيق وُعد الله بحفظهما. وهذا يتطلب الاهتمام وبذل الجهد في ذلك، ولا يُعتمد على كون الإنسان من أصلٍ عربيٍّ في نسبِهِ، وإنما بالتعلم.

وسبحان الله فإنَّ مما يُلَفَت النظر، أنَّ خمسةً من القراء السبعة، أصحابِ القراءات المتواترة المشهورة، ليسوا من أصلٍ عربيٍّ خالص!

فمن المعلوم المسلّم بصحته أنه حتّى يكون التالي للقرآن الكريم قارئاً أو مقرئاً؛ فينبغي له أن يتلو الآياتِ الكريمةَ بحروفٍ عربيّةٍ فصيحةٍ؛ ومع ذلك فلم يكن من القراء السبعة إلا اثنان من أصلٍ عربيٍّ صريحٍ النسب؛ فسبحان من وهب الخمسة الباقيين لساناً عربيّاً، وشهرةً في تلاوة كتاب الله، لا يزال طلاب القراءات والباحثون في اللغة والفقه وغيرهما ينهلون من علمهم!

قال الإمام الشَّاطِبيّ -رحمه الله- في منظومته «حرز الأمان» في البيت رقم (٤١):

أَبُو عَمْرِهِمُ وَالْيَحْصَبِيُّ ابْنُ عَامِرٍ ... صَرِيحٌ وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا!

والاثنان اللذان أصولهما في النسب عربيّةٌ خالصةٌ، سليمةٌ من الرّق والولاء، هما أبو عمرو بن العلاء البصري، المتوفى سنة ١٥٤هـ، وعبد الله بن عامر الشامي، المتوفى سنة ١١٨هـ، ويُنسب لليحصبي على اسم جده، أو اسم قبيلته اليمينية. والولاء المقصود به هنا هو ولادة العجم في كنفٍ عربيٍّ أو قبيلةٍ عربية، ويُعرفون بالموالي. وأما ولاء الرّق والعتاقة، فلا يُعرف في أنفسهم، ولا في أكثر أصولهم. وكذلك لا يُراد بالولاء هنا ولاء الحلف؛ فإنه إن وُجد، فإنه لا يتنافى مع صراحة النسب العربي.

والخمسّة الذين أحاط بنسبهم الولاء، وأحدَق بهم، هم: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي الكناني، المتوفى سنة ١٦٩هـ، وابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، وعاصم بن أبي النُّجُود الكوفي الأسدي، المتوفى سنة ١٢٧هـ، وقيل: ١٢٩هـ، وحمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي، المتوفى سنة ١٥٦هـ، وقيل: ١٥٨هـ، وأبو الحسن، علي بن حمزة الكسائي، المتوفى سنة ١٨٩هـ.

الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسسة للتدبر...

والجدير بالذكر، أيضاً، فيما يتعلق بهذا الموضوع، أن اثنين من القراء السبعة هم من علماء اللغة العربية وأساتذة النحو، هما: أبو عمرو البصري، وعليّ الكسائي.

ومن الأمثلة البارزة في العصر الحديث للأعاجم، الذين كان لهم دور كبير في حفظ اللغة العربية: الشيخ العلامة سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، المتوفى سنة ١٤١٧ هـ. أستاذ أساتذة العربية، والمربي الكبير، والمنافح عن اللغة، وأثره في ذلك يصعب حصره، سبحانه الله! كل ذلك وهو في الأصل غير عربي، فأبوه من كشمير، جاء إلى الشام، وتزوج من دمشقية، وأنجب له ابنه هذا، وما لبث أن توفيت، فعاش سعيد يتيم الأم.

ومثال آخر، هو: الشيخ العلامة في اللغة والنحو، خالد بن عبد الله الأزهرى، المتوفى سنة ٩٠٥ هـ. فجهوده في نشر اللغة لا تحصى. ومن الطريف أنه ظل فترة من عمره عامياً، وكان يعمل في إسراج مصابيح الجامع الأزهر، ثم لما بلغ ستاً وثلاثين من عمره تحول إلى طالب علم، واهتم بعلم النحو، وبرز فيه: تدريساً، وتأليفاً، حتى صار مرجعاً يستشهد به العلماء، وحتى وصفه معاصروه من العلماء بأنه أنحى من سيبويه. وله مناقشات واستدراكات على علماء النحو الكبار، ك: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي المعروف بابن مالك، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ، وجمال الدين، أبو محمد، عبد الله بن يوسف الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١ هـ، وغيرهما.

والأمثلة من هذا النوع كثيرة جداً تفيض بها كتب التاريخ والتراجم^(١).

كما علق أخي، أيضاً، على الاعتراض على ذكر أبي الفتح، عثمان بن جني الرومي اليوناني، المتوفى سنة ٣٩٢ هـ، فقال:

(١) هنا انتهى النقل من كلام أخي د. عطا الله، وفقه الله.



«لا ينبغي أن نخلط الأمور، فنحن أخذنا علم اللغة من المشركين الجاهليين، ومن الزمخشري، ومن قُطْرُب، وغيرهما كثير. لكن المهم التنبيه إلى ما له صلة بتعزيز اعتقاداتهم الباطلة، وأن نقدها بقدرها.

ومن المعلوم أن عدداً من أئمة اللغة البارزين في النحو والبلاغة، كانوا من المعتزلة. فلا بد من الانتقاء والاتقاء، على حدّ سواء. وتكون لنا بهذا فرصة لكشف ما وقّعوا فيه من أخطاء».

وقال فاضل آخر، تعليقاً على هذا، أيضاً:

«ومن قال بأنّ إيراد مقولة فلانٍ تعني تركيته، وقبول كلّ ما لديه!».

وخروجاً من هذا كله؛ وطلباً لعدم الإلباس على الناس؛ أردتُ حذف اسم ابن جنّي من التمثيل به، لكن، واقعُ إمامته في اللغة أبقى عليّ ذلك، فيبقى الرجل في اللغة إماماً من أولئك الأئمة، لكن، مع أهميّة التنبيه لبطلان مذهبه الاعتزاليّ، للأسف، ولا مجاملة في الحقّ، ولا سيما في صفات الله تعالى، التي سلّك فيها ابن جنّي وأصحابه المعتزلة مسلك التأويل، المخالف للأدلة ولمذهب أهل السنّة والجماعة.

الفصل السابع

الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

ويتناول هذا الفصل الموضوع في العناصر الآتية:

تمهيد.

النموذج الأول: كتاب: «مَفَاتِيحُ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَالتَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ»، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، (١٩١ صفحة).

النموذج الثاني: كتاب: «تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: وَقَفَاتٌ وَلَفَاتَاتٌ»، أ.د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، (٢٢٠ صفحة).



النموذج الثالث: كتاب: «القرآن: تدبُّرٌ وعملٌ»، الفكرة والإعداد مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، (٦٠٦ صفحة).



الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

تمهيد:

إنَّ من المؤلفات التي ينبغي تناولها في علم تدبُّر القرآن، وتطبيقاته، ومصادره ومراجعته: المؤلفات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً.

وهذه الكتابات، ينبغي للقارئ الكريم العناية بها بصورة أكثر وقتاً وأطول وقوفاً عندها؛ لأهميتها في تسهيل تدبر القرآن الكريم؛ لتخصُّصها فيه، إن استقام منهجها، وعُنيَتْ بإيضاح قواعده ومناهجه...

فالكتابات عن التدبر بصفة مستقلة، بعناوين تتضمَّن «التدبر» أو لفظةً من مشتقاته، هي كتاباتٌ قد تَخَصَّصَتْ في الحديث عن التدبر بمختلف الطرائق والأساليب.

وقد بدأت المؤلفات في التدبر مبكِّرةً، ولعلها كانت في البداية بصفة جزئية، حيث كان يتحدث بعضها عن تفسير بعض الآيات، أو يتحدث عن فهم موضوعات في ضوء ما ورد بشأنها في القرآن الكريم.

ولو ذهبنا نبحث في قوائم المؤلفات لحضر المؤلفات الأوائل في التدبر؛ لطال بنا الكلام؛ لكثرة الكتابات الجزئية في التدبر. (كالمؤلفات في تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» وتدبرها، والمؤلفات في تفسير الأحرف المقطعة في بدايات بعض السُّور، والمؤلفات في تفسير سورة الفاتحة، والمؤلفات في تفسير سورة الإخلاص^(١)... إلخ)، ثم جاءت المؤلفات في تدبر القرآن كله أو بعضه؛ لإيضاح مناهج التدبر وطرائقه...، وهذه يصعب حصرها، أيضاً، وسنأخذ أمثلةً أو نماذج لها فقط.

(١) وممن كتَب في تفسير سورة الإخلاص، الإمام ابن تيمية، وهو كتابٌ مُذهِّشٌ في عمِّقه العلمي والإيماني، وسداد المنهج.



وهذا النوع من الكلام عن التدبر -الكتابات المخصصة للتدبر استقلالاً- نوعٌ ينبغي تناوله في (قراءة في مصادِر تدبر القرآن الكريم ومراجعته) بالدرس والتطبيق على عددٍ من نماذجه: نظرياً، وعملياً، وهذا ما سيكون في الأسطر القادمة، مقتصرين على ثلاثة من هذه النماذج فقط؛ مراعاةً للوقت.

فإلى هذه النماذج:

النموذج الأول: كتاب: «مَفَاتِحُ تَدْبُرِ الْقُرْآنِ وَالنَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ»^(١):

فكرة الكتاب:

الكتاب بمثابة تذكرة وجيزة مركزة في تدبر القرآن الكريم، وذلك لتحديده عشرة مفاتيح، يراها المؤلف مهمةً وأساسيةً للتدبر، وللتحفيز على العناية به من خلال الأخذ بهذه المفاتيح ومراعاتها في تدبر القرآن، فهي كالبرنامج الشخصي المحفّز للشخص على العناية بكتاب الله وتدبره، ومن ثمّ سيكسب النجاح في الحياة.

يقول مؤلف الكتاب، محدّداً موضوعه:

«فهذا هو القرآن، ونحن نقرؤه، ولكن ما أخبر الله تعالى عنه من تأثيرٍ فإننا لا نجدُه! فلماذا؟

القرآن هو القرآن، وقد وصل، والحمد لله، إلينا محفوظاً تاماً مضموناً سالماً من الزيادة والنقص.

أين الخلل؟ وأين المشكلة؟

في كلِّ تأثيرٍ عندنا ثلاثة أركان: المؤثّر، والمتأثّر، والموصّل.

فالمؤثّر - وهو القرآن - أثره ثابت لا نشك فيه.

بقي الاحتمال في الأمرين الأخيرين: الموصّل، والمتأثّر:

الموصّل: هو القراءة والتدبر.

والمُتَأَثِّر: هو قلب المُتَلَقِّي القارئ.

(١) د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ.



والبَحْثُ يحاولُ استكشافَ الخَلَلِ في الجِهَتَيْنِ، ويقترحُ الحلولَ المَبْنِيَّةَ على تجاربِ النَّاجِحِينَ في تحصيلِ التأثيرِ والأثرِ.

أيضاً: حالةُ الفَتْحِ والفَهْمِ في وَقْتٍ وإغلاقه في وَقْتٍ آخَرَ - وقد تَسَمَّعَ الشُّكُوى من هذه الحالِ عندَ عددٍ مِنَ الأشخاصِ - تَقْرَأُ الآيةَ في وَقْتٍ فَتَتَأَثَّرُ بها، وتَنْفَتِحُ لَكَ فيها معانٍ، ثُمَّ تعودُ إِلَيْهَا بعدَ وَقْتٍ، فَتَقِفُ أَمَامَهَا لا تَذْكُرُ شَيْئاً من تِلْكَ المعاني ولا تُحِسُّ بِذَلِكَ الأثرِ الَّذِي حَصَلَ سابقاً! فما السِّرُّ؟ وما الأسبابُ؟

هذا ما تحاولُ هذه الدِّرَاسَةُ أن تُجِيبَ عَنْهُ، وتُشَخِّصَهُ، وتَصِفَ له العلاجَ المناسبَ بإذنِ الله تعالى^(١).

كما يقول المؤلف، جزاه الله خيراً:

«إِنَّ السُّؤَالَ الْمُحِيرَ، وَالَّذِي يَدْعُو لِلْعَجَبِ والاستغرابِ: هل هذه الغَفَلَةُ عن أثرِ القرآنِ في تحقيقِ النَّجَاحِ في الحياةِ حَصَلَتْ من شَخْصٍ يَعِيشُ في مجاهِلِ أفريقيّا؟ أو أدغالِ آسيا ولم يَبْلُغْهُ القرآنُ؟ أو أَنَّهَا حَصَلَتْ من شَخْصٍ يَحْفَظُ القرآنَ وهو في المرحلةِ المتوسطةِ، ومع هذا لم يَنْتَفِعْ به لَأَنَّهُ نَسِيَ هذه المفاتيحَ.

هذا هو السُّؤَالُ الْمُحِيرُ الَّذِي كُنْتُ أبحثُ عن إجابته؟ فوجدْتُهَا والْحَمْدُ لِلَّهِ، وَضَمَّنْتُهَا هذا الكتابَ، فَإِيَّاكَ - أَخِي المسلمُ - أن تَرَحَّلَ من هذه الدُّنْيَا ولم تَذُقْ أَلَذَّ وأطْيَبَ ما فيها؛ إِنَّهُ القرآنُ كلامُ الله، الَّذِي لا يُشْبِهُ التَّنْعُمُ بِهِ أَيَّ نَعِيمٍ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَهُوَ حَاصِلٌ بإذنِ الله تعالى لِمَنْ أَخَذَ بهذهِ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي هُديَ إِلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِحُ، فَفَتَحَتْ لَهُمْ كُنُوزَ القرآنِ، وَبِهَا فُتِحَتْ لَهُمْ كُنُوزُ الأرضِ وخيراتها، فَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»^(٢).

(١) ص ٢٥-٢٦.

(٢) ص ١٦٨.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

سَبَبُ تَأْلِيفِ الْكِتَابِ:

يقول مؤلفه:

«بعد إحدى المحاضرات سألتني أحدهم:

كيف يكون النجاح بالقرآن؟

فقلتُ له: هذا سؤالٌ كبيرٌ، وخاصَّةً في هذه الأيام التي فُتِنَ النَّاسُ فيها بهذا الفنِّ مُسْتَنِدِينَ في مُعْظَمِ طَرَحِهِمْ على كُتُبِ حضاراتٍ غيرِ إسلاميَّةٍ.

وصارَ الْمُتَصَدِّرُ للحديث فيه لا يُسَمِّعُ لَهُ إلا إذا حَصَلَ على شهاداتٍ أو دَوَرَاتٍ هناك.

قلتُ له: هذا سؤالٌ كبيرٌ، وأخشى أن أَجِبْتُ عنه إجابةً سريعةً أن أُسيءَ إلى القرآن، فلا بُدَّ مِنَ البَيَانِ المتكاملِ الواضحِ الَّذِي يَرِبُطُ المفاهيمَ والمصطلحاتِ بالواقع، ويُوَضِّحُ أَنَّ الأصلَ في تحقيقِ النَّجَاحِ هو القرآنُ الكريمُ، كلامُ رَبِّ العالمينَ، وما عداه: فإمَّا أن يكونَ تابعاً له، وإلا فهو مَرْفُوضٌ.

كان هذا السؤالُ هو سَبَبُ تأليفِ هذا الكتاب، الَّذِي حاولتُ فيه أن أُبَيِّنَ كَيْفِيَّةَ تحقيقِ القُوَّةِ والنَّجَاحِ بمفهوميهِ الشَّامِلِ المتكاملِ لِكُلِّ طبقاتِ المجتمعِ ولجميعِ جوانبِ حياتِهِمْ»^(١).

أهم ميزات الكتاب:

١- كونه موضوعاً مركزاً؛ نتيجة عناية المؤلف به وبتدقيقه ومراجعته المستمرة.

٢- كونه مختصراً، فهذا يُغري بالإقبال عليه.

(١) مقدمة مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، ص ٥-٦.





٣- حثّه على الجانب العملي والتطبيق لتدبر القرآن الكريم.

٤- كونه بمثابة دليل نظريّ تطبيقيّ لمُهَمّة التدبر، واضح المعالم الهادية لطالب تدبر القرآن الكريم إلى تحقيق هدفه المنشود، نظريّاً وتطبيقياً.

طريق الإفادة منه:

بما أنّ الكتاب بمثابة دليل مُرشِد لتحقيق هدفه، الذي أرادَه المؤلف -مشكوراً- بتأليفه هذا الكتاب، واختار أن يكون الكتاب مُستَمِلاً على مفاتيح للتعامل مع القرآن، يُهتَدَى بها لتحقيق الهدف؛ فإنّه يتلخّص سبيل الانتفاع بالكتاب في أربعة أمور:

الأول: قراءة الكتاب في خطوات بحسب المسائل والمفاتيح المذكورة فيه.

الثاني: التطبيق والتنفيذ لهذه المفاتيح والأفكار والتعليمات.

الثالث: التدرُّج في التطبيق؛ بحيث لا يؤخذ الكتاب دفعةً واحدة، وإنّما بطريقة مُتدرّجة، شيئاً فشيئاً؛ ليكون هذا أدعى للاستيعاب والتمكّن من تطبيق فكرة الكتاب على خير وجه.

الرابع: الالتزام الجاد ببرنامج العمل بالكتاب وتنفيذه في واقع حياتك.

ومِمّا يُساعد على الإفادة من الكتاب، في ضوء هذه الأمور الأربعة، أنّ محتويات الكتاب جاءت دليلاً إجمالياً للمراد من الكتاب، مساعداً على استثماره لإنجاز هدف الكتاب.

وبناءً عليه؛ فإنّك نقلاً لبعض الفهرس لمحتويات الكتاب؛ علّك تستثمرها لتحقيق الهدف، وهي:

افتتاحية:

المسألة الأولى: الطريق إلى النجاح في الحياة.

المسألة الثانية: سبب الفشل في الحياة.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

- المسألة الثالثة: مَعْرَكَةُ الحياة.
- المسألة الرابعة: الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ، الطَّرِيقُ إِلَى الْإِيمَانِ.
- المسألة الخامسة: الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ الطَّرِيقُ إِلَى الْقُوَّةِ.
- المسألة السادسة: الْقُرْآنُ كِتَابُ النَّجَاحِ وَالسَّعَادَةِ.
- المسألة السابعة: مُدَارَسَةُ الْقُرْآنِ تَزِيدُ الْإِيمَانَ.
- المسألة الثامنة: بَدَايَةُ الْإِنْتِظَارِ.
- المسألة التاسعة: الطَّرِيقُ إِلَى كُنُوزِ الْقُرْآنِ.
- المسألة العاشرة: الْقُرْآنُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ.
- المسألة الحادية عشرة: التَّدْرِيبُ وَالْمُجَاهَدَةُ.
- المسألة الثانية عشرة: تَفْسِيرٌ أَمْ تَدْبِيرٌ.
- المسألة الثالثة عشرة: مَحَوْرُ هَذَا الْبَحْثِ.
- المسألة الرابعة عشرة: الْمَفَاتِيحُ أَسْبَابٌ، وَالتَّنَائُجُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ.
- المسألة الخامسة عشرة: لِكُلِّ مِفْتَاحٍ وَظِيفَةٌ.
- المسألة السادسة عشرة: نَعِيمُ الْقُرْآنِ.
- المسألة السابعة عشرة: خُلَاصَةُ الْبَحْثِ.
- المسألة الثامنة عشرة: الْمَفَاتِيحُ الْعَشْرَةُ.

تَمْهِيدٌ

مَسَائِلُ فِي تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ:

- المسألة الأولى: مَعْنَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ.
- المسألة الثانية: مَفْهُومُ خَاطِئٍ لِمَعْنَى التَّدْبِيرِ.
- المسألة الثالثة: عِلَامَاتُ التَّدْبِيرِ.





المِفْتَاحُ الأول: حُبُّ الْقُرْآنِ:

- المسألة الأولى: الْقَلْبُ آلَةُ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ.
- المسألة الثانية: أَنَّ الْقَلْبَ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ.
- المسألة الثالثة: عِلَاقَةُ حُبِّ الْقُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ.
- المسألة الرابعة: علاماتُ حُبِّ الْقَلْبِ لِلْقُرْآنِ.
- المسألة الخامسة: وسائلُ تحصيلِ حُبِّ الْقُرْآنِ: (وفيه وسيلتان ذكرهما في الكتاب).

المِفْتَاحُ الثاني: اسْتِحْضَارُ أَهْدَافِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ:

- الهِدَفُ الأول: قراءة القرآن لأجل الْعِلْمِ: (وفيه ثمانية مسائل ذكرها في الكتاب).
- الهِدَفُ الثاني: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِقَصْدِ الْعَمَلِ بِهِ: (وفيه مسألتان ذكرهما في الكتاب).
- الهِدَفُ الثالث: قراءة القرآن بِقَصْدِ مُنَاجَاةِ اللَّهِ: (وفيه مسألتان ذكرهما في الكتاب).

الهِدَفُ الرابع: قراءة القرآن بِقَصْدِ الثَّوَابِ:

- الهِدَفُ الخامس: قراءة القرآن بِقَصْدِ الاسْتِشْفَاءِ بِهِ: (وفيه أربع مسائل ذكرها في الكتاب).
- المفتاح الثالث: أن تكونَ الْقِرَاءَةُ حِفْظًا: (وفيه مسألتان ذكرهما في الكتاب).

المفتاح الرابع: الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ: (وفيه ستُّ مسائل ذكرها في الكتاب).

المِفْتَاحُ الخامس: أن تكونَ الْقِرَاءَةُ فِي لَيْلٍ: (وفيه مسألتان ذكرهما في الكتاب).

المِفْتَاحُ السادس: الْجَهْرُ وَالتَّغْنِي بِالْقِرَاءَةِ: (وفيه خمسُ مسائل ذكرها في الكتاب).

المِفْتَاحُ السابع: التَّرْتِيلُ: (وفيه ثلاثُ مسائل ذكرها في الكتاب).

المِفْتَاحُ الثَّامِنُ: التَّكْرَارُ وَالتَّوَقُّفُ: (وفيه ثلاثُ مسائل ذكرها في الكتاب).

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

المفتاح التاسع: التَّخْزِيبُ: (وفيه عَشْرُ مسائل ذَكَرَها في الكتاب).

المفتاح العاشر: الرِّبْطُ: (وفيه خَمْسُ مسائل ذَكَرَها في الكتاب، وخاتمة البحث).

ملاحق، (وهي خَمْسَةُ ملاحق مَهْمَةٌ للغاية).

وختاماً: أقول، بحقٍّ: إِنَّ هذا الكتاب - مِنْ الحجم الصغير، لكن لا أُريدُ تصغيره؛ لأنه كبيرٌ في حقيقته - وهو مِنْ أَفْضَلِ ما يُقْرَأُ في تدبر القرآن، وَمِنْ أَفْضَلِ البرامج الهادية للقارئ إلى الدخول على هدايات القرآن وأنواره، وذلك بما احتواه مِنْ مادةٍ، وما اشتمل عليه مِنْ مفاتيح ومسائل!

إنها مفاتيح عشرة ذَكَرَها الكتاب، وَإِنَّ أَفْضَلَ ما يُرَبِّي الإنسان نَفْسَهُ عليه في هذه الحياة، وَيُرَبِّي مَنْ معه عليه، هو هذه المفاتيح القرآنية، فَتُرَبَّى عليها النَّفْسُ، مفتاحاً، مفتاحاً؛ لتُظْفَرُ بأنوار القرآن، وَبِرَكَته، وَهَدايته، وَصحبته!





النموذج الثاني: كتاب: «تدبُّر القرآن الكريم: وقفات ولَفَتَات»^(١)

ونتناول الحديث عنه وفق التالي:

فكرة الكتاب:

هذا الكتاب يُسجِّلُ تجربةً عمليَّةً للمؤلف في تدبُّر القرآن، وفق منهجيَّة اختارها، يُراد منها التطبيق العملي للتدبر في ضوء ما كان يرجو أن يتحقَّق له بعملية التدبر هذه: من سداد المنهج، وصدق التوجُّه لآيات الله تعالى، وحُسن القصد، وحُسن الفهم عن الله وعن رسوله ﷺ، وذلك بالناية بالأسباب، التي يراها لازمة لتحقيق هذا الهدف، ولاسيما: التماس صدق التوجُّه للكتاب العزيز، ومحاولة تلقُّيه للعمل به، والالتزام بمناهج وقواعد فقه الكلام، وفقه وحي الله، المقررة في علم التفسير وعلوم القرآن، وعلم أصول التفسير، وعلوم اللغة العربية وقواعدها وأساليبها.

وقد استثمر المؤلف شهرَ رمضان في أكثر من عام، لقراءة القرآن بتدبُّر، مع حرصه أن يكون بجانبه أثناء قراءته الأوراق والقلم؛ لكتابة نتائج تدبُّره عندما تمرُّ به آية أو آيات، ثمَّ بجمع ما كتبه من ذلك كان هذا الكتاب، وسمَّاه بهذا الاسم (تدبُّر القرآن: وقفات ولَفَتَات)؛ لأنه قد كان كذلك.

ومنع المؤلف نفسه في فترة التجربة التدريبية هذه من القراءة لأيِّ شيءٍ كتب في تدبُّر القرآن، أو في كتب التفسير، وإنَّما كان يطبِّق ما يعلمه من أسس وقواعد فقه اللغة، وفقه الوحي الإلهي، وفي ضوء العلوم الأصول، المؤسسة لذلك؛ وكان حرصه على هذه العزلة المؤقتة عن قراءة ما كتبه الكاتبون في الموضوع؛ لئلا يكون ما يكتبه صورة طبق الأصل، مكررة لما سبقه من كتابات في هذا الباب.

(١) عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ولا تُغني عنها الطبعة الأولى؛ للخطأ الذي شابها عند اختيار نسخة الطبع؛ فكثرت فيها الأخطاء المطبعية.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

يقول المؤلفُ في مقدِّمة طبعته الثانية:

«ولا يخفى على القارئ الكريم الهدف من هذا الكتاب، وهو معالجة موضوع تدبُّر القرآن الكريم؛ لتقرير المنهجية المطلوبة للتدبر وللفقهِ عن الله كتابه العزيز».

ولعلَّ من المفيد في معرفة فكرة الكتاب الاطلاع على ما قاله المؤلف في مقدمة طبعته الأولى، ومن ذلك قوله:

«هذا كتابٌ عن القرآن صَنَعَهُ القرآن، لأنه إنما هو من بركة القرآن، وثمرة تدبره؛ فهو كتابٌ عن التدبر من ثمرة التدبر، ولقد كان سبباً ونتيجة - في أحيانٍ متعددة - لتأمل الكتاب العزيز، ولطالما قضيتُ به ليلتي وأياماً ممتعةً مع المصحف الشريف: أقبُّه، وأقبُّه^(١)، وأقبُّه، وأكتبُ عنه، فوا لهف نفسي على تلك السويحات، ليتها لم تنقطع، أو ليتني عنها لم أنقطع!

... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ... ﴿٤٣﴾

[الأعراف: ٤٣].

والتدبُّر والفهم هما الغاية الأساس من وراء قراءة القرآن؛ لصالح العمل والتطبيق.

والقرآن يتجدد بتجدد المتدبرين للآيات، ويتجدد بتجدد الإنسان والزمان، بل هو متجدد بتجدد تدبر القارئ الواحد، فكلما قرأه بتدبر، تجدد القرآن في نفسه وفي فهمه!

وهذه الأوراق من الموضوع قد اتجه الرأي إلى نشرها، وإن لم يكتمل الموضوع على الصورة التي أردتها؛ إذ قد انتظرتُ اكتمالها طويلاً، حيث كنتُ كُتبتُ هذه الأوراق منذ نحو ثمانية عشر عاماً! لكن، لا يكون إلا ما يسره الله تعالى.

(١) فإن قال قائل: هذه بدعة. قلنا له: إنَّ الأدب ليس من سوء الأدب!



وعلى الرغم من كثرة ما كُتِبَ عن تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّ التَّدْبِيرَ الْمَطْلُوبَ يَبْقَى وَاجِبَ الْمُسْلِمِ وَالْمُسْلِمَةِ: قراءةً للكتاب العزيز، وقراءةً حول الموضوع، وطُرُقَهُ ووسائله؛ حتى يَتَحَقَّقَ لهما القيامُ بهذا الواجب، الذي أوجبه الله تعالى على كل مسلمٍ ومسلمةٍ تُجَاةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ تَنَوُّعَ التَّجَارِبِ وَالْكَتَابَاتِ فِي الْمَوْضُوعِ سَيَكُونُ مُفِيداً، غَيْرَ مُكَرَّرٍ، وَلَا مَمْلُولٍ^(١).

ولعل هذا النقل من الكتاب يُوضِّحُ هدفَ الكتاب ووجهته.

وقد جاء الكتابُ وقفاتٍ ولفاتٍ، في تسعة مباحث، وكان المبحث الأول: كلماتٍ عن القرآن، وفيه عشر وقفات، تخصصت في شأن القرآن ودواعي تدبره، إلى آخر باقي مباحث الكتاب.

بعض محتويات الكتاب:

- ١١ المبحث الأول: كلمات عن القرآن:
- ١٢ الوقفة الأولى: دواعي تدبر القرآن
- ١٤ الوقفة الثانية: دواعي تدبر القرآن أيضاً
- ١٧ الوقفة الثالثة: دواعي تدبر القرآن أيضاً
- ٢١ الوقفة الرابعة: نحن والقرآن الكريم!
- ٢٤ الوقفة الخامسة: القرآن خطاب الله إلى الإنسان فهل نستجيب!
- ٢٧ الوقفة السادسة: إذا قرأت القرآن فاقراً المعاني كما تقرأ الألفاظ!
- ٣٣ الوقفة السابعة: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم!

(١) ص ٧-٨.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

- الوقف الثامنة: يا قارئ القرآن! ٣٨
- الوقف التاسعة: تَذَكَّرْ أَمْرَ اللَّهِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٤٠
- المبحث الثاني: لَفَتَاتٌ فِي طُرُقِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَوَسَائِلِهِ: ٥١
- ومنها:
- اللفظة الأولى: أمورٌ أساسية يتوقف عليها تدبر القرآن ٥١
- اللفظة الثانية: تجربةٌ في قراءة القرآن وتدبره ٥٢
- اللفظة الثالثة: خطوات تدبر القرآن والعمل به ٥٤
- اللفظة الرابعة: أسباب فهم القرآن وطُرُق تدبره تدبراً سليماً ٥٦
- اللفظة السادسة: من أسباب استشكال النص ٦٥
- اللفظة الثامنة: أمثلة للوقف المهم ٦٩
- اللفظة التاسعة: لا تتلقَّ أخبار القرآن بصفتها أخباراً فقط ٧٥
- اللفظة العاشرة: ألفاظ قرآنية تحتاج إلى تدبر ٧٦
- اللفظة الثالثة عشرة: تدبر الكتاب العزيز وفق اللغة العربية ٨٢
- اللفظة الرابعة عشرة: منهجيةٌ مهمةٌ في تدبر الكتاب العزيز ٨٣
- المبحث الثالث: قواعد التدبر: ٨٥
- ومنها:
- القاعدة الأولى: ملاحظة المعاني المركبة والمعاني المفردة معاً ٨٥
- القاعدة الثانية: التدبر العام والتدبر الجزئي ٨٨
- القاعدة الثالثة: الأمانة والإيمان قبل القرآن ٩٠
- القاعدة الرابعة: العناية بالقدر المشترك بين أحكام القرآن ٩٢





- ٩٤ القاعدة الخامسة: اشتراطُ فهمِ النصِّ من النصِّ
- ٩٥ القاعدة السادسة: النظر إلى سياق الآية: سباقها ولحاقها
- ٩٥ ■ ومن الأمثلة على تطبيق هذا المنهج:
- ٩٦ ■ ومن الأمثلة على تطبيق هذا المنهج:
- ١٠٠ القاعدة السابعة: معرفة مرجع الضمير في النصوص
- ١٠٠ ■ ومن الأمثلة على هذا:
- ١٠٢ ■ ومن الأمثلة:
- القاعدة التاسعة: التنبّه إلى ما جاء من تفسير ألفاظ القرآن في القرآن نفسه
- ١١٢ المبحث الرابع: لَفَتَاتُ في أساليب القرآن الكريم:
- ومنها:
- ١١٢ اللفظة الأولى: من أساليب البُشْرى في القرآن
- ١١٧ اللفظة الرابعة: المقابلة بين المحسوس والمعنوي
- ١١٩ اللفظة الخامسة: الإحكام في ترتيب الألفاظ
- ١٢١ اللفظة السادسة: الإعجاز في الإطلاق غير المقيّد
- ١٢٣ اللفظة السابعة: ألفاظٌ على غير ظاهرها
- ١٢٥ اللفظة الثامنة: استعمالاتٌ لم تَرِدْ في القرآن الكريم
- ١٢٨ اللفظة التاسعة: من روائع البيان في آيةٍ من كتاب الله
- ١٣٢ المبحث الخامس: وقفاتٌ عند آياتٍ:
- ومنها:
- ١٣٢ إبطال تكلف العناية بنقد أعمال الآخرين ونسيان نفسه:

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

- ١٣٢ تسبيح المخلوقات بحمده:
- ١٣٣ آيات الله في الآفاق وفي الأنفس:
- ١٤٠ في المنهج:
- ١٤٢ من منهج الكتاب العزيز:
- ١٤٦ في المحاجة والمجادلة:
- ١٤٦ المطالبة بالدليل:
- ١٥٠ الليل والنهار في القرآن:
- ١٥٤ تَذَكُّرُ!
- ١٥٦ المبحث السادس: من حديث القرآن عن القرآن:
- ١٥٧ قاعدة في شرط الانتفاع بقراءة القرآن وسماعه:
- ١٦٧ القرآن كتابٌ للناس كافةً:
- ١٧٠ أمثلةٌ تطبيقية:
- ١٧٣ المبحث السابع: من مواقف السلف تجاه القرآن:
- ١٧٥ المبحث الثامن: أقوال عن القرآن وتدبره منقولة عن الإمام الذهبي:
- ١٩٢ المبحث التاسع: التعامل الإلكتروني مع القرآن:
- اللفتة الأولى: الطريقة المثلى لإحصاء الألفاظ والمعاني في القرآن
- ١٩٢ الكريم حاسوبياً
- ١٩٨ أمثلةٌ مَفْتُوحَةٌ وواجباتٌ للتطبيق
- ولعله بالاطلاع على عناوين محتويات الكتاب كاملةً، تتضح طبيعة مادته.



أهم ميزات الكتاب:

من أهم ميزات الكتاب:

- ١- كونه تسجيلاً لتجربة مؤلفه في تدبر القرآن، في ضوء النهج الذي اختاره لنفسه في هذا التدبر.
- ٢- ما حرص عليه المؤلف بأن تكون هذه التجربة ليست نقلاً عن الآخرين، أو صورة طُبّق الأصل لما كتبه آخرون.
- ٣- وكوّن مادة الكتاب استجاباتٍ لحالات تدبُّر المؤلف للقرآن الكريم، لا نقلاً عن الكاتِبين في الموضوع.
- ٤- كَوْن الكتاب ثمرةً للتدبر للقرآن الكريم مدةً ليست بالقصيرة من الزمن؛ استثمر المؤلف أكثر من رمضان من الرمضانات التي ركّز فيها على التدبر للقرآن بهذه المنهجية.
- ٥- استهدفه إيضاح المنهجية السليمة في تدبُّر القرآن في هذه التجربة وتطبيقها، فعُنيَ ببيان قواعد في التدبر، وبوسائل وأسباب التدبر السديد.
- ٦- تضمّن الكتاب تطبيقاتٍ متنوّعة في تدبر القرآن في مختلف طرائق التدبر، وضرب الأمثلة على عدد من آيات القرآن الكريم، بالرغم من أنها ليست كافية.

طريق الاستفادة منه:

من أهم طُرُق الاستفادة من هذا الكتاب:

- ١- الإلمام بمضمون الكتاب وأفكاره؛ لتفعيلها في مسيرة تدبُّر للقرآن.
- ٢- الإلمام بالمنهجية التي أكّدها الكتاب، وأكد أهمية تطبيقها.
- ٣- الإلمام بأصول العلوم، التي أكّد الكتاب أهميتها لتدبر القرآن الكريم تدبراً سديداً.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

- ٤- السعي في التحصيل الكافي في اللغة العربية، وعلومها، وبلاغتها، وأساليبها.
 - ٥- استشعار أن القرآن كتابُ الله وكلامه سبحانه، وأنه خطابٌ من الله للقارئ. فيتعيّن عليك عدم الانفكاك من استحضار هذا المعنى في جميع أحوالك مع القرآن: قراءةً، وتدبراً، وتطبيقاً.
 - ٦- استصحاب القارئ دائماً صدق الإقبال على الله تعالى وعلى كتابه الكريم، والاستسلام له، والخضوع لحكمه وأحكامه.
- نماذج وفوائد مما تضمّنه كتاب: «تدبر القرآن: وقفاتٌ ولفئاتٌ»:
- إليك بعض الفوائد المتنوّعة من كتاب: «تدبر القرآن: وقفاتٌ ولفئاتٌ»، على غير ترتيب؛ لتري مجالات موضوعاته، فمنها:

يقول المؤلف:

«لقد انتهيتُ إلى أن من أهمّ قوانين التدبر: إذا أردتَ أن يفتحَ لك القرآن الكريم أنوارهً وخزائنه؛ فأسلمه نفسك؛ مُسلماً مُستسلماً؛ خاضعاً لأحكامه وحكمه».

الوقفه الأولى: دواعي تدبر القرآن

مما تُقرّره هذه الوقفة: إن أعظم ما يوصّف به القرآن الكريم أنه كتاب الله تعالى، وأنه كلام الله تعالى!

وأعظم ما يَحْمِل المرء على تدبر القرآن الكريم استحضاره لهذا الوصف.

والفرق عظيم جداً بين من يقرؤه أو يستمع إليه وهو يستشعر، حقيقةً، أنه كلام الله تعالى حقاً، وأنه خطاب الله تعالى إلى خلقه، وبين من يستمع إليه أو يقرؤه استماعاً أو قراءة مجرّدين عن هذا الاستحضار أو ذلك الاستشعار أو ذلك الإيمان!



تمرُّ عليك آيات الوعد الحسن للمؤمنين الصالحين فتعلم يقيناً أن ذلك كائنٌ لا محالة؛ لأنه وعد رب العالمين، أصدق القائلين، القادر على كل شيء! فتعيش نفسك في أملٍ ذلك الوعد الحسن وفي نفحاته، وتكاد نفسك تطير شوقاً إلى ذلك، هازئةً بكل شيء في الحياة الدنيا يقطعها عن الله الكريم.

وتمرُّ عليك آيات الوعيد على المعاصي، والظلم، والكفر، وسائر مستلزمات الجهل والفسوق، فتعلم يقيناً أن ذلك كائنٌ لا محالة؛ لأنه وعيدٌ من يده كل شيء وهو على كل شيء قدير، وهو أصدق القائلين سبحانه!

وتمرُّ عليك آيات القصص في هذا الكتاب العزيز فتعلم أن هذا هو القصص الحق، وأن الذي يقص عليك هذا القصص ليس أحداً سوى الله؛ فتزداد ولهاً إلى الإصغاء لهذا القصص؛ لأنك تعلم أن الذي يقص عليك هو الله تعالى، يقص عليك أحسن القصص...

ويطرق سمعك الآيات الكريمة تتحدّث عن إبليس وجنوده من الكفرة والفساق.

تُخبرك الآيات عن عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

تَنقُلُ لك الآيات عبْرَ القرون الساحقة ما جرى بين الفريقين: حزب الله وحزب الشيطان، من حوارٍ ودعوةٍ وحروبٍ، وعاقبةٍ!

تمرُّ عليك آيات الرحمة وآيات العذاب.

تمرُّ عليك آيات التذكير بنعم الله التي لا تُحصى.

وكلما تذكّرت أن الكلام كلام الله تعالى وأن المخاطب هو هذا الإنسان الضعيف المسكين العبد عرفت قدرَ ما تسمعه وما تقرؤه في هذا الكتاب الحق!

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

الوقفه السادسة: إذا قرأت القرآن فاقراً المعاني كما تقرأ الألفاظ!

ومما تقرّره هذه الوقفة:

القرآن الكريم كلام الله العليم الحكيم، ونحن متعبّدون بألفاظه ومعانيه، لا بألفاظه فقط، كما هو الشأن الذي يبدو من حالنا اليوم مع القرآن في أغلب الأحيان!! إن القرآن يتكون من اللفظ والمعنى، ولقد انطوى هذا الكتاب الكريم على معانٍ معجزة بعثها الله تعالى إلينا عبّر هذه الألفاظ الكريمة، فاللفظ خادمُ المعنى وليس العكس، على ما يوهمه ظاهر حالنا مع القرآن! وقد قال الله تعالى: ﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَاءَ الْإِلَهِ﴾، [سورة ص: ٢٩]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَلُهَا﴾، [محمد: ٢٤].

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ...﴾، [المؤمنون: ٦٨].

إلى آخر ما في القرآن من آياتٍ بيّنت عن هذا المعنى.

وقد بيّن الله تعالى في القرآن أوصاف هذا الكتاب في عددٍ من المواضع.

وبالوقوف على أوصاف القرآن، والغاية من إنزاله، وأنه كلام الله، وكتابٌ مبينٌ بيّن، وكتابٌ عربيّ نقله وفهمه، وكتابٌ ذكّر مبارك، يتذكر به من آمن به، ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، [الأنبياء: ٥٠].

- وقد أنزله الله إلينا منذراً لنا في ليلةٍ مباركة.

- وقد أنزله الله بالحق لا مجرّد ألفاظ، فقال:



﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، [الإسراء: ١٠٥] (١).

- وقال في وظيفة هذا الكتاب ووظيفة الرسول ﷺ:

﴿لَرَكَنٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، [إبراهيم: ١].

وقد أمر الله بـ:

- بقراءته.
- وبالاستماع والإنصات له عند قراءته.
- وبالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءته.
- وبالسجود في مواضعه عند قراءته.
- وبتدبره والبعد عن كل ما يصرف عن تدبره.
- وحق لهذا الكتاب الكريم أن يكون هذا شأنه!
- كيف لا وهو كتاب الله تعالى؟

وهل أيقنتَ بعد هذا أنّ الذي يدعوك الله إليه في هذا الكتاب ليس هو مجرد الألفاظ وإنما المعاني أيضاً، بل المعاني هي المقصد الذي أنزل من أجله القرآن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، [الفرقان: ٧٣].

وهل يتضح لنا الآن:

- خطأ الذين يتجهون إلى إهمال تدبّر القرآن وفهمه بحجة الاتجاه إلى حفظه؟
- وخطأ الذين يحترمون حروفه ويهملون معانيه وأحكامه؟

(١) وانظر: الآيات التي بعدها.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

- وخطأ الذين يَقْبَلُونَ ألفاظه ويردّون معانيه وهداياته وأحكامه؟
- وخطأ الذين يقرؤون الألفاظ ويُعْنُونَ بذلك، ولكنهم لا يقرؤون المعاني والمقاصد في الكتاب؟
- إن هذا التعامل لا يُقْبَلُ في حقّ البشر؛ فكيف نَقْبَلُهُ في حق الخالق؟.
- ...إلى آخر ما جاء في هذه الوقفة.

اللهم وفقنا للعناية بكتابك حفظاً، وقراءةً، وفهماً، وعملاً!

ومن المبحث الثاني عنده: (لَفَتَاتٌ فِي طُرُقِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَوَسَائِلِهِ)، نأخذ هذه اللفتة:

اللفتة الأولى: أمورٌ أساسيةٌ يتوقف عليها تدبر القرآن

- يتوقف تدبر القارئ للقرآن الكريم على أمورٍ كثيرة، منها: أربعة أمور، هي:
- ١- الإقبال على القراءة بالعقل والقلب؛ خضوعاً وتعبداً لله تعالى، فإنّ من لا يُمِرُّ الآيات على عقله وقلبه، لا يمكنه أن ينتفع بقراءة القرآن الكريم.
 - ٢- معرفة القارئ لدلالة الألفاظ، والأساليب، التي يقرأها في هذا الكلام.
 - ٣- معرفة القارئ بالمتكلم، وبِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَصِدْقِهِ سُبْحَانَهُ، وأن قوله الحق. إنّ من المهم في تدبر القرآن: أن يُقرأ هذا القرآن في إطار اعتقاد أنه حق، وأنه ينبغي قراءته بهذا المعنى وبهذا اليقين؛ فحاسب نفسك على مثل هذا.
 - ٤- محاسبة النفس على أوامر القرآن، مثل: وَجَلِ الْقُلُوبَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، والطمع في ثواب الله تعالى، والخوف من غضبه-سبحانه-وعقابه...إلى آخر ما هنالك.
- فإذا ما أردت الحصول على تدبرٍ كلام الله تعالى، فعليك قراءته وأنت محاسبٌ نفسك على هذه المعاني.





اللفتة الثالثة: خطوات تدبّر القرآن والعمل به

يُمرُّ تدبّر القرآن والعمل به بالخطوات الآتية:

١ - تعلّم قراءته قراءة صحيحة.

٢ - تفهّم معانيه.

٣ - العمل به وتطبيقه في الحياة.

٤ - حفظه واستظهاره.

وتدبّر القرآن والعمل به، يجب أن يَكُونَا الهدفَ من وراء تعلّمه وقراءته وحفظه -على أن التدبر وسيلة أيضاً للفهم-.

ويتوقف العمل بالقرآن وتطبيقه على فهمه فهماً صحيحاً.

وفهمه فهماً صحيحاً يتوقف على أمرين هما:

١ - قراءته قراءة صحيحة.

٢ - تدبّره.

والتدبر ينبغي أن يقارن القراءة؛ فتكون القراءة بتدبر وفهم.

وتدبّر القرآن قد يمرُّ بثلاث مراحل، أو ثلاث خطوات هي:

١ - معرفة معاني الكلمات والألفاظ ودلالاتها.

٢ - معرفة معاني الجُمَلِ والتراكيب والمعاني الإجمالية للآيات.

٣ - معرفة دلالة الأساليب.

وينبغي أن تستهدف كلٌّ من هذه المراحل معرفة معاني القرآن ومقاصده، وبذلك نتعرف على الهدايات التي يحُمِلُها القرآن في ثنايا كلماته وأساليبه.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

ولا يكفي اتّباع هذه الخطوات؛ لتحقيق الهدف المنشود من قراءة القرآن والعناية به، فقد يتّبع شخصٌ ما هذه الخطوات، ومع ذلك لا يحصل على الغاية المنشودة؛ لأن هناك أموراً أخرى، علينا أن نراعيها أيضاً ونُدرك أهميتها.

ومن تلك الأمور -مثلاً-: القناعة بأنه لا يكفي في تدبر القرآن، أن يطالع المرء تفسير الكلمات، والألفاظ، والأساليب، ويعرف المراد بها، بل لابدّ من أن ينضمّ إلى معرفة تفسير القرآن ومعانيه: الإحساس والإيمان العميقان بأن هذا الكلام كلام الله تعالى، أما معرفة التفسير وحدها، فإنها قد لا تنقل الإنسان إلى الإيمان المطلوب، ما لم يكن ذلك التفسير في إطار هذا الإحساس العميق، بأن الكلام كلام الله، وأن القارئ والمستمع والمفسر يتعبدون الله بكلامه سبحانه.

وينبغي للقارئ والمتدبر، كذلك، أن يتعرف على خصائص كلام الله، وما تميّز به عن سواه، وأن يتعرّف على أوجه الإعجاز، العجيبة في هذا الكتاب الكريم. نسأل الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بقراءة آياته، ويهدينا سواء السبيل.

ومن المهمّ، الاطلاع على اللفتة الرابعة عنده: (أسباب فهم القرآن وطُرُق تدبره تدبراً سليماً).

وفي المبحث الثالث في الكتاب: (قواعد في التدبر).

وإليك القاعدة الأولى منها:

القاعدة الأولى: ملاحظة المعاني المركّبة والمعاني المفردة معاً

مما يلزم المتدبر للقرآن، التنبيه: لمسألة المعاني المركّبة في مواضع من القرآن، وإدراك التلازم بينها في الموضوع الواحد...

فالمعنى في الآية أو الآيات أحياناً يكون معنى مفرداً، وأحياناً يكون معاني مركّبة، مترابطة.



ولعل إدراك القارئ للمعاني المفردة، أوضح عنده، وأسهل من تنبّهه للمعاني المركبة المترابطة في عددٍ من المواضع في الكتاب العزيز.

■ ومن الأمثلة على هذا الأخير، قوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، [التحریم: ٢]. فالتبادر إلى أذهان كثير من القارئین لهذه الألفاظ العزیزة، وإلى أذهان المتدبرین لها، هو معاني الألفاظ، مستقلاً كل منها عن الآخر؛ لأنهم إنما يفهمون معانيها على أساس التجزئة؛ فيقال مثلاً: دلت الآية على:

١- أن الله هو مولى المؤمنين.

٢- وأن الله هو العليم.

٣- وأن الله هو الحكيم.

وهذا حق، ولكن في الآية معنى آخر مهم، وهو معانٍ مركبة مترابطة، فقد دلت الآية على أن الله هو مولى المؤمنين، وهو العليم الحكيم، على أساس الربط بين المعنى الأول والمعنى الثاني، أي: فأيُّ خوفٍ أو نقصٍ سيكون عليكم، وأيُّ خير يَفُوتكم إذا كان الله هو مولاكم وهو العليم الحكيم؟

■ ومن الأمثلة على المعاني المركبة، كذلك، قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾، [المطففين: ١-٣]، فإن المقصود من الذم هنا: الوصف الذي يتصف به بعض الناس، المركب من صفتين هما:

١- إذا اكتالوا على الناس يستوفون.

٢- إذا كالوا الناس أو وزنواهم يخسرون.

فليس الذم لهم متوجّهاً بالصفة الأولى منفردة، وإنما مع الصفة الأخرى؛ لأنَّ أَخَذَ الْحَقَّ لَا يَتَوَجَّهْ لَهُ الذَّمُّ شَرْعاً، أما الصفة الثانية فمذمومة مطلقاً: سواء كانت مع الصفة الأولى، أو كانت منفردة!

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

■ ومن أمثلة المعاني المركبة الواردة في القرآن: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، [يونس: ١٤]. فالمعاني المركبة في هذه الآية مقصود في الآية التنبيه عليها مجتمعة، وتمثل في:

- ١- كون الله تعالى جعلهم خلائف في الأرض، أي: يَخْلَفُ بعضهم بعضاً؛ وفي هذا ما فيه من العبرة.
- ٢- كونهم قد جعلهم الله تعالى خلفاء لهؤلاء القوم الذين جرى عليهم ما جرى من الكفر والتكذيب والعقوبة الإلهية.
- ٣- تنبيهه سبحانه وتعالى على الحكمة من هذا الاستخلاف، وهو الابتلاء، والنظر إلى ما سيكون عليه الذين خَلَفُوا أولئك الهالكين، أو الغابرين!

■ ومن أمثلة المعاني المركبة الواردة في القرآن، أيضاً: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، [يونس: ١٠٥]. فالمعاني هذه مجتمعة مقصود في الآية التنبيه عليها، وهي:

- ١- أمر الله سبحانه لرسوله ﷺ، ولكل مَنْ يَصْدُقْ عليه الخطاب من أُمَّته، أَنْ يُقِيمَ وَجْهَهُ لِلدِّينِ، والمراد: الاستسلام له، والرضا به.
- ٢- الاستسلام للدِّين حالة كون هذا الاستسلام حنيفاً، والمراد: التوحيد الخالص لله رب العالمين.
- ٣- تأكيد نوع هذا الاستسلام المراد، بأن لا يكون صاحبه من المشركين!

إلى آخر الأمثلة الكثيرة في القرآن الكريم، التي تشتمل على معاني متعددة، يأتي التعبير القرآني للتنبيه على الربط بينها في تدبر معاني كلام الله تعالى.



والقاعدة الثانية عنده، هي:

القاعدة الثانية: التدبر العام والتدبر الجزئي

من الأبواب الصحيحة، والمهمّة في الوقت نفسه، لفقه القرآن وتدبّره، الاتجاه إلى تدبّر الآية بعامة، وتدبّر معناها العام، والاتجاه إلى التدبر الكلّي، ومراعاة القاعدة الأصل، والعناية بمعاني النصّ المباشرة وغير المباشرة. فهذه ثلاثة فروع، تقريباً، يتحقق بها التدبر العام والجزئي معاً، وهي:

أ - القناعة بأهمية التدبر العام، والتدبر لمجموع النص والمعنى العام فيه، والغاية المقصودة به، وذلك في مقابل التدبر الجزئي الحرفي؛ إذ لا يغني أحدهما عن الآخر.

فإدراك المعنى الجزئي في النص، أو إدراك معانيه على سبيل التجزئة، لا يغني عن إدراك المعنى العام أو معنى مجموع النص، بل قد يضرّف عنه -على ما مضت الإشارة إليه، وإلى أمثلته في القاعدة السابقة-.

ب - القناعة بأهمية التدبر الكلّي، واستنباط القاعدة والأصل المسوق له النص، في مقابل التدبر الفرعي، أو في مقابل التركيز على النظر في المعنى الفرعي واستنباطه من النص. على أنه لا يغني أحدهما عن الآخر.

■ ومن الأمثلة على هذا، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، [المائدة: ٦٤]، فإن القارئ يُمكن أن يفهم الآية فهماً معزولاً عن القاعدة، والأصل في هذا المعنى الذي تتحدث عنه الآية؛ وبالتالي، تراه لا يفهم من الآية إلا أن الله لا يحب المفسدين -وقد يُحدّثهم بأشخاصهم- لكنّ لَمَحَ الأصل والقاعدة في المعنى الذي تتحدث عنه الآية، يفتح مجالاً أوسع في باب هداية القرآن، ذلك أن الآية تدل على تقرير قاعدة وأصل عام في المجالات الآتية:

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

١- في باب صفات الله تعالى، وأنه لا يحب المفسدين، فلا يتوهمَنَّ أحدٌ أن الله تعالى يتصف بعكس هذه الصفة، إطلاقاً.

فهذه الآية مشتملة على مدح الله تعالى بصفة من صفاته، وعلى ذم المفسدين، وعلى أن الله لا يحبهم!

٢- في باب ذم المفسدين وعقوبتهم؛ فالآية دالة على أن الله تعالى لا يحب المفسدين، وهذا حكمٌ يُعمَّمُ، فيصدق على المفسدين الذين تتحدث عنهم الآية، وعلى المفسدين جميعاً؛ لفسادهم؛ فلا يخرج عن هذه الحال، وهذه العقوبة الإلهية، أحدٌ من المفسدين.

٣- في باب ذم الفساد؛ فالآية دالة أيضاً على ذم الفساد، وهذا يصدق على الفساد الذي تتحدث عنه الآية، وعلى كل فساد؛ فإن الفساد هو السبب الذي أوقع المفسدين في هذه العقوبة.

ج - القناعة - في باب التدبر - بأهمية النظر إلى إدراك المعنى المباشر، المقصود بالنص، في مقابل إدراك المعنى غير المباشر، المقصود بالنص أيضاً. على أنه لا يغني أحدهما عن الآخر، ومثال هذا في هذه الآية: لفظة (الفساد)، وإدراك أنه يشمل الفساد الذي تحدثت عنه الآية بصورة مباشرة، وعموم الفساد الذي يتناوله عموم اللفظ.

ولعلك ترى: المبحث الخامس عنده: «وقفاتٌ عند آيات»، وما ساقه فيه من أمثلة التدبر لعددٍ من الآيات، وترى باقي مادة الكتاب.

ولا نستطيع أن نتمادى في النقل من الكتاب أكثر من هذا، فلعلك ترجع إلى الكتاب، وترى منهجيته، وما دعا إليه في منهج التدبر.



النموذج الثالث: كتاب: «القرآن: تدبُّرٌ وعملٌ»^(١):

كتاب «القرآن: تدبُّرٌ وعملٌ»، مشروعٌ طيّبٌ مباركٌ لخدمة تدبُّرِ القرآنِ الكريمِ، ومساعدة قارئه على تدبُّرِ القرآن، وهو كتاب ورقيّ ورقمّيّ، وهذا رابطُهُ على الشبكة العنكبوتية: موقع القرآن تدبر وعمل: www.altadabbur.com.

فإذا أردتَ البَحْثَ عَنَ هَذَا الْمَشْرُوعِ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَبَحْثَ عَنْهُ بِاسْمِهِ أَوْ بِرَابِطِهِ هَذَا فِي الْنَّتِّ، أَوْ فِي مُحَرَّكَاتِ الْبَحْثِ الرَّقْمِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ.

وإليكَ مَزِيدَ تَعْرِيفٍ بِهَذَا الْمَشْرُوعِ، مَنقُولاً عَنَ مَوْقَعِهِ الرَّقْمِيّ:

فكرة الكتاب:

يُوضِّحُ الْقَائِمُونَ عَلَى الْمَشْرُوعِ فِكْرَةَ الْكِتَابِ، بَعْدَ مَقْدَمَةٍ، يَقُولُونَ:

«إِنْ مِنْ أَرَادَ الْارْتِقَاءَ فِي مَنَازِلِ الْعِبَادِيَّةِ وَالْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِ، يَلْزِمُهُ لِتَحْصِيلِ ذَلِكَ تَحْقِيقَ الْمَرَادِ مِنْ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ وَاتِّبَاعِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَهَذَا يَحْصُلُ بِفَهْمِهِمَا وَالْعَمَلِ بِهِمَا عَلَى وَفْقِ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [آل عمران: ٣١].

وَلِئِنْ كَانَ إِقْبَالُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ -سَمَاعاً وَتِلَاوَةً وَحِفْظاً- مَشْهُوداً وَظَاهِراً، وَبِخَاصَّةٍ مِنْ قَبْلِ الْمُتَتَبِعِينَ لِحَلَقِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَدَارِسِهِ، حَيْثُ حَقَّقَتْ تِلْكَ الْحَلَقَاتُ نَجَاحاً كَبِيراً وَانْتِشَاراً وَاسِعاً عَلَى مَسْتَوَى الْأُمَّةِ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا النِّجَاحَ ظَلَّ مُحْصُوراً فِي رُتَبِ: الْاسْتِمَاعِ، وَالتِّلَاوَةِ، وَالحِفْظِ، دُونَ التَّدْبِيرِ وَالْعَمَلِ.

(١) مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي، الرياض، له طبعات، منها الطبعة الثامنة، ١٤٣٨ هـ.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

وبحسب الدراسة فإن من أسباب ذلك: عدم وجود منهج تدريبي لِرُبَّتَيَّ: (التدبر، والعمل)؛ يقتفي أثر الصحابة رضوان الله عليهم وطريقتهم في أخذ القرآن الكريم، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» [تفسير الطبري: ٤٤ / ١، وصحح إسناده أحمد شاكر].

ولأجل ذلك نشأت فكرة إعداد منهج يُعين على تيسير تدبر القرآن الكريم والعمل به، ويخاطب مختلف الراغبين والحريصين على ذلك، فكان هذا المنهج الذي نضعه بين يديك أخي القارئ الكريم؛ سائلين الله تعالى أن ينفع به الكاتب والقارئ والمعلم والمتعلم، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وحجّة لمن قام على إعداده والعمل به».

أهداف المشروع:

- ١- إحياء رتبة التدبر لكتاب الله.
- ٢- إحياء رتبة العمل بكتاب الله.
- ٣- تقديم منهج علمي مُحكَّم لمادة «التدبر والعمل بالقرآن الكريم» لتطبيقه في المدارس والمعاهد والكلّيات.
- ٤- الإسهام في إيجاد حلقات نموذجية خاصة بتدبر كتاب الله والعمل به.
- ٥- مساعدة المتعبدين بالقرآن الكريم لتحقيق مراتبه الخمس.
- ٦- توضيح الغاية من تدبر كتاب الله وهي العمل به.
- ٧- المساعدة على ترسيخ الحفظ وضبط المتشابه من الآيات.

أهم ميزات الكتاب:

ولعلّها تتلخّص في التالي:

- ١- كونه كتاباً مُنْصَصاً في تدبر القرآن الكريم.



- ٢- كونه مشروعاً نظرياً تطبيقاً.
- ٣- كونه ورقياً ورقمياً تفاعلياً.
- ٤- تنوع عناصره المُساعدة على تدبُّر القرآن بصورةٍ فيها شيءٌ من الشُّمول.
- ٥- كونه مربوطاً بالمصحف الشريف.

طريق الإفادة منه:

طبيعة الكتاب وميزاته يُساعدان، ويُحدِّدان طَريقَ الإفادة منه؛ وذلك لاشتماله على العناصر، أو المُكوّنات الآتية:

(القرآن: تدبر وعمل): هو منهجٌ متكامل محكَّم ومتخصص في التدريب على تدبر القرآن الكريم والعمل به وَفَق منهج أهل السنة والجماعة.

مكونات المنهج: قسّمنا المصحف إلى (٦٠٤) وحدات دراسية؛ كل وحدة منها مكونة من وجه من أوجه المصحف الشريف -وفق طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة- مضافاً إليه أربع فقرات رئيسة هي:

١- الوقفات التدبرية: سبع وقفات تدبرية اعتنت بمقاصد الآيات (الإيمانية، والتربوية وغيرها) استخرجناها من ستة عشر كتاباً من أمهات كتب التفسير المعتمدة لدى أهل السنة والجماعة، والتزمنا فيها بنص كلام المفسر إلا إن وُجد خطأ في بعض الألفاظ من حيث الطباعة أو اللغة والإعراب ولا يحتمل الصحة بأي وجه، فحينها نصحح الكلمة ونضعها بين معكوفين هكذا []. وذكرنا في آخر كل وقفة مرجعها؛ معتمدين في ذلك ذكر اسم المفسر بدلاً من اسم الكتاب، ثم رقم الجزء والصفحة وفق الطبعة المعتمدة في المشروع.

وقد بلغ مجموع وقفات المنهج (٤٢٢٨) وقفة جرى اختيارها من بين نحو (١٥٠٠٠) وقفة تمثل أرشيف المشروع.

الفصل السابع: الكتابات المخصصة للحديث عن التدبر مستقلاً

والتزمنا ألا يزيد عدد الوقفات في الآية الواحدة أو جزء منها عن ثلاث وقفات، كما التزمنا ألا ننقل عن مفسر واحد أكثر من ثلاث وقفات في الوجه الواحد.

ثم وضعنا على الوقفة سؤالاً يساعد المتدرب على تحصيل ملكة التدبر، ويستطيع الإجابة عنه من الوقفة نفسها دون الحاجة إلى الرجوع إلى مراجع أخرى.

٢- جدول معاني الكلمات: وفيه معاني بعض الكلمات الغريبة في وجه المصحف، مأخوذة من كتاب «السراج في غريب القرآن» لفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضير.

٣- العمل بالآيات: من أجل تدريب القارئ على رتبة العمل بالقرآن الكريم اقترحنا ثلاثة أعمالٍ تطبيقية مقيسة مستنبطة من آيات الوجه، ووضعنا أمام كل عمل نص الآية التي استنبط منها.

٤- التوجيهات: ذكرنا ثلاثة توجيهات عامة مستقاة من آيات الوجه -تربوية أو عقدية أو فقهية... إلخ- وأمام كل توجيه نص الآية التي استنبط منها التوجيه.

واعتمد المشروع على عددٍ من كُتُبِ التفسير، ذُكِرَ أنَّها ستة عشر كتاباً، ذُكِرَتْ في موضعها من المشروع.

وذُكِرَ في المشروع الطُّرُقُ الآتية للإفادة من الكتاب، وهي:

طرق مقترحة للاستفادة من المنهج:

الطريقة الأولى: الاستفادة الفردية:

الوقفات: يُجيب القارئ عن أسئلة الوقفات وحده، ويُفَضَّل أن يتدارس هذه الإجابات في وقت لاحقٍ مع غيره.

الأعمال: يختار القارئ ما يناسبه من الأعمال المقترحة في الصفحة ويطبقها قبل انتقاله إلى الصفحة التالية.

التوجيهات: لتنوع أساليب تحصيل المَلَكَة التدبرية يُقترح قراءة التوجيهات في كل صفحة.

الطريقة الثانية: الاستفادة الجماعية:

وهي طريقة مقترحة للجهات التعليمية: مثل: دُور التحفيظ وحلقاته، والمدارس، والمعاهد، والجامعات، وحلقات المدارس.

الوقفات: يُجيب القارئ عن أسئلة الوقفات ثم يعرضها على المشرف في الجلسة نفسها، أو في الجلسة التالية؛ لتقويمها.

الأعمال: يَخْتار القارئ عملاً واحداً، على الأقل، يُطبِّقه قبل الجلسة القادمة.

التوجيهات: يقوم المشرف بمدارسة التوجيهات مع الدارسين.

ملحوظة: يُقترح في المؤسسات التعليمية تقويم الدارسين ووضع درجات لذلك.

هذا، ونشير إلى أنه يوجد بالموقع الإلكتروني الدليل الإرشادي للاستفادة من مشروع (القرآن: تدبر وعمل).

تَوَلَّى إنجاز هذا العمل فريقٌ من الأساتذة الْمُتَخَصِّصِينَ.

موقع القرآن تدبر وعمل : www.altadabbur.com ^(١).

وأخيراً: في نهاية الكلام عن هذه النماذج من هذه المؤلفات المخصّصة للحديث عن التدبر، أوصي طالب علم التدبر باستعراض مجموعة مختارة أخرى من هذا النوع من المؤلفات، الخادمة لتدبر القرآن من مجالات أو زوايا مختلفة، للاطلاع عليها، أو على نماذج منها؛ للوقوف على مختلف أصناف هذه الكتب.

(١) يُنظر: مقدمة «القرآن تدبر وعمل»، ص أ - د.

الفصل الثامن

الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

ويشتمل على التمهيد والمباحث الآتية:

تمهيد: المراد بالمؤلفات في طُرُق التدبر، ووسائله، ومسائله، ومناهجه.
المبحث الأول: معجزة تنوّع العناية بالقرآن وحفظه وتجدُّدها على اختلاف العصور.

المبحث الثاني: الوسائل المساعدة على تدبُّر القرآن وتجدُّدها.

المبحث الثالث: نماذج للمصاحف والكُتُب الورقيّة، والرقميّة، والبرامج، والتطبيقات.

المبحث الرابع: التطبيقات الإلكترونية القرآنيّة والحديثيّة المساعدة على التلاوة والحفظ والتدبُّر.



تمهيد

المراد بالمؤلفات في طرق التدبر، ووسائله، ومسائله، ومناهجه

يُمكن تعريف هذا النوع من المؤلفات بأنها: كل كتاب يتناول طرق التدبر، ووسائله، ومناهجه، بالبيان، أو الشرح، سواءً كان كتاباً قديماً أو معاصراً، ورقياً، أو رقمياً.

فهذه الكتب والبرامج تشمل كلاً من: (الكتب الورقية، والكتب الرقمية، والبرامج، والمواقع الإلكترونية)، وسنخصص هذا الفصل للحديث عن معجزة حفظ القرآن الكريم وتجدد وسائل حفظه وتدبره، والحديث عما كتب أو عمل من الكتب والأعمال والبرامج في وسائل التدبر ومناهجه ومسائله، التي تدرج تحت موضوع (الوسائل المساعدة على التدبر).

ويتناول هذا الفصل الحديث عن الموضوع في المباحث الآتية:

المبحث الأول: معجزة تنوع العناية بالقرآن وحفظه، وتجدها على اختلاف العصور.

المبحث الثاني: الوسائل المساعدة على تدبر القرآن وتجدها.

المبحث الثالث: نماذج للمصاحف والكتب الورقية، والرقمية، والبرامج، والتطبيقات.

المبحث الرابع: التطبيقات الإلكترونية القرآنية والحديثية المساعدة على التلاوة، والحفظ، والتدبر.



المبحث الأول

معجزة تنوع العناية بالقرآن، وحفظه، وتجديدها على اختلاف العصور

إنه إعجازٌ عجيب للقرآن، تخضعُ له البشرية، طَوْعًا، أو كَرْهًا، في جميع العصور! إنك بالاطلاع على هذا الإعجاز ستخرج مُغْتَبِطًا بمعرفةٍ إعجازٍ عجيبٍ، جعله الله في القرآن الكريم، ربما لم تسمع عنه من قبل، وهو إعجازُ (العناية المتجددة بالقرآن، وحفظه) بمختلف أنواع الحفظ والعناية، وتجدد هذا الحفظ، وتجدد هذه العناية في كل عصرٍ بما يتناسب مع إمكانات العصر وتطوره!

إنه لأمرٌ مدهشٌ حقًا، تخضعُ له أعناقُ العقول والقلوب، إن صحَّ التعبير، وتخضعُ له أعناق الرجال والنساء، وتخضعُ له أعناق المؤمنين والملحدين؛ وذلك حين يقفون على هذه الحقيقة، ويستوعبونها جيدًا؛ فحينئذٍ يُدركون أن هذا الكتاب كتابُ الله رب العالمين؛ فيعلمون علم اليقين أن القرآن الكريم كتابٌ محفوظٌ من التغيير والتبديل، حفظاً يتحدى البشرية كلها على مرَّ العصور!

- قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، [الحجر: ٩].

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

بل يُجَدِّدُ الله سبحانه وسائلَ العناية بكتابه، وأسبابَ العناية بحفظه؛ وذلك أنَّ
الأمورَ كُلَّها مسخرةٌ بيد الله الخالق سبحانه!

- فحُفِظَ في جميع العصور، وتكفَّلَ الله بحفظه إلى قيام الساعة!

- وحُفِظَ القرآن في الصدور، وحُفِظَ في السطور!

- وحُفِظَ على مستوى الكتابة بالأيدي والأقلام، وحُفِظَ على مستوى الأجهزة
الحاسوبية، والبرامج الرقمية!

فَمِنْ هذا الإعجاز أنَّ الله، جلَّ جلاله، صَرَفَ في بداية الأمر أناساً - بل أئمةً
خَلَّدَ ذِكْرَهُم بتخليد كتابه - إلى التفرغ للعناية بكتابه سبحانه، فتخصَّصوا في القرآن:
تعبداً، وحفظاً، وكتابةً ونسخاً، وقراءةً، وإقراءً!

فتفرَّغ هؤلاء الأئمة للقرآن الكريم، وأوقفوا حياتهم عليه؛ فهو غذاءٌ لقلوبهم
وعقولهم، وهو سَمِيرُهُمْ وأنيسُهُمْ في النهار وفي ظلمات الليالي؛ يُنيرها لهم؛
فيُغريهم بملازمة صحبته والتعلُّق به؛ أنَّه كلامُ رب العالمين، سبحانه وبحمده!

فحفظوه، وحافظوا عليه، وتخصَّصوا في نقله مشافهةً وكتابةً بأسانيدهم المتصلة
عن رسول رب العالمين ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله جلَّ جلاله!

وكتبوا الكتبَ عن رسمِ حروفه وعن قراءاته^(١)!

(١) للوقوف على جانبٍ من هذه العناية بالقرآن، ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف،
د. حازم بن سعيد حيدر، ولاسيما الفصل الثالث: تاريخ كتابة المصحف الشريف وطابعه،
جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ -
٢٠١٤ م، والكتاب عملٌ علميٌّ يستحق الإطلاع عليه. وهناك كثيرٌ من المؤلفات الخاصة برسم
المصحف الشريف.



ومن الكتب التي صنّفوها في كتابة المصحف، الكتب التي سَمّوها (كتب المصاحف)^(١)؛ فهذا أمرٌ مُدهشٌ، وحُجّةٌ بالغةٌ، تخضعُ لها البشرية، شاءت أم أبَتْ؛ إذ رُسوم هؤلاء الأئمة ومؤلفاتهم باقيةٌ شاهدةٌ شهادةً لا يُبطلها تكذيبُ المكذّبين، أو تشكيكُ المشكّكين!

وكان لعددٍ من الصحابة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مصاحف مكتوبة^(٢)، إضافةً إلى أنهم هم مصاحفٌ بشريةٌ تمشي على الأرض!

فنقلُ الأئمة للقرآن الكريم وتوثيقه جَمَعَ بين: الحفظ، والنقل الشفوي، والكتابة، إضافةً إلى حفظ الله له؛ إذ تكفل الله بحفظه؛ فهو بهذا كله كتابٌ غيرُ قابلٍ للشك في حرفٍ واحدٍ منه!

ثم بعد قرون تظهر المطابع؛ فيكون للقرآن منها النصيب الأوفى، ويمتدّ الوقت على هذه الحال، إلى أن يأتي هذا العصر، وما وصلَ إليه من علوم ومخترعات وأجهزة؛ فيكون للقرآن منها النصيب الأوفى، أيضاً!

فثَنَجاً الدنيا بأن الله الخالق، سبحانه، قد جعل العلم الحديث ومخترعاته وبرامجه الحاسوبية صالحةً ناشطةً في خدمة كتابه القرآن الكريم؛ فهي مسخّرة للكتاب العزيز، فكأنما أوجدت هذه العلوم وأجهزتها لخدمته وخدمة حديث الرسول ﷺ!

أعطونا كتاباً من كتب الأديان الأخرى كان العلم ومخترعاته في خدمته وفي إظهار محاسنه، وإظهار معجزاتٍ فيه كما هي الحال في القرآن الكريم، فهل تجدون ديناً آخر غير الإسلام، أو كتاباً آخر غير كتاب الإسلام، فيه شيءٌ من ذلك! كلا كلا!

(١) منها: كتاب المصاحف، ابن أبي داود، أبو بكر، عبد الله بن سليمان بن الأشعث، السجستاني، ٣٠-٣١٦هـ، تحقيق ودراسة ونقد د. محب الدين عبد السبحان واعظ، بيروت، دار البشائر، الطبعة الثانية، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م. أصله رسالة دكتوراه.

(٢) لمعرفة بعض هذه المصاحف، ينظر: كتاب المصاحف، ابن أبي داود، ١/١٤١-٣٧٩.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

فسبحان الله الخالق! إنّ هذا إعجازٌ في القرآن الكريم يتجدّد، فهو كتابٌ معجزٌ في حفظه بهذا التجدد من الحفظ ووسائله وأسبابه المستجدة في هذا العصر، فكما كان القرآن معجزاً في مضمونه، بل مشتملاً على معجزاتٍ، فهي هو يُجدّد الله فيه هذا الإعجاز العجيب من الحفظ لهذا الكتاب المبارك، حفظاً على مستوى العصر! فالحمد لله رب العالمين.





المبحث الثاني

الوسائلُ المساعدةُ على تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وتَجَدُّدِهَا

وهذا الأمرُ فَرَعٌ، أو امتدادٌ لِمَا تَقَرَّرَ في المبحث الأول، أو قُلُ: هو مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ مَا تَقَرَّرَ في المبحث الأول؛ فلهذا سيكون الحديث هنا عن الكتب والبرامج الحاسوبية المخصصة لخدمة القرآن الكريم، وتنوع خدمة القرآن وتجدُّدِهَا، وتنوع الوسائل المساعدة على حفظه وتدبره.

وهي خدمةٌ لا يُمكنُ تفسيرُ حدوثِهَا إلا أنها إعجازٌ إلهيٌّ يتجدد لحفظ هذا الكتاب العزيز، وتجديدٌ لوسائل حفظه، وتدبره، ونشره، وتعلُّمه وتعليمه!

بل أصبحت الشبكة العنكبوتية باباً من أبواب تعلُّم القرآن وتعليمه، وقراءته وإقراءه على الهواء مباشرةً، أو تسجيلاً، على مستوى العالم كله، فلا تحدُّ القرآن حدودٌ، ولا تقف في طريقه سدودٌ، فسبحان الله العظيم!

أليس هذا مَظْهَرًا لبعض ما جاء في الحديث القدسي الطويل العجيب، الذي فيه:

(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا،...)، وَذَكَرَ فِيهِ: (وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ...) ^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم ٢٨٦٥، عن عياض بن حمار المجاشعي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر عنده الحديث بطوله. وأخرجه غيره.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

وقوله تعالى: (لَا يَغْسِلُ الْوَأْدُ)، كناية عن أنه كتابٌ محفوظٌ في الصدور، ومحفوظ بحفظ الله له، فلا يتطرقُ إليه الذهاب، أو التغيير والتبديل، بل هو محفوظٌ باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقوله تعالى: (تَقْرَأُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ)، أي: أنه كتابٌ ميسرٌ حفظه وقرأته.

أو ليس القرآن الكريم كذلك! ألم يتحقق فيه وَعْدُ الله هذا في عصرنا هذا!

بلى، وربي، إنه لَحَقُّ! وها هي شواهدُ هذا الإعجاز الإلهي العجيب في هذا العصر، التي أشرتُ إليها آنفًا.

وهذا الحديث القدسي الكريم، شاهدٌ بهذا الإعجاز في حفظ القرآن الكريم، وشاهدٌ على أن الحديث النبوي وحيٌّ إلهيٌّ؛ وذلك لقوله: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا)، ثم ها هو الواقع يُقِيمُهُ الله شاهدًا بصدقه وصحته!

فيا أيها الناس ألا تسمعون! ألا ترون! ألا تلتفتون، فتدعون خُلفكم الفتانين والفتون؛ فتقبلوا على كتاب الله، الحجة البالغة على العالمين!

أليست هذه الحروف التي أكتبها، وهداني الله لكتابتها عن كتابه العزيز دليلاً على هذا الإعجاز! أسأل الله تعالى أن يحفظني وإياكم بهذه الحروف، التي أكتبها عن حفظ كتابه المحفوظ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، [الحجر: ٩].

اللهم احفظنا، واجعلنا من العاملين على حفظ كتابك من التغيير والتحريف والتبديل.



المبحثُ الثالثُ

نماذج للمصاحفِ والكتبِ الورقيةِ والرقميةِ والبرامجِ والتطبيقاتِ

هناك العديد من طبعاتِ المصحف الشريف، والمؤلفاتِ حوله، الورقيةِ والرقميةِ، والبرامجِ التطبيقيةِ، ونُخصِّصُ هذا المبحث في الحديثِ عَنِ الْوَرَقِيِّ وَالرَّقْمِيِّ مِنْهَا.

ومنها النماذج والأعمال الآتية:

- أ - المصاحف ومختصرات التفسير، ومفردات القرآن، وتدبره في التطبيقات الرقمية.
- ب - الكتب والأعمال الورقية في طرق التدبُّر، ووسائله، ومناهجه.
- ج - وقفة عند المصاحف، والبرامج الرقمية الخاصة بوسائل التدبُّر وطُرقه.
- د - وقفة عند نماذج من المؤلفات الورقية الخاصة بوسائل التدبُّر وطُرقه.

وهذا ما سيتناوله الكلام في الصفحات الآتية:

أ - المصاحف ومختصرات التفسير ومفردات القرآن وتدبره في التطبيقات الرقمية:

بدايةً، ينبغي التذكيرُ هنا بفضل الله تعالى علينا وعلى الناس، بما مَنَّ بِهِ مِنْ وسائلٍ ووسائطٍ إلكترونيةٍ في خدمة القرآن الكريم والحديث الشريف، وخدمة العلم عموماً بهذه المصاحف والكتب الإلكترونية، وما لها من خصائص خِدميةٍ تُعينُ القارئ على الخِدْمَاتِ المتنوعةِ لتلاوة القرآن وتَدَبُّرِهِ وتفسيرِهِ، والتعامل معه؛ فصار

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

مُتاحاً للمسلم اصطحابُ كتابِ ربِّه، القرآن الكريم، وحديثِ خاتمِ رُسُلِهِ -صلى الله عليه وعليهم وسلم- في أجهزته، ومنها ما يَحْمِلُهُ في جَيْبِهِ، كهاتفه النِّقال.

بل صار مُتاحاً له اصطحابُ كثيرٍ من المصاحف الإلكترونية في هاتفه، ليختارَ منها ما يشاء بحسبِ قراءاته للمصحف الشريف، وحسبِ الخِدْمَاتِ الإلكترونية المتاحة في هذه المصاحف الرقمية.

ومنها المصاحف الآتية:

١- (مصحف المدينة المنورة)، طباعة مجمع الملك فهد، لطباعة المصحف الشريف، نسخة ورقية، وكذلك نسخة رقمية (مصحف النشر المكتبي)، وهي طبعة مباركة مشهورة عالمياً، بصيغتيها: الورقية والرقمية، وفي هذا المصحف عددٌ من الخدمات، منها:

- إتاحة الاطلاع على تفسير الآية أو اللفظة القرآنية بالضغط عليها، والانتقال إلى غريب القرآن أو إلى التفسير المُيسَّر، وهو تفسيرٌ أصدره المجمع نفسه بإعداد عدد من العلماء، وهو تفسيرٌ مختصرٌ مباركٌ.
- والاستماع للآية أو الآيات بقراءة أحد القراء.
- وأخذُ صورة للصفحة للمشاركة بها مع الآخرين، أو مع ملفاتك الأخرى، إلى آخر ما هنالك من الخدمات.

٢- (المصحف الذهبي)، نسخة إلكترونية، للتفاعل مع القرآن الكريم بسهولة ويُسر، مع الاحتفاظ بجماليات المصحف الشريف من خطوط ونقوش دلائل الآيات والسور، وفيه عدَّةُ خِدْمَاتٍ أو خياراتٍ؛ لمساعدة القارئ في التعامل مع المصحف، ومنها الخدمات الآتية:

- على الاطلاع على تفسير الآيات وتفسير المفردات في القرآن الكريم.



- اختيار المصحف الموضوعي، تُلَوَّنُ فيه الآيات حسب الموضوع.
- والاستماع للآية أو الآيات بقراءة أحد القراء، إلى مزايا وخدمات أخرى مفيدة.
- ٣- مصحف (تدارس القرآن)، وهو مصحفٌ إلكترونيٌّ تَفَاعُلِيٌّ، وفيه خدمات مهمةٌ، منها التالي:
 - الاطلاع على التفسير في مختلف كتب التفسير، ومجموعها في وقت هذه الكتابة عن المصحف نحو ستة وعشرين كتاب تفسير.
 - وخدمة الاطلاع على الوقفات التدبرية في كل سورة أو آية، أو إضافة وقفة جديدة.
 - أنه مصحفٌ إلكترونيٌّ تفاعليٌّ.
 - والاستماع للآية أو الآيات بقراءة أحد القراء، إلى آخر ما هنالك من الخدمات.
- ٤- مصحف (آي قرآن)، مصحفٌ إلكترونيٌّ، فيه عددٌ من الخدمات، منها:
 - الترجمة لبعض اللغات.
 - وخدمة البحث عن أي لفظة في القرآن وحضر مواضع ورؤدها في القرآن.
 - وخدمة النسخ واللصق أو نقل المواضع أو الآيات المختارة، إلى آخر ما هنالك من الخدمات.
- ٥- (مصحف بيت التمويل الكويتي)، مصحفٌ إلكترونيٌّ، يُتيح للقارئ القراءة، والمزامنة بين مختلف أجهزةك، لمتابعة قراءتك للقرآن، إضافة إلى خدماتٍ أخرى.
- ٦- (مصحف الكويت)، مصحفٌ إلكترونيٌّ للقراءات العشر، وفيه خدمات، منها:
 - يتيح لك سماع تلاوة الآيات، وذلك بحسب مَنْ تختاره من القراء، وما تختاره من القراءات العشر.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

- ومنها الاطلاع على تفسير الآية أو الآيات بحسب ما تختاره من كتب التفسير.
- ويتيح لك المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم.
- كما يتيح لك الاطلاع على القراءات العشر، إلى باقي الخدمات الأخرى، لكنه مصحفٌ يكفي أنه متميزٌ بهذه الميزة، إضافة إلى باقي الخدمات فيه.
- ٧- مصحف (آيات الإلكتروني)، وهو مصحفٌ عمَلته جامعة الملك سعود، وهو مهمٌ، فيه عددٌ من الخدمات، من أهمها:
 - يُقدِّم لك تفسير الآية أو الآيات برُفقتها، وذلك بحسب قراءة حفص عن عاصم، ومصحف التجويد رواية ورش عن نافع، وهذه ميزةٌ جيدةٌ مفيدةٌ، حيثُ يعرضُ عليك تفسير الآية بمجرد فتح المصحف عليها، وهذا ممَّا يُقَطِّعُ على القارئ داء التسويف بالنسبة للعودة إلى كتب التفسير.
 - ويتيح لك ما تريده من كتب التفسير المتاحة فيه، منها تفسير ابن سعدي، والوسيط للطنطاوي، والبغوي، وابن كثير، والقرطبي، ... إلى آخره.
 - ويتيح لك النسخ، والمشاركة مع غيرك، إلى خدماتٍ أخرى.
- ٨- مصحف (ختمة) الإلكتروني، فيه خدمةٌ ختمات القرآن، لمتابعة مواضع قراءتك لختمتك، أو ختماتك، أو وردك القرآني، ويعرضُ عليك إمكانية الاطلاع على الأوراد السابقة، وكذلك الأوراد القادمة، ويتيح لك الاطلاع على فهرس المصحف الشريف، إلى خدماتٍ أخرى.
- ٩- مصحف (حفظ)، للحفظ المُيسَّر، يشتمل على خدماتٍ منها:
 - الاستماع بحسب قراءة القارئ المختار.
 - مدارسة السورة المختارة.





- اختيار خدمة المصحف الإلكتروني لتلوين الآيات بألوان مختلفة بحسب تصنيف موضوعاتها.
- الاطلاع على الخرائط الذهنية للسورة.
- الاطلاع على إحصائيات السورة.
- الاطلاع على فقرات كثيرة على كل سورة من سور القرآن، ومنها فقرة: «عَلَّمْتَنِي السُّورَةَ».

١٠ - تطبيق (إذاعات القرآن الكريم)، على الهاتف الجوال، وعلى الحاسوب، وسواهما. يشتمل على خدمات كثيرة، بل مغانم عظيمة، وإنْ غَفَلَ عنها الغافلون، ومهما تحدّثنا عن هذا التطبيق، وعن إذاعات القرآن الكريم^(١)، فلن نُعْطِيَهَا حَقَّهَا، وكيف نوفّي شيئاً واحداً من هذا التطبيق المبارك، هو إذاعات القرآن الكريم، التي تُرَافِق مَنْ أراد مرافقتها، أو مَنْ اختار لنفسه مرافقتها أينما كان ومتى كان! سواءً كان في بيته أو في سيارته، في سفره أو في إقامته!

ويشتمل تطبيق (إذاعات القرآن) على إذاعات متنوعة للقرآن، وبرامج وخدمات متنوّعة، ومنها:

- مختلف إذاعات القرآن الإقليمية من مختلف البلدان، وإذاعات أخرى غيرها، سواءً ما كان منها إذاعات رسمية، أو مؤسسية، أو فردية.
- سُور القرآن.
- تلاوات قرآنية.
- ترجمة معاني القرآن.
- التفسير وعلوم القرآن الكريم.

(١) وَلَعَلَّ أَنْفَعَهَا وَأَرْوَعَهَا إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

- تعليم الأطفال، وهذا القسم كأنه مدرسة أطفال نموذجية! متنوعة البرامج، فما عليك إلا اختيار هذا، ثم التخيّر منه ما شئت لأطفالك؛ فترى النور يسري إلى عقولهم وقلوبهم!

- تراويح الحرم المكي.

- خطب الحرم المكي.

- تراويح المسجد النبوية.

- خطب المسجد النبوي.

- القراء.

- الدروس والقصص.

- أذكار وأدعية.

- رمضانيات.

- الرقية الشرعية.

- الحديث وعلومه.

- الفتاوى.

- المحاضرات وخطب الأشخاص.

- إلى آخر ما هنالك.

- نعم، إنه تطبيق يشتمل على عدة أيقونات، أو أقسام، تحت كلّ منها عدد كبير من البرامج، مختلفة التخصصات، وربما المدارس في الفهم والمنهج، لكن الغالب أنّها يجمع بينها حبّ الخير والعلم، والدعوة إليه، وتيسيره. (وليس معنى هذه الإشارة إليها تركيتها كلها، بل كل إنسان وليّ أمر نفسه؛ فعليه النظر والتأكد والاختيار).



- وَأَضْرِبْ مثلاً: أيقونة (الدروس والقصص) تحتها حوالي (٣٠٠) برنامج، لأشخاص كثيرين. بإمكانك أن تختار منها ما تحتاج، وبإمكانك صجبة هذا الخير جُلّ وقتك.

- ومثلاً: أيقونة (القراء)، تَجِدُ تحتها أيّ قارئ تُريده، وختماًتهم، وربما إذاعاتهم الشخصية، وقد يتكرر اسم بعضهم بحسب تعدّد تسجيلاتهم للقرآن الكريم، كأئمة الحرمين، فبعضهم له تسجيلات في الحرم المكي، وكذلك له تسجيلات في المسجد النبوي.

فبإمكانك اختيار القارئ الذي تريده، وتبقى في صحبته ما شئت من دهرك!

وقد عددتُ أسماء القراء المذكورين في هذا القسم، فوصلتُ إلى (٢٠٠) قارئ، ثم تعبّت من العدّ، فتوقفتُ عنه!

وقسم (أذكار وأدعية)، عددتُ تحته (٢٣) برنامجاً.

وقسم (ترجمة معاني القرآن)، عددتُ تحته (١٣) برنامجاً، أو إذاعاتٍ تترجم القرآن ترجمة بعدة لغات، أو بلُغة ما.

إلى آخر ما هنالك من محتويات تطبيق إذاعات القرآن الكريم.

وبهذا تَعْلَمُ أَنَّ بإمكانك أن تَجْعَلَ هاتفك التَّقال - مثلاً - مُعلّماً وأستاذاً، وصديقاً، فريداً، ملازماً لك، يُزودك بمصاحف القرآن الكريم، وبالأحاديث الشريفة، وبمختلف العلوم النافعة، والبرامج والتطبيقات الإلكترونية، التي تُسَعِّدُكَ وَمَن معك، سعادةً في الدارين، ويكون هاتفك حينئذٍ، وما تملؤه به من علم وبرامج، شاهدين لك يوم القيامة!

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

فهل هذا خيرٌ، أم أن يتَّخذَ الإنسانَ هاتِفَه النَّقَالَ أستاذًا ملازمًا له متخصصًا في تعليمه الشرِّ والتَّوْفِيقِ، ومتخصصًا في نَقْلِهَا إِلَيْهِ، ثم يكون شاهدًا عليه يوم القيامة بما جَنَّتْهُ يده، حين يقول: واحسرتاه! لكن، لا فائدة ولا خلاص!

تالله لقد أتمَّ الله لنا النعمة بهذه الوسائل والمصاحف الإلكترونية ونحوها، وأقام علينا الحِجَّةَ؛ فما نحنُ صانعون!

ألا ما أَجْمَلَ أن تتعوَّد على الاستجاباتِ الإيمانية، لا على استجاباتِ الغفلةِ عن هذه الحقيقة، والغفلة عن حُجَجِ الله علينا هذه ونِعَمِهِ، والتمادي في هذا المَسِيرِ حتى يُفاجئنا المَصِيرُ!

ما أَجْمَلَ أن يتحكَّم عقلُك وإيمانُك في يَدِكَ وبَنَانِكَ حينما تُمسِكُ بهاتفك النَّقَالَ، ونحوه؛ فلا تتركه يختارُ لك ما ليس بخيارٍ، وما ليس بخيرٍ!

وما أَجْمَلَ أن يصحَّبَ المسلمُ والمسلمةُ تلك المصاحف، ومختصرات التفسير، ومفردات القرآن، وتُدبِّره في التطبيقات الرقمية!

ب- الكتب والأعمال الورقية في طُرُقِ التَّدْبِيرِ، وَوَسَائِلِهِ، وَمَسَائِلِهِ، وَمَنَاهِجِهِ:

بفضل الله، كُثِرَتْ هذه الكتب والأعمال الورقية، المعنيَّة بموضوع التدبر، وكثيراً ما يكون الكتابُ ورقياً ورقمياً، الأمر الذي ساعد كثيراً على تيسير تدبرِ كتاب الله تعالى في هذا العصر.

ولو أردنا حصر هذه الأعمال؛ لَمَا استطعنا، لكن لعلنا نورد هنا قائمةً مختصرة بهذا النوع من الكتب والأعمال، ونضربُ أمثلةً منها، نَقِفُ عندها بشيءٍ من الإيضاح والأمثلة.



قائمة ببعض الكتب والأعمال في وسائل التدبر وطُرقه^(١):

فمن هذه الكتب:

- ١- التلخيص في تفسير القرآن الكريم، موفق الدين، أبي العباس، أحمد بن يوسف الموصلي الشافعي المعروف بالكواشي، المتوفى سنة ٦٨٠هـ-١٢٨١م^(٢). وهو مهمٌ ومفيد، اعتنى مؤلفه فيه بالتفسير بحسب الروايات واللغة والإعراب، وأصناف الوقوف، ووجوه القراءات الجائزة، وبيان أثر اختلاف كلٍّ من: اللغة والإعراب، والوقف، والقراءات في تحديد المعاني، ورمز لهارموزاً، ينبغي الوقوف عليها. لقد سررت بهذا التفسير المختصر^(٣).
- ٢- بديع البيان لما عسى أن يخفى في القرآن، الشيخ محمد بدر الدين ابن الملا ذرويش التلوي الفقيري العباسي، المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، فيه ستة آلاف من كلمة أو جملة أو آية^(٤).
- ٣- المعاني الحسان في تفسير كلمات القرآن الكريم، إعداد وإشراف عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان العمر^(٥). على حاشية المصحف الشريف.
- ٤- كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسنين محمد مخلوف، المتوفى سنة ١٤١٠هـ، تعليق الأستاذ محمود شاكر^(٦)، وهي تعليقات قليلة. على أن المؤلف انتهج القول بتأويل الصفات الإلهية.

(١) هذه مختصرة، كما قلت، وسيأتي في (المبحث الرابع) قائمة عامة شاملة بالتطبيقات والبرامج الرقمية الخاصة بالقرآن والحديث، وقُفْتُ عليها بعد كتابة هذه القائمة المختصرة.

(٢) دراسة وتحقيق أ. د. محيي هلال السرحان، العراق، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٣) يُنظر: الكتاب، ومقدمة محققه.

(٤) سوريا - دمشق.

(٥) شركة رواد المستقبل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

(٦) دار إحياء التراث العربي، الطبعة التاسعة، ١٤١٨هـ- ١٨٨٧م.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

المختصر في تفسير القرآن الكريم، نخبة من العلماء. على حواشي المصحف الشريف. له عدة طبعات^(١).

وبالاطلاع على مقدمة طبعته الثالثة، التي كتبها رئيس مجلس «مركز تفسير»، معالي الدكتور صالح بن عبد الله حميد، يُعرَفُ قَدْرُ هذا العمل الجليل، وعَظَمَتُهُ، وخطواتُ وأساليبُ تدقيقه؛ لخدمة كتاب الله تعالى، المقتَرَنُ بنسخة المصحف الشريف بحسب الطبعة الأخيرة لطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة. وفي حواشيه ذُكِرَ لمقاصد السورة، عند بدايتها، وكذلك تَدْيِيلُ كل صفحة بفقرة: «من فوائد الآيات»، ويقتصرون على بعضها؛ اختصاراً.

ويعلمُ الله كَمَ سُرُرْتُ بالظفر بهذا المختصر في تفسير القرآن الكريم.

٦- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، د. عبد الرحمن حبنكة، المتوفى سنة ١٤٢٥هـ^(٢). اشتمل على مجموعة قواعد تطبيقية في التدبر الأمثل.

٧- معارج التفكر ودقائق التدبر: تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، د. عبد الرحمن حبنكة، المتوفى سنة ١٤٢٥هـ، وهو تفسيرٌ كبير للقرآن الكريم، ارتبط فيه مؤلفه بالتدبر^(٣).

٨- تأملات في آيات، د. عبد الله بن ناصر الصبيح، المتوفى سنة ١٤٤٥هـ، رحمه الله^(٤)، في ٣٠٦ صفحة، وهو تأملات تدبرية إيمانية، غُني فيها بتطبيق دلالات

(١) منها: مكة المكرمة، دار المختصر للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، ١٤٤٣هـ، ومما وقفتُ عليه من الطبعات قبلها: الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧هـ.

(٢) له عدة طبعات، منها: دمشق، دار القلم، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩م.

(٣) دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، وصدرت بقية أجزائه بعد ذلك متفرقةً على السنوات اللاحقة، ومجموع الأجزاء التي انتهى منها: ١٥ جزءاً. وقد انتهى المؤلف، رحمه الله، من تدبر ٢٨ سورة من السور المكية، ابتداءً من سورة العلق، وانتهاءً بسورة ص. والسور التي انتهى منها هي: السور المكية، وتوفي بعد بدايته في تفسير سورة البقرة.

(٤) الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ.



الآيات على تصحيح المفاهيم الشائعة خطأً، ولا سيما في مجال علم النفس والعلوم الاجتماعية، وهي «محاولة للانتقال من تلاوة القرآن لمجرد التبرك، إلى تلاوته للاستهداء، وتصحيح المعرفة»، كما يقول مؤلفه.

والواقع أن هذه القائمة تطول؛ فنكتفي بهذا القدر، ولا سيما أنه سيأتي مبحث خاص بالتطبيقات والبرامج الرقمية القرآنية والحديثية (المبحث الرابع من هذا الفصل)، وقد وقفت على ذلك الدليل عن (التطبيقات القرآنية والحديثية) بعد أن كتبت ما ذكرته أعلاه.

ج- المصاحف والبرامج الرقمية الخاصة بوسائل التدبر وطرقه:

هذا المجال في خدمة القرآن الكريم في عصرنا هذا، قد جاء آية من آيات الله في حفظ كتابه عز وجل، فكم سخر الله من عباده في مشارق الأرض ومغاربها للتوجه لخدمة القرآن هذه الخدمة الرقمية والبرمجية، وإصدار التطبيقات المتخصصة في هذا المجال!

الحقيقة مذهلة أسيرة حقاً!

وحسبك، للوقوف على طرف من هذه التطبيقات في القرآن، أن تطلع على «دليل التطبيقات القرآنية والحديثية»، سأنقله لاحقاً^(١)، فترى كم فيه من تطبيق!.

د - نماذج من المؤلفات الورقية الخاصة بوسائل التدبر وطرقه:

لا تسمح المساحة هنا للحديث كثيراً عن هذا النوع من المؤلفات المساعدة على تدبر القرآن الكريم -على أهميتها- نظراً للرغبة في عدم تطويل الكتاب، وقد طال، وهو أمر لا أحبذه؛ لهذا فسيتصر الكلام على ثلاثة نماذج منها، وهي:

- ١ - النموذج الأول: (مقدمة في أصول التفسير)، الإمام ابن تيمية^(٢): (٥٣ صفحة بحسب بعض طبعاته).

(١) ينظر هذا الدليل كاملاً في المبحث الرابع الآتي بعد هذا المبحث.

(٢) لها عدة طبعات وعدة شروح، يُنظر الإشارة إليها فيما مضى في المؤلفات في كتب التفسير وعلم تفسير القرآن.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

(لا نريدُ هنا الدخول في تفاصيل مضمون الكتاب، وإنما المرادُ هو التنبيه على أهميّة هذه المقدمة، ومنهجيتها الرائدة في باب التّدبّر والتفسير؛ ذلك لأنها مقدمة منهجيّة، ضابطةٌ للكلام في فقه القرآن؛ وذلك لأنّها:

أولاً: اسمها: مقدّمة في أصول التفسير. فهي في (أصول التفسير).

ثانياً: نصّ المؤلف على أنها «مقدمة تتضمن قواعد كلية، تُعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه»، حيث قال في أولها:

«فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمةً تتضمن قواعد كلية، تُعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله، بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل؛ فإنّ الكتب المصنّفة في التفسير مشحونة بالغثّ والسمن، والباطل الواضح، والحق المبين.

والعلم إمّا نقلٌ مُصدّقٌ عن معصوم، وإمّا قولٌ عليه دليل معلوم، وما سوى هذا، فإمّا مزيف مردود، وإمّا موقوف لا يُعلم أنه بهرجٌ ولا منقود.

وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الذي هو جبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشيع منه العلماء. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم، ومن ترّكه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله»^(١).

وإليك بعضاً من الفوائد والنقاط المنهجية في التفسير وفي تدبر القرآن، التي أوردّها المؤلف، رحمه الله:

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ٧-١١.



- «وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾»، [المؤمنون: ٦٨]، وتدبّرُ الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾»، [يوسف: ٢] وعقل الكلام متضمن لفهمه^(١).

- «ومن المعلوم أنّ كلّ كلام فالمقصود منه فهم معانيه، دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضاً، فالعادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتاباً في فن من العلم، كالطب والحساب، ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عِصْمَتُهُمْ، وبه نجاتُهُمْ وسعادَتُهُمْ، وقيامُ دينِهِمْ ودنيَاهُمْ!»^(٢).

- «الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصحّ عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوعٍ، لا اختلاف تضادٍّ، وذلك صنفان:

أحدهما: أن يُعبّر كلّ واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدلّ على معنى في المسمّى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمّى، بمنزلة الأسماء المتكافئة، التي بين المترادفة والمتباينة، كما قيل في اسم السيف: الصارم، والمهند، وذلك مثل أسماء الله الحسنى، وأسماء رسوله ﷺ وأسماء القرآن، فإنّ أسماء الله كلها تدل على مسمّى واحد، فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضاداً لدعائه باسم آخر، بل الأمر كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾»، [الإسراء: ١١٠]^(٣).

- «إذا عُرف هذا، فالسلف كثيراً ما يُعبّرون عن المسمّى بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر، كمن يقول: أحمد هو: الحاشر والماحي والعاقب. والقدوس هو الغفور، والرحيم، أي: أن المسمّى

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ٩.

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ١٠.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ١١ - ١٢.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

واحد، لا أن هذه الصفة هي هذه الصفة. ومعلوم أن هذا ليس اختلافًا تضادًا، كما يظنه بعض الناس، مثال ذلك: تفسيرهم للصراط المستقيم:

فقال بعضهم: هو القرآن، أي: أتباعه؛ لقول النبي ﷺ في حديث علي، الذي رواه الترمذي، ورواه أبو نعيم من طرق متعددة: (هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم).

وقال بعضهم: هو الإسلام؛ لقوله ﷺ في حديث النواس ابن سمعان، الذي رواه الترمذي وغيره: (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَبَنِي الصراط سُورَان، وفي السُّورَيْنِ أبواب مفتحة، وعلى الأبواب سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وداع يدعو من فوق الصراط، وداع يدعو على رأس الصراط)، قال: «فالصراط المستقيم هو الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارمُ الله، والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن»^(١).

ومما أراه ليس مراداً به ظاهره من كلام الإمام ابن تيمية، رحمه الله، في هذه المقدمة: ترتيبه الطرق لأخذ التفسير بقوله:

«إنَّ أصَحَّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أَجْمَلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصِرَ من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإنَّ أعيانك ذلك؛ فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حَكَمَ به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِضِينَ خَصِيماً﴾، [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، [النحل: ٦٤]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) يعني: السنة.

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ١٣.



والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا أنها تتلى كما يتلى،...».

إلى أن قال المؤلف: «والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة...»^(١). إلى آخر كلامه.

فهذا القول ليس على ظاهره عندي، والسبب في هذا، هو أن المنهج الحق أن تأخذ تفسير القرآن من القرآن نفسه، ومن السنة في آن واحد، لا بترتيب، وهكذا القول في باقي كلامه، رحمه الله، في هذا الموضع^(٢).

- ونقد الإمام كتب التفسير، وأوضح منهج بعضها، ومما قاله في ذلك:

«وأما (الزمخشري) فتفسيره محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله يريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة»^(٣).

وقال -بعد أن ذكر أصول المعتزلة الخمسة عندهم-:

«وهذه الأصول حشاً بها الزمخشري كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها، ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوعة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين».

ثم قال: «و(تفسير القرطبي) خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة، وأبعد عن البدع. وإن كان كل من هذه الكتب لا بد أن يشتمل على ما يُنقَد، لكن يجب العدل بينها، وإعطاء كل ذي حق حقه»^(٤).

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ٣٩-٤٠.

(٢) يُنظر، ما ذكرته من الرأي في قول الإمام هذا في ترتيبه أحسن طرق التفسير، في كتابي: «مدخلٌ لدراسة (مشكل الآثار) - مقاييس لصحة تفسير النصوص. - أنواع استشكال النصوص وأسبابه»، صفحة ٩٧، الحاشية، و صفحة ١٠٠-١٠٥، بحواشيها.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ٥١.

(٤) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ٥٢.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

وهكذا ترى هذا الإمام المحقق في هذه الرسالة الوجيزة، قد أوضح فيها:

- تأصيله لمنهج فقه القرآن الكريم فقهاً سديداً، ألفاظاً وأساليب.
- تأصيله لمنهج فهم أقوال المفسرين في تفسير القرآن، التي قد تبدو متعارضة وهي ليست كذلك على كل حال.
- نقده لمناهج المفسرين، نقداً علمياً رصيناً، أوضح به كُتِبَ التفسير المقبول منهجها، وكُتِبَ التفسير المنتقد منهجها.
- وكذلك اشتمال الكتاب على كلام مهم مفيد في أصول التفسير.

وحسبنا هنا الإشارة إلى بعض النقاط المنهجية عنده، المطلوب مراعاتها في تدبر القرآن وتفسيره، مُجَرَّد إشارة؛ مُراعاة للوقت، فمنها:

١- تحديده لمنهج التفريق بين المقبول والمردود في التفسير، والتفريق بين ما كان من التفسير رواية، وما كان رأياً؛ لتطبيق معايير القبول والرد على كل منهما، كل بحسبه.

٢- تنبيهه على نقطة منهجية في التعامل مع أقوال المفسرين للقرآن إذا اختلفت أقوالهم في الظاهر؛ حيث قرّر أنّ كثيراً من أقوالهم هي من قبيل اختلاف التّنوع، لا اختلاف التضاد. وما أعظم أهمية هذا المنهج، وما أحسن عائده على حُسن فهم القرآن!

٣- تنبيهه على أهمية الوقوف على أسباب نزول الآيات؛ لاستقامة الفهم للمراد بها، فقد تحدّث عن أسباب النزول، وفَصّل في المراد بالفاظهم في التعبير عنها.



٤- تنبيهه على أهمية التثبت من المقصود بالألفاظ واختلاف دلالاتها، ...

إلى آخر القواعد والأصول المنهجية المهمة في سلامة الفقه لكتاب الله وتدبره وتفسيره. وليس بالإمكان هنا أن نورد كل المهم في هذه المقدمة؛ وإلا لاقتضى هذا نقل الرسالة كلها؛ إذ كلها مهم.

حقاً إن هذه الرسالة، أو هذا الكتاب مهم للغاية لكل راغب في تدبر كتاب الله، وتفسيره؛ ومن المهم أن يوصى طالب فقه القرآن الكريم وتفسيره بقراءته، قراءة متأنية، مكررة.

وإن من نعم الله عليّ أنني أيام الشباب أرقّت ليلة، فعمدت إلى هذه المقدمة، وأخذت أقرأها حتى ختمتها عند أذان الفجر، فلا أقدر فائدة ذلك حق قدره؛ لعظيم الفائدة منه لي ولطلابي فيما بعد ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

٢- النموذج الثاني: (القواعد الحسان في تفسير القرآن)، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي:

(٢٠٨ صفحة، في بعض طبعاته). هذا كتابٌ وجيزٌ مهمٌ في باب تدبر القرآن الكريم وتفسيره، وتأتي أهميته من ثلاثة أوجه:

- أنه متعلق بفقه كتاب الله وتدبره.

- أنه قواعدٌ وضوابطٌ ضروريةٌ لفقه القرآن وتدبره، عاصمةٌ من الخطأ في فهم القرآن وتدبره وتفسيره.

- أن مؤلفه علّم من أعلام تفسير القرآن وتدبره، نظرياً وتطبيقياً، رحمه الله.

قال عنه في المقدمة:

«فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم، جليّة المقدار، عظيمة النفع، تُعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله، والاهتداء به. ومخبرها أجل من وصفها،

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

فإنَّها تَفْتَحُ للعبدِ مِنْ طُرُقِ التفسيرِ، ومنهاجِ الفهمِ عن الله: ما يغني عن كثيرٍ من التفاسيرِ، الخالية مِنْ هذه البحوث النافعة. أرجو الله وأسأله أن يتم ما قصدنا إلى إيراده، ويفتح لنا مِنْ خزائن جوده وكرمه، ما يكون سبباً للوصول إلى العلم النافع، والهدى الكامل.

فاعلم أنَّ علمَ التفسيرِ أَجَلُ العلومِ على الإطلاق، وأفضلُها وأوجبُها، وأحبُّها إلى الله؛ لأنَّ الله أمرَ بتدبُّرِ كتابه، والتفكرِ في معانيه، والاهتداء بآياته. وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسنى الموابه، فلو أنفق العبد جواهرَ عمره في هذا الفن، لم يكن ذلك كثيراً في جَنبِ ما هو أفضلُ المطالب، وأعظمُ المقاصد، وأصلُ الأصول كلها، وقاعدةُ أساسِ السعادة في الدارين، وصالحُ أمورِ الدين والدنيا والآخرة، وبه يتحقق للعبد حياةٌ زاهرة بالهدى والخير والرحمة، ويهيئ الله له أطيبَ الحياة، والباقيات الصالحات.

فلنشرع الآن بذكر القواعد والضوابط على وجه الإيجاز، الذي يَحْصُلُ به المقصود. لأنَّه إذا انفتح للعبد الباب، وتمهّدت بفهم القاعدة الأسباب، وتدرَّبَ منها بعدة أمثلة، توضحها وتبينُ طريقها ومنهجها؛ لم يَخْتَجْ إلى زيادة البسط، وكثرة التفاصيل. ونسأله تعالى أن يُمدِّنا بعونه ولطفه وتوفيقه. وأن يجعلنا هادين مهتدين بمنه وكرمه وإحسانه^(١).

ثم شرع في ذكر هذه القواعد والضوابط، وقد ذكر المؤلِّفُ واحدة وسبعين قاعدةً وضابطاً؛ لحسنِ فهمِ القرآنِ وتدبُّره وتفسيره.

ولتعرِّف قيمتها؛ إليك عناوينها:

القاعدة الأولى: في كيفية تلقي التفسير.

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن، ص ٣-٤.



القاعدة الثانية: العبرة بعموم الألفاظ، لا بخصوص الأسباب.

القاعدة الثالثة: الألف واللام الداخلة على الأوصاف، وأسماء الأجناس، تُفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه.

القاعدة الرابعة: إذا وقعت النكرة في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام، دلّت على العموم.

القاعدة الخامسة: المقرّر أنّ المفرد المضاف يفيد العموم، كما يفيد ذلك اسم الجمع.

القاعدة السادسة: في طريقة القرآن في تقرير التوحيد ونفي ضده.

القاعدة السابعة: في طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد ﷺ.

القاعدة الثامنة: طريقة القرآن في تقرير المعاد.

القاعدة التاسعة: في طريقة القرآن في أمر المؤمنين، وخطابهم بالأحكام الشرعية.

القاعدة العاشرة: في طرق القرآن إلى دعوة الكفار على اختلاف مللهم.

القاعدة الحادية عشرة: مراعاة دلالة التضمن، والمطابقة، والالتزام.

القاعدة الثانية عشرة: الآيات القرآنية التي يُفهم منها قصار النظر التعارض.

القاعدة الثالثة عشرة: طريقة القرآن في الحجاج والمجادلة مع أهل الأديان الباطلة.

القاعدة الرابعة عشرة: حذف المتعلّق المعمول فيه: يفيد تعميم المعنى المناسب له.

القاعدة الخامسة عشرة: جعل الله الأسباب للمطالب العالية مبشّرات لتطمين القلوب وزيادة الإيمان.

القاعدة السادسة عشرة: حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد.

القاعدة السابعة عشرة: بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أُفرد دلّ على المعنى المناسب له، وإذا قُرِنَ مع غيره دلّ على بعض المعنى، ودلّ ما قُرِنَ معه على باقيه.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

- القاعدة الثامنة عشرة: إطلاق الهداية والإضلال وتقييدها.
- القاعدة التاسعة عشرة: الأسماء الحسنى في ختم الآيات.
- القاعدة العشرون: القرآن كله مُحَكَّمٌ باعتبارٍ، وكله متشابهٌ باعتبارٍ، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبارٍ ثالثٍ.
- القاعدة الحادية والعشرون: القرآن يَجْرِي في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة للعرُف والعوائد.
- القاعدة الثانية والعشرون: في مقاصد أمثلة القرآن.
- القاعدة الثالثة والعشرون: إرشادات القرآن على نوعين.
- القاعدة الرابعة والعشرون: التوسط والاعتدال وذمُّ الغلو.
- القاعدة الخامسة والعشرون: حدود الله قد أمر بحفظها، ونهى عن تعديها وقربانها.
- القاعدة السادسة والعشرون: الأحكام في الآيات المقيدة.
- القاعدة السابعة والعشرون: المحترزات في القرآن تقع في كل المواضع في أشد الحاجة إليها.
- القاعدة الثامنة والعشرون: في ذكر الأوصاف الجامعة، التي وصف الله بها المؤمن.
- القاعدة التاسعة والعشرون: في الفوائد التي يجتنيها العبد في معرفته وفهمه لأجناس علوم القرآن.
- القاعدة الثلاثون: أركان الإيمان بالأسماء الحسنى.
- القاعدة الحادية والثلاثون: ربوبية الله في القرآن على نوعين: عامة وخاصة.
- القاعدة الثانية والثلاثون: الأمر بالشيء نَهْيٌ عن ضده.
- القاعدة الثالثة والثلاثون: المرض في القرآن -مرض القلوب- نوعان: مرض شبهات وشكوك، ومرض شهوات ومحرمات.
- القاعدة الرابعة والثلاثون: دلّ القرآن في عدة آيات أن مَنْ تَرَكَ ما ينفعه مع الإمكان؛ ابتليَ بالاشتغال بما يضره، وحُرِمَ الأمر الأول.



- القاعدة الخامسة والثلاثون: تقديم أعلى المصلحتين وأهون المفسدتين.
- القاعدة السادسة والثلاثون: مقابلة المعتدي بمثل عدوانه.
- القاعدة السابعة والثلاثون: اعتبار المقاصد في ترتيب الأحكام.
- القاعدة الثامنة والثلاثون: قد دلت آيات كثيرة على جبر المنكسر قلبه، ومن تشوّفت نفسه لأمر من الأمور؛ إيجاباً أو استحباباً.
- القاعدة التاسعة والثلاثون: في طريقة القرآن في أحوال السياسة الداخلية والخارجية.
- القاعدة الأربعون: في دلالة القرآن على أصول الطب.
- القاعدة الحادية والأربعون: قَصْر النظر على الحالة الحاضرة.
- القاعدة الثانية والأربعون: الحقوق لله ولرسوله.
- القاعدة الثالثة والأربعون: الأمر بالتثبت.
- القاعدة الرابعة والأربعون: علاج مَيْلِ النفوس إلى ما لا ينبغي.
- القاعدة الخامسة والأربعون: حُثُّ الباري سبحانه في كتابه على الصلاح والإصلاح.
- القاعدة السادسة والأربعون: ما أمر الله به في كتابه.
- القاعدة السابعة والأربعون: السياق الخاص يراد به العام، إذا كان سياقُ الآيات في أمورٍ خاصة.
- القاعدة الثامنة والأربعون: متى علّق الله علمه بالأمور بعد وجودها، كان المراد بذلك العلم الذي يترتب عليه الجزاء.
- القاعدة التاسعة والأربعون: إذا منع الله عباده المؤمنين شيئاً تتعلق به إرادتهم، فتح لهم باباً أنفع لهم منه وأسهل وأولى.
- القاعدة الخمسون: آيات الرسول: هي التي يُبديها الباري ويُنْذِرُ بها.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

القاعدة الحادية والخمسون: كلُّ ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين: يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

القاعدة الثانية والخمسون: إذا وَضَحَ الحق وبانَ، لم يبق للمعارضة العلمية، ولا العملية محلٌّ.

القاعدة الثالثة والخمسون: من قواعد القرآن: أنه يُبَيِّنُ أن الأجر والثواب على قدر المشقة.

القاعدة الرابعة والخمسون: كثيراً ما ينفي الله الشيء لعدم فائدته وثمرته المقصودة منه، وإن كانت صورته موجودة.

القاعدة الخامسة والخمسون: يُكتب للعبد عمله الذي باشره، ويُكمل له ما شرع فيه وعجز عن تكميله قهراً عنه، ويُكتب له ما نشأ عن عمله.

القاعدة السادسة والخمسون: تحصيل المصالح على قدر الوسع والطاقة.

القاعدة السابعة والخمسون: في كيفية الاستدلال بخلق السماوات والأرض وما فيهما على التوحيد والمطالب العالية.

القاعدة الثامنة والخمسون: الكمال إنما يظهر إذا قُرِنَ بضده.

القاعدة التاسعة والخمسون: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

القاعدة الستون: أنواع التعليم القصصي في القرآن.

القاعدة الحادية والستون: معرفة الأوقات وضبطها حتَّ الله عليه، حيث يترتب عليه حكمٌ عامٌّ أو حكمٌ خاصٌّ.

القاعدة الثانية والستون: الصبر أكبر عون على جميع الأمور، والإحاطة بالشيء علماً وخبراً هو الذي يُعِين على الصبر.

القاعدة الثالثة والستون: العبرة بصدق الإيمان وصلاح الأعمال.

القاعدة الرابعة والستون: الأمور العارضة، التي لا قرار لها بسبب المزعجات أو الشبهات، قد تَرِدُ على الحق وعلى الأمور اليقينية، ولكن سرعاناً ما تَصْمَحِلُّ وتزول.



القاعدة الخامسة والستون: قد أرشد القرآن إلى المنع من الأمر المباح؛ إذا كان يُفْضِي إلى ترك الواجب، أو فِعْل محَرَّم.

القاعدة السادسة والستون: من قواعد القرآن أنه يَسْتَدِل بالأقوال والأفعال على ما صَدَرَتْ عنه من الأخلاق والصفات.

القاعدة السابعة والستون: يُرشد القرآن إلى الرجوع إلى الأمر المعلوم المحقَّق، للخروج من الشبهات والتوهّمات.

القاعدة الثامنة والستون: ذُكِر الأوصاف المتقابلات، يُغْنِي عن التصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلوماً.

القاعدة التاسعة والستون: مَنْ تَرَكَ شيئاً لله عَوَّضه الله خيراً منه.

القاعدة السبعون: القرآن كَفِيلٌ بمقاومة جميع المفسدين، ولا يَعِصَم من جميع الشرور إلا التمسك بأصوله، وفروعه، وتنفيذ شرائعه وأحكامه.

القاعدة الواحدة والسبعون: في اشتمال كثير من ألفاظ القرآن على جوامع المعاني.

وبعد هذا النقل لعناوين القواعد والضوابط الإحدى والسبعين قاعدةً، إليك نصّ القاعدة الأولى، والقاعدة الثانية؛ لترى نموذجاً لطريقة بيانه لهذه القواعد:

القاعدة الأولى: في كيفية تلقّي التفسير:

ومما يُنَوِّه عنه في هذه القاعدة، هو: أَنَّ مَنْ سَلَكَ طريقاً وعمل عملاً، وأتاه من أبوابه، وطرقه الموصلة إليه، فلا بد أن يُفْلِح وينجح ويصل به إلى غايته، كما قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، [البقرة: ١٨٩]، وكلما عظم المطلوب تأكد هذا الأمر، وتعيّن البحث التام عن أمثل وأقوم الطرق الموصلة إليه. ولا ريب أن ما نحن فيه هو أهم الأمور وأجلّها، بل هو أساسها وأصلها.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

فاعلم أن هذا القرآن العظيم أنزله الله لهداية الخلق وإرشادهم، وأنه في كل وقت وزمان ومكان يرشد إلى أهدي الأمور وأقومها. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، [الإسراء: ٩]، فعلى الناس أن يتلقوا معنى كلام الله كما تلقاه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ... فَمَنْ سلك هذا الطريق، وَجَدَ واجتهد في تدبر كلام الله، انفتح له الباب الأعظم في علم التفسير، وقويَتْ معرفته واستنارت بصيرته، واستغنى بهذا الطريق عن كثرة التكلّفات، وعن البحوث الخارجية، وخصوصاً إذا كان قد أخذ من علوم العربية جانباً قوياً، وكان له إلمامٌ واهتمام بسيرة النبي ﷺ وأحواله مع أوليائه وأعدائه. فإن ذلك أكبر عونٍ على هذا المطلب.

ومتى علم العبد أن القرآن فيه بيان كل شيء، وأنه كفيل بجميع المصالح؛ مبينٌ لها، حاثٌّ عليها، زاجرٌ عن المضارّ كلّها، وجعل هذه القاعدة نصب عينيه، ونزلها على كل واقعٍ وحادث، سابقٍ أو لاحقٍ. ظهرَ له عظم مواقعِها، وكثرة فوائدها وثمرتها. ويلحق بهذه القاعدة:

القاعدة الثانية: العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب:

وهذه القاعدة نافعة جداً، بمراعاتها يحصل للعبد خيرٌ كثير وعلمٌ غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علمٌ كثير، ويقع الغلط والارتباك الخطير.

وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، فمتى راعيت القاعدة حقَّ الرعاية، وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول: إنما هو على سبيل المثال؛ لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورةً عليها. فقولهم: نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها. ومن جملة ما يراد بها. فإن القرآن ... إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها، حيث تكون، وأنى تكون.



والله تعالى قد أمرنا بالتفكير والتدبر لكتابه، فإذا تدبرنا الألفاظ العامة، وفهمنا أن معناها يتناول أشياء كثيرة، فلأي شيء نُخرج بعض هذه المعاني، مع دخول ما هو مثلها ونظيرها فيها؟

... وإذا أمرَ بشيء نظرتَ إلى معناه، وما يدخل فيه وما لا يدخل، وعلمت أن ذلك الأمر موجّهٌ إلى جميع الأمة، وكذلك في النهي.

ولهذا كانت معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله أصل كل الخير والفلاح، والجهل بذلك أصل كل الشر والخسران^(١).

وأخيراً: أقول في نهاية الكلام عن هذا الكتاب النفيس حقّاً: إنه كتابٌ منهج، مؤسّس لتدبّر القرآن تدبّراً سديداً، وتفسيره تفسيراً بمنأى عن الزلل والخطل.

وما أجمل، وأصدق قول المؤلف عنه في مقدمته!: «فهذه أصولٌ وقواعدٌ في تفسير القرآن الكريم، جليّة المقدار، عظيمة النفع، تُعين قارئها ومتأمّلها على فهم كلام الله، والاهتداء به. ومخبرها أجلُّ من وصفها، فإنّها تفتح للعبد من طرق التفسير، ومنهاج الفهم عن الله: ما يُغني عن كثيرٍ من التفاسير، الخالية من هذه البحوث النافعة».

وكذلك قوله: «فلنشرع الآن بذكر القواعد والضوابط على وجه الإيجاز الذي يحصل به المقصود. لأنّه إذا انفتح للعبد الباب، وتمهّدت بفهم القاعدة الأسباب، وتدرّب منها بعدّة أمثلة، توضّحها، وتبيّن طرقها ومنهجها؛ لم يحتج إلى زيادة البسط، وكثرة التفاصيل».

وإنّي أحمد الله تعالى على توفيقه لي بقراءة هذا الكتاب مُدّ أيام الشباب، فنفعني الله به، فتأسّس في فهمي منهجٌ سديد، لفقه وحْيِ الله تعالى، بل وفقه الكلام عامّة. إنّ تأسيس صحّة المنهج أمرٌ في غاية الأهمية؛ لسلامة فقه الكتاب والسنة، وللسلامة من مزالق سوء الفهم، واختلال المنهج.

(١) يُنظر: القواعد الحسان في تفسير القرآن، ص ٥-٨.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

ولو كان لي من الأمر شيء؛ لقرّرتُ هذا الكتاب على عموم الطلاب.

٣- النموذج الثالث: (ليدبروا آياته)^(١):

ميزّة هذا العمل:

- ١- أنه ثمرة تدبر للقرآن الكريم، وتأملات منوّعة.
- ٢- أنه جاء على طريقة مبتكرة، حيث تُجمع هذه التدبرات بطرائق ووسائل، حدّدها، فيخرجونها في أجزاء تباعاً، بحيث يكون كل جزء حصداً للتدبر على مدى عام كامل، من ذلك العدد الكبير من الناس المتدبرين المعاصرين والسابقين في مختلف العصور من المفسرين وسائر الأئمة!
- ٣- ومن خصائص هذه السلسلة التدريبية، أيضاً:
- كونها مقاطع موجزة.
- وأنها ليست عمل شخص واحد، وإنما لعدد من العلماء والمتدبرين من عصرنا ومن مختلف العصور، كما قلتُ، معزّوة لأصحابها ومصادرّها.
- وأنها منوّعة شاملة لمواضع من الكتاب العزيز، بحسب اختياراتهم لبعض الآيات وبعض الألفاظ وبعض الأساليب القرآنية.

وإليك نماذج متفرقة مختارة من هذا العمل:

فمما ورد في المجموعة الأولى:

- ١- (٢) إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيانٌ لا علم لهم بتأويله، وما تدبر آياته إلا بالتأبعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول:

(١) «حصّاد عام من التدبر»، مركز تدبر، الجزء الأول، وما بعده من الأجزاء، تأملات لمواضع من القرآن لنحو ١٢٠ إمام وطالب علم. الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. على أن جُل ما في هذا الكتاب داخل في النقل من كتب التفسير، لا من تدبر المتدبرين، على ما نَبّه عليه فاضل.

(٢) أرقام التسلسل هذه جاءت بحسب مواضع الاختيار من الكتاب.



لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً. وقد -والله- أسقطه كله، ما يُرى القرآن له في خلق ولا عمل.

[الحسن البصري، فهم القرآن (ص: ٢٧٦).]

٥- من مفاتيح التدبُّر: التآني في القراءة: فقد روى الترمذي وصححه أن أم سلمة نعتت قراءة النبي ﷺ؛ فإذا هي قراءة مفسَّرة: حرفاً حرفاً، وهذا كقول أنس -كما في البخاري-: كانت قراءة النبي ﷺ مدّاً. وقال ابن أبي مليكة: سافرت مع ابن عباس، فكان يقوم نصف الليل، فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً، ثم يكي حتى تسمع له نשיجاً.

٦- «عليك بتدبُّر القرآن حتى تعرف المعنى، تدبره من أوله إلى آخره، واقرأه بتدبر وتعقل، ورغبة في العمل والفائدة، لا تقرأه بقلب غافل، اقرأه بقلب حاضر، واسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أن أكثره -بحمد الله- واضح للعامة والخاصة ممَّن يعرف اللغة العربية».

[ابن باز، فتاواه (٩/ ٢٥).]

٩- «المؤمن العاقل إذا تلا القرآن، استعرضه، فكان كالمرأة يرى بها ما حُسِّن من فعله وما قُبِّح؛ فما خَوْفه به مولاه من عقابه خافه، وما رَغِب فيه مولاه رَغِب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته -أو ما قاربها- فقد تلاه حقّ تلاوته، وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً، وأنيساً وحرزاً، ونفع نفسه، وأهله، وعاد على والديه وولده كلُّ خيرٍ في الدنيا والآخرة».

[الإمام الآجري، أخلاق حملة القرآن، (ص: ٢٧).]

١٠- «من النصيح لكتاب الله: شدة حبه وتعظيم قدره، والرغبة في فهمه، والعناية بتدبره؛ لفهم ما أحبَّ مولاه أن يفهمه عنه، وكذلك الناصح من الناس يفهم وصية من ينصحه، وإن وردَّ عليه كتابٌ منه، غني بفهمه؛ ليُقوم عليه

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

بما كَتَبَ به فيه إليه، فكذلك الناصح لكتابِ ربه، يُعني بفهمه، ليقوم لله بما أمر به كما يُحب ويرضى، ويتخلَّق بأخلاقه، ويتأدَّب بآدابه».

[ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (ص: ٧٦).]

٢٣- «وليس في القرآن لفظٌ إلا وهو مقرون بما يبينُ به المراد، ومن غلط في فهم القرآن؛ فمن قصوره أو تقصيره».

[ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٠ / ٤٧٤).]

٢٨- «إذا كان كلام العالم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها، فالله أعلم العلماء، وأرحم الرحماء؛ فكلامه أولى كلام بالاستماع، والتدبُّر، والفهم»^(١).

[الحارث المحاسبي، فهم القرآن، (ص: ٢٤٧).]

ومما وَرَدَ في المجموعة الثانية:

«سُورَةُ الْفَاتِحَةِ:

١- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يؤخذ من سورة الفاتحة إيجازُ المقدمة مع بلاغتها؛ لئلا تملَّ نفوسُ السامعين بطول انتظار المقصود، وهذا سُنَّةٌ للخطباء ألا يُطيلوا المقدمة فينسبوا إلى العيِّ، فإنه بمقدار ما تُطال المقدمة يُقصر الغرضُ، ومن هذا يظهر وجهُ وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة.

[ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ١٥٣).]

٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحمد هو: المدح المقرون بالمحبة التامة، والتعظيم التام، وهذا مناسب جداً للوصف الذي جاء بعد الحمد:

(١) ليدبروا آياته، المجموعة الأولى.



(رب العالمين = الربوبية)، فإذا كان الله هو مَنْ رَبَّى العبد؛ وجب عليه أن يحبّه، وإذا كان هو القادر على ذلك؛ وجب عليه تعظيمه.

[ابن القيم، بدائع الفوائد (٣/ ١٣٢)]

٣- مَبْنَى الفاتحة على العبودية، فإنّ العبودية: إما محبة، أو رجاء، أو خوف، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ محبة، و﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ رجاء، و﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ...﴾ خوف، وهذه هي أصول العبادة، فرحم الله عبداً استشعرها، وأثرت في قلبه، وحياته.

٤- ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال أهل العلم: هذان الاسمان يفتحان -لمن عقل- أوسع أبواب المحبة لله، والرجاء فيه. وتنويع الاسمين -مع أنّ المصدر واحد، وهو الرحمة- دليلٌ سَعَتِها، وفي الحديث القدسي: (أنا عند ظنّ عبدي بي).

[صالح آل الشيخ].

٥- ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ تأمّل كيف تضمّنت هذه الآية:

أ - إثبات المعاد.

ب - جزاء العباد بأعمالهم -حسنها وسيئها-.

ج - تفرّد الرب تعالى بالحُكم، إذ ذاك، بين الخلائق.

د - كون حُكمه تعالى بالعدل.

[ابن القيم، مدارج السالكين (١/ ٧)].

٦- ف﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ الغاية، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الوسيلة، فلن تستطيع أن تعبد الله إلا بالله، فالبدائية من الله، والنهاية إلى الله، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

[ينظر: العبودية لابن تيمية].

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

٧- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مِنْ أَدَبِ الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ الثَّنَاءِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْفَالِغِ﴾ ٢ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤ ثَنَاءً، وَهَذَا مُنَاسِبٌ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الدُّعَاءِ ﴿أَهْدِنَا﴾.

[ينظر: تفسير ابن كثير].

فِي لَفْظَةِ: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ فَوَائِدُ:

- أ - أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ نِعْمَةٌ مِنْ أَكْثَرِ النِّعَمِ.
 - ب - أَنَّ الْهَدَايَةَ لَا يَجْعَلُ الْعَبْدَ، بَلْ نِعْمَةٌ مِنْ غَيْرِهِ أُسْدِيتَ إِلَيْهِ.
 - ج - أَنَّ الْمُنْعَمَ بِالْهَدَايَةِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ.
 - د - وَفِيهِ أَدَبُ النِّعْمَةِ أَنْ تُنْسَبَ لِمُسْدِيهَا، خَاصَّةً حَالُ مُخَاطَبَتِهِ بِهَا.
- [بأسل الرشود].

٩- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فِيهَا إِشَارَةٌ وَبَشَارَةٌ لِلْمُهْتَدِي أَنَّهُ لَيْسَ وَحْدَهُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ، وَأَنَّهُ إِنْ كَانَ غَرِيبًا بَيْنَ الْعَابِثِينَ مِنَ الْبَشَرِ، فَإِنَّ طَرِيقَهُ مَلِيٌّ بِالصَّالِحِينَ، الَّذِينَ حَازُوا أَعْلَى نِعْمَةٍ، فَلْيَأْنَسْ بِذَلِكَ.

١٠- حَقِيقَةُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هِيَ: مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا ذَكَرَهُ فِي الْفَاتِحَةِ بَيَّنَّ مَنْ انْحَرَفُوا عَنْهُ، وَهُمْ الْيَهُودُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ ضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَعَمِلُوا بِغَيْرِهِ.

[د. محمد الخضير].

١١- كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا رَأَى فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ، ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مُخْصِصٌ بِهِمْ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ كُلِّ صَلَاةٍ، فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يَأْمُرُهُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَعِذَّ مِنْ شَيْءٍ لَا حَذَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ! بَلْ يَدْخُلُ فِي الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، وَفِي الضَّالِّينَ الْعَامِلُونَ بِمَا لَا عِلْمَ.

[محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة (ص: ٩)].



١٢- مِن أَحْسَنِ مَا يَفْتَحُ لَكَ بَابَ فَهْمِ الْفَاتِحَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى - فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ -:
(قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الْخَيْرُ الْخَيْرُ﴾
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قَالَ اللَّهُ: مَجَّدَنِي
عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ اللَّهُ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي،
وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [إِلَى قَوْلِهِ]: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾
قَالَ اللَّهُ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)، فَإِذَا تَأَمَّلَ الْعَبْدُ هَذَا، وَعَلِمَ أَنَّهَا
نِصْفَانِ: نِصْفُ اللَّهِ، وَنِصْفُ لِلْعَبْدِ، وَتَأَمَّلَ أَنَّ الَّذِي عَلَّمَهُ هَذَا هُوَ اللَّهُ، وَأَمَرَهُ
أَنْ يَدْعُو بِهِ وَيَكْرُرَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ ضَمِنَ إِجَابَةَ هَذَا الدُّعَاءِ - إِذَا
دَعَاهُ بِإِخْلَاصٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ - تَبَيَّنَ لَهُ مَا أَضَاعَ أَكْثَرُ النَّاسِ.

[محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة (ص: ٨)].

وَمِنَ الْمُهَمِّ وَالْمُفِيدِ، الْإِفَادَةُ مِنْ «فَهْرَسِ التَّصْنِيفِ الْمَوْضُوعِيِّ»، الَّذِي خَتَمُوا
بِهِ الْمَجْمُوعَةَ، بَيَانُ مَوَاضِعِ الْوَقْفَاتِ التَّدْبِيرِيَّةِ لِكُلِّ مَعْنَى وَارِدٍ فِي الْمَجْمُوعَةِ؛ إِذْ هُوَ
وَسِيلَةٌ سَرِيعَةٌ لِلْوُقُوفِ عَلَى الْمَعْنَى، الَّذِي رُبَّمَا تَبَحُّثٌ عَنْهُ طَوِيلًا وَعَنْ مَوَاضِعِ
مَجِيئِهِ فِي الْكِتَابِ.

وَأخِيرًا: فِي نَهَايَةِ الْكَلَامِ عَنْ هَذِهِ النَّمَاذِجِ مِنْ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتِ الْخَاصَةِ بِالْوَسَائِلِ
الْمُسَاعِدَةِ عَلَى التَّدْبِيرِ، يُوصَى طَالِبُ التَّدْبِيرِ بِاسْتِعْرَاضِ مَجْمُوعَةٍ مُخْتَارَةٍ مِنْ هَذَا النُّوعِ
مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ وَالْوَسَائِلِ، الْخَادِمَةِ لِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ مَجَالَاتٍ أَوْ زَوَايَا مُخْتَلِفَةٍ، لِلإِطْلَاعِ
عَلَيْهَا أَوْ عَلَى نَمَازِجٍ مِنْهَا؛ لِلْوُقُوفِ عَلَى مُخْتَلَفِ أَصْنَافِ هَذِهِ الْكُتُبِ.

المبحث الرابع

التطبيقات الإلكترونية القرآنية والحديثية^(١) المساعدة على التلاوة والحفظ والتدبر

توطئة:

إنّ هذا القرآن الكريم، والحديث الشريف، محفوظان بحفظ الله تعالى
وَبِتَكْفُلِهِ بذلك.

ومن بركة هذا الحفظ: تجديد الله للأسباب والوسائل في مختلف العصور، لهذا
الحفظ الإلهي، المتمثل في قَدَرِ الله وإرادته في الخلق، وفي تسخير عباد الله
لتخصيص حياتهم كلها لخدمة كتاب الله وحديث رسوله ﷺ، وحفظهما من التغيير
والتبديل، واستمرارهم في التجديد والابتكار لأداء هذه المهمة الشريفة!

وقد تجددت نعمة الله علينا هذه في هذا العصر، لتكون هذه العناية بوحي
الله وحفظه، وتجديد وسائله في هذا العصر في مستوى لم يسبق له مثال في هذا
الابتكار وهذا التطوير للأسباب والوسائل الإلكترونية والرقمية، فسبحان الله وبحمده،
فهو الخالق المبدع الحكيم، جل جلاله!

(١) آثرتُ إبقاء ما يتعلق بالحديث الشريف من تطبيقات قليلة، وأوردتُ الدليل كاملاً؛ وذلك لأهمية
الرجوع في تدبر القرآن إلى الحديث؛ وأهمية الإلمام ببعض وسائل البحث فيه؛ ولما رجوتُ
من بركة هذه الدلالة على هذا النهر الجاري، بل البحر الماتع من وسائل الصلة بوحي الله
سبحانه وبحمده.



ولا يخفى أن كثيراً من جهود عباد الله المتميزة في مجال هذه الوسائل، لا يعلم بها كثير من الراغبين في الإفادة منها؛ ولهذا بدا لي أن من المفيد أن يتضمن هذا الكتاب المبارك دلالة على مختلف البرامج والتطبيقات الإلكترونية؛ هدية للباحثين عن الهداية!

فاخترت أن أنقل هنا دليلاً شاملاً منشوراً في الشبكة العنكبوتية عن «التطبيقات القرآنية والحديثية»، مع إشارات لبيان طبيعة كل تطبيق -منقولة غالباً من التطبيق نفسه- لتوضيح موجز عن التطبيق وطبيعته. وجزى الله خير الجزاء من عمله ومن عمل على نشره ومن اجتهد في الاستفادة منه.

ويمكن لك الوقوف على أي تطبيق من هذه التطبيقات بالبحث عنه باسمه، الذي كتبناه مخبراً بين هلالين، في قوقل (Google) وغيره من المحركات البحثية على الشبكة العنكبوتية.

وتطبيقات هذا الدليل مصنفة بحسب النظام الحاسوبي، الذي تشغل عليه، وهي:

تطبيقات متوفرة على متجري «أبل» و«أندرويد»^(١):

(١) المؤتمر الافتراضي للتطبيقات القرآنية والحديثية، تحت رعاية معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد/ عيسى أحمد الكندري، ١٧-١٨ رمضان ١٤٤٢ هـ - الموافق ٢٩-٣٠ أبريل ٢٠٢١ م. جاء في مقدمة هذا الدليل:

”يُعرض لكم هذا الدليل أكثر من ١٠٠ تطبيق للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تم جمعها وعرض بعض منها في المؤتمر الافتراضي للتطبيقات القرآنية والحديثية، الذي أقيم يومي الخميس والجمعة ١٨-١٩/٩/١٤٤٢ هـ الموافق ٢٩-٣٠/٤/٢٠٢١ م، بتنظيم مركز تبيان للدراسات، وتنفيذ شركة التحول التقني.

وهذه التطبيقات مصنفة على الأنظمة الآتية:

- تطبيقات متوفرة على متجري «أبل» و«أندرويد».
- تطبيقات متوفرة لنظام «أبل iOS» فقط.
- تطبيقات متوفرة لنظام «أندرويد» فقط.
- تطبيقات مكتبية.

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

يهدف إلى تصحيح قراءة الفاتحة، كلُّ ما عليك فعلُهُ هو الضغط على زر التسجيل، وتسجل قراءتك للفاتحة، ثم الانتظار حتى يردّ عليك أحد المعلمين المجازين ذوي الكفاءة.	<table> <tr> <th>١</th><th>الفاتحة</th></tr> <tr> <td colspan="2">  </td></tr> </table>	١	الفاتحة		
١	الفاتحة				
					
أول تطبيق لتعلم القرآن الكريم عن بُعْدٍ على أيدي معلمين مؤهلين ومتميزين من خلال قراءة القرآن الكريم بالصوت والصورة بطريقة مباشرة وحَيَّة في جلسات صوتية ومرئية، أو صوتية باستخدام جوال متصل بالإنترنت في أي وقتٍ ومن أيِّ مكان.	<table> <tr> <th>٢</th><th>إقراء</th></tr> <tr> <td colspan="2">  </td></tr> </table>	٢	إقراء		
٢	إقراء				
					
تطبيق كتاتيب لتعليم القرآن الكريم، التطبيق الأول، الذي يُعنى بتصحيح تلاوة القرآن الكريم صوتياً من خلال نخبةٍ من معلمي القرآن الكريم.	<table> <tr> <th>٣</th><th>كتاتيب</th></tr> <tr> <td colspan="2">  </td></tr> </table>	٣	كتاتيب		
٣	كتاتيب				
					
تقوم فكرة التطبيق الأساسية على ربط طلاب القرآن الكريم بمعلميهم، وإتاحة تصفح الجلسات والمقرئين، مع إمكانية طلب أكثر من نوع من الخدمات، التي يقوم بتقديمها المعلمون المعتمدون، ومحادثتهم نصياً وهاتفياً، بالإضافة إلى عرض دروس تجويد مرئية، وتصفح القرآن الكريم مع تفسيره. حيث يقوم التطبيق بربط الطالب بالمقرئين، وإتاحة تقييم القراءات والتسميع الخاص بهم، وتصفح دروس التجويد، وتصفح القرآن الكريم وتفسيره، ومتابعة سجل الطالب وتسميعه، ومحادثة الطالب مع المعلم الخاص به.	<table> <tr> <th>٤</th><th>إجلال Ejlal</th></tr> <tr> <td colspan="2">  </td></tr> </table>	٤	إجلال Ejlal		
٤	إجلال Ejlal				
					





تطبيق «احفظ» مبني على سهولة وتيسير حفظ سور القرآن الكريم بطريقة الألواح، فكل سورة من سور القرآن تزيد عدد آياتها عن ٦ آية مقسمة إلى عدة ألواح كل لوح ٦ آية واللوح يتم حفظه على ٤ مراحل كل مرحلة عدة مقاطع صوتيه لنفس اللوح، مرتبة بشكل هَرَمِيّ سهل سماعها وترديدها، حتى يتم حفظها بطريقة سهلة للصغير والكبير، والعربي والأعجمي.	<table> <tr> <th data-bbox="799 287 1018 396"> ٥ احفظ القرآن Ehfaz Al Quran </th><th data-bbox="1018 287 1092 396"></th></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 396 1018 651">  </td></tr> </table>	٥ احفظ القرآن Ehfaz Al Quran			
٥ احفظ القرآن Ehfaz Al Quran					
					
«آية» هو تطبيق متكامل لتلاوة وتدبر القرآن الكريم، يجمع بن جمال التصميم وسهولة الاستخدام، الفائز بجائزة الكويت الدولية في دورتها الثامنة كأفضل تطبيق قرآن، يأتيكم من مركز تفسير للدراسات القرآنية.	<table> <tr> <th data-bbox="799 687 1018 797"> ٦ آية - تطبيق القرآن الكريم </th><th data-bbox="1018 687 1092 797"></th></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 797 1018 953">  </td></tr> </table>	٦ آية - تطبيق القرآن الكريم			
٦ آية - تطبيق القرآن الكريم					
					
يتمتع تطبيق «الكشاف» بالعديد من المزايا والخدمات المهمة لطلبة العلم والباحثين؛ حيث يضم أكثر من ٥٠ كتابًا وأكثر من ٤٩٠ مجلدًا في أكثر من ٢٠٠ ألف صفحة لأوثق المفسرين في بيان معاني القرآن الكريم، مع إمكانية البحث بطريقة علمية ليسهل على طالب العلم الوصول إلى المعلومات الموثقة.	<table> <tr> <th data-bbox="799 990 1018 1099"> ٧ الكشاف - المكتبة القرآنية </th><th data-bbox="1018 990 1092 1099"></th></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 1099 1018 1306">  </td></tr> </table>	٧ الكشاف - المكتبة القرآنية			
٧ الكشاف - المكتبة القرآنية					
					
تطبيق «ختمة» يساعدك على ختم القرآن الكريم حيث يقدم لك وردك اليومي حسب المدة التي تريد أن تختتم المصحف فيها، كما يقوم بتنبيهك يوميًا لتذكيرك بالورد في الوقت الذي تحدده.	<table> <tr> <th data-bbox="799 1343 1018 1415"> ٨ ختمة Khatmah </th><th data-bbox="1018 1343 1092 1415"></th></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 1415 1018 1557">  </td></tr> </table>	٨ ختمة Khatmah			
٨ ختمة Khatmah					
					

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

يسهّل دراسة القرآن وفهمه - فيه كل ما يحتاجه الباحث والمتدبر في آيات الله تعالى ومعاني الكريم.	٩ الباحث القرآني 
«آيات القرآن الكريم»: مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، وهو مفيدٌ، وفيه مبروطة صفحات المصحف بتفسيرها، وهذه مزيةٌ مفيدةٌ جداً.	١٠ آيات القرآن Ayat: Al Quran 
«القرآن تدبر وعمل» هو منهج متكامل محكّم ومتخصص في التدريب على تدبر القرآن الكريم، والعمل به، وفق منهج أهل السنة والجماعة.	١١ القرآن تدبر وعمل 
تطبيق إذاعات علوم القرآن الكريم وترجماته هو أحد التطبيقات التي طورتها لجنة الدعوة الإلكترونية التابعة لجمعية النجاة الخيرية بدولة الكويت. يهدف التطبيق إلى نشر القرآن الكريم وزيادة ارتباط المسلمين والمهتدين الجدد به، وتعرف غير المسلمين على تعاليم القرآن.	١٢ إذاعات القرآن ^(١) 

(١) وقد سبق قبل صفحات عَرُضٌ تفصيليٌّ عن هذا التطبيق المهم، فلعلك ترجع إليه.





يتميز تطبيق القرآن العظيم باعتماده لطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة والأزهر الشريف، ويتم مراجعته آية آية بشكل مستمر من قِبَل لجنة علمية مُجازة بالقراءات العشر؛ فتدبر كلام الله بقراءتك القرآن وأنت مطمئن النفس من عدم وجود أي تحريف فيه.	<table> <tr> <td data-bbox="795 285 1018 391"> القرآن العظيم Great Quran </td><td data-bbox="1018 285 1088 391"> ١٣ </td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="795 391 1088 542">  </td></tr> </table>	القرآن العظيم Great Quran	١٣		
القرآن العظيم Great Quran	١٣				
					
التطبيق الأول بتقنية الذكاء الاصطناعي. يمكّنك من اختبار حفظك لآيات القرآن الكريم عن طريق التسميع.	<table> <tr> <td data-bbox="795 578 1018 642"> تسميع </td><td data-bbox="1018 578 1088 642"> ١٤ </td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="795 642 1088 788">  </td></tr> </table>	تسميع	١٤		
تسميع	١٤				
					
تطبيق صادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. يدعم ١٣ لغة عالمية ويحتوي على خاصية البحث السريع والتفسير الميسر.	<table> <tr> <td data-bbox="795 824 1018 888"> مصحف المدينة النبوية </td><td data-bbox="1018 824 1088 888"> ١٥ </td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="795 888 1088 1033">  </td></tr> </table>	مصحف المدينة النبوية	١٥		
مصحف المدينة النبوية	١٥				
					
تطبيق تفاعلي لتعلم معاني القرآن الكريم. شرح لمعاني القرآن عبر مقاطع مرئية وأسئلة مختلفة. يمكن الحصول على شهادة إنجاز معتمدة من مركز تفسير.	<table> <tr> <td data-bbox="795 1070 1018 1170"> غريب المعاني القرآن الكريم </td><td data-bbox="1018 1070 1088 1170"> ١٦ </td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="795 1170 1088 1315">  </td></tr> </table>	غريب المعاني القرآن الكريم	١٦		
غريب المعاني القرآن الكريم	١٦				
					
تطبيق تفاعلي يعتمد على استراتيجية التلعيب في التعليم. يوفر جمع النقاط ومتابعة الإنجازات والتقدم على مستوى العالم.	<table> <tr> <td data-bbox="795 1352 1018 1415"> المصحف الشامل للأطفال </td><td data-bbox="1018 1352 1088 1415"> ١٧ </td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="795 1415 1088 1557">  </td></tr> </table>	المصحف الشامل للأطفال	١٧		
المصحف الشامل للأطفال	١٧				
					

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

تطبيق يقدم لأول مرة التفسير الصوتي للقرآن الكريم وفقاً لتفسير السعدي.	١٨ القرآن الكريم والتفسير الصوتي	
قرآن كامل مع أكثر من ٣٥ ترجمة تدعم عرضاً شبكياً واضحاً وعرض بورترية وأفقي في كل الشاشات. التجويد الملون (النطق): غنة وإخفاء وإدغام وإقلاب وقلقلة. أول برنامج للهواتف الذكية في العالم يقدم خدمة التجويد المرمزة بالألوان باستخدام أحدث محرك ديناميكي للعرض.	١٩ iQuran	
المصحف الذهبي برنامج متخصص بعرض القرآن الكريم واستماعه بصورة تفاعلية ميسرة، مشتمل على عدّة خدمات، وخدمة تحديد القبلة.	٢٠ المصحف الذهبي Golden Quran	
نسعى في مُدِّكر لتيسر تعلُّم القرآن الكريم (تلاوة وتسميعاً وتلقيناً) لمختلف الفئات، من خلال تطبيقات الأجهزة الذكية، حيث يقدم التطبيق جلسات فردية مع أمهر المقرئين على مدار الساعة.	٢١ مُدِّكر	



مصحف تفاعلي بتصاميم متنوعة، تساعد القارئ على الاستمتاع بالتلاوة، بالإضافة إلى أدوات تسهل عملية الحفظ للطالب، يمكن أن يكون مصحفاً يخدم حلقات التحفيظ ومدارس القرآن على مستوى العالم.	٢٢ مصحف المدينة 
أكثر من ٣٠٠ صورة عالية الجودة في مختلف المواضيع والمناسبات. مع إمكانية مشاركة ترجمات مركز نور إنترناشيونال للقرآن الكريم لكل من اللغة الإنجليزية والفرنسية والأسبانية واللاتينية.	٢٣ بلغوا Convey 
يستخدمه أكثر من ١٧ مليون مسلم حول العالم، وهو يقدم لك الأذان ومواقيت الصلاة بكامل الدقة على حسب دولتك ومدينتك، وينبهك بأجمل أصوات الأذان في أوقات الصلاة وبحسب اختيارك.	٢٤ المصلي 
مصحف جديد تتلو من خلاله القرآن الكريم، وتجد في كل آية منه وقفات متنوعة، تبهر بها إلى كنوز القرآن وتنهل من لآلئ خيراته. وهو مصحف مربوط به عدد كبير من كتب التفسير، وقد عدت المتوافر فيه منها، عند كتابة هذه الأسطر: ٢٦ كتاب تفسير.	٢٥ تدارس القرآن 
يساعدك على استغلال وقتك بحسنات مثل الجبال، فكلما أردت فتح جوالك عرض عليك آية من كتاب الله من آخر آية وصلت لها. وتستطيع معرفة تفسيرها، وممكن سماعها بصوت قارئك المفضل. أول تطبيق للمصحف يستخدم الخط وليس الصور (ورسمه مطابق لرسم المصحف الشريف).	٢٦ نختم 

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

هو التطبيق الإلكتروني الرسمي بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. وهو يعرض نسخة عالية الدقة من النسخة المعتمدة (لطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة) برواية حفص عن عاصم.	٢٧ مصحف الحرمين الشريفين 
تطبيق تفاعلي بتصاميم جذابة لحفظ الحديث الشريف مقسمة على خمس مستويات تصاعدية متنوعة.	٢٨ الحفاظ الصغار 
تطبيق لتعلم وحفظ القرآن الكريم بالصوت، سيفيدك في حفظ القرآن الكريم، تحفيظ القرآن الكريم بشكل ميسر وسهل للشيخ محمد صديق المنشاوي (المصحف المعلم)، تطبيق تحفيظ القرآن الكريم للأطفال والكبار.	٢٩ تحفيظ القرآن الكريم Tahfiz 
التطبيق الإلكتروني الأول من نوعه الذي يضع بين يدي الطالب والطالبة المصحف الكريم وفق المنهج الدراسي المعتمد بوزارة التعليم.	٣٠ المصحف المدرسي 
تطبيق تفاعلي للأطفال لتعلم وحفظ القرآن لجزء عمّ والأحرف الهجائية وأكثر من ١٢ دعاء.	٣١ عدنان معلم القرآن 



تطبيق لتعلم وحفظ القرآن الكريم بالصوت سيفيدك في حفظ القرآن الكريم ميسر وسهل للشيخ محمد صديق المنشاوي (المصحف المعلم)، تطبيق تحفيظ القرآن الكريم للأطفال والكبار.	٣٢ اتلوها صح - تعليم القرآن 
جامع التلاوات بأكثر من ٥٠ لغة، تتيح الاستماع إلى تلاوات أكثر من ٩٠٠ قارئ من مشاهير القراء حول العالم بالروايات المختلفة من خلال موقع https://zeker.online والتطبيق التابع له .	٣٣ القارئ جامع التلاوات 
صادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة يتضمن نسختين بدقة عالية مع التفسير الميسر وشرح غريب الألفاظ وترجمة المعاني وإمكانية البحث ومتابعة وِرْد القراءة وسماع تلاوة الآيات بصوت مشاهير القراء.	٣٤ مُصحف المدينة المنورة 
قراءة القرآن الكريم برواية حفص، بالخط العثماني، من طبعة مصحف المدينة الجديد، ضمن ألوان هادئة مريحة للعين. يحتوي على التفاسير، ترجمات المعاني، التلاوات الصوتية، البحث المتقدم والذكي، العلامات المرجعية، وإضافة الخواطر وتدوين التدبرات، والمشاركة.	٣٥ مصحف مكة 

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

مصحف الحمد يعينك على قراءة ومتابعة وردك اليومي والاستماع للتلاوات الصوتية، مساعدتك على حفظ كتاب الله وتعلم معاني آياته، من خلال واجهة سهلة الاستخدام بتصميمات جذابة.	٣٦ مصحف الحمد الإلكتروني 
المصحف الجامع تطبيق جامع للتلاوات والتفسير وترجمات معاني القرآن الكريم. من خلال هذا التطبيق يمكنك الاستماع إلى تلاوة عدة قراء من العالم الإسلامي بعدة روايات، مع التفسير المختلفة، وترجمة معاني القرآن بعدة لغات، وخصائص للبحث السريع، والاستماع المحدد بزمان، وتدوين الخواطر على الآيات.	٣٧ المصحف الجامع 
تطبيقات القرآن الكريم في تطبيق واحد! المصحف الشريف مع عدد من المميزات بالإضافة إلى ترجمة معاني القرآن الكريم بأكثر من ٣٥ لغة مختلفة، تلاوات القرآن بأكثر من ٢٥٠ قارئ في العالم الإسلامي، تفسير القرآن بـ ٨ تفسيرات مختلفة، إعراب القرآن الكريم، إضافة ورد يومي للقرآن، قصص القرآن الكريم (٢٤) قصة مرسومة وملونة للأطفال مع تشغيل الصوت وكذلك أسئلة في نهاية كل قصة لتثبيت المعلومة لدى أطفالكم)، الأذكار .. أكثر من ٥٠ ذكر صحيح من أذكار الكتاب والسنة النبوية مع إمكانية تشغيل الصوت، التفسير الصوتي، ومحفظ القرآن الكريم.	٣٨ قرآنا 



مصحف القرآن الكريم بتصميم مريح للعين بدون الحاجة للإنترنت.	<table> <tr> <td data-bbox="799 287 1018 347">٣٩</td><td data-bbox="1018 287 1096 347">مصحف آيات</td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 347 1096 493">  </td></tr> </table>	٣٩	مصحف آيات		
٣٩	مصحف آيات				
					
معاني القرآن الكريم بلغتك لخدمة غير الناطقين باللغة العربية في كل مكان.	<table> <tr> <td data-bbox="799 529 1018 638">٤٠</td><td data-bbox="1018 529 1096 638">المصحف متعدد اللغات</td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 638 1096 789">  </td></tr> </table>	٤٠	المصحف متعدد اللغات		
٤٠	المصحف متعدد اللغات				
					
هو نسخة شاملة ومطورة من المكتبة الصوتية للقرآن الكريم (موقع وتطبيق MP3 Quran).	<table> <tr> <td data-bbox="799 826 1018 886">٤١</td><td data-bbox="1018 826 1096 886">مصحف التلاوة</td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 886 1096 1033">  </td></tr> </table>	٤١	مصحف التلاوة		
٤١	مصحف التلاوة				
					
تطبيق قرآني تفاعلي رائد يتضمن معاني الكلمات ومعلم القرآن والعديد من التلاوات والترجمات والمزيد. يملك ميزة جميلة على الآيفون وهي محاكاة حركة الورق الطبيعي عند تقليب الأوراق.	<table> <tr> <td data-bbox="799 1070 1018 1184">٤٢</td><td data-bbox="1018 1070 1096 1184">بيان القرآن Bayan Quran 3</td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 1184 1096 1330">  </td></tr> </table>	٤٢	بيان القرآن Bayan Quran 3		
٤٢	بيان القرآن Bayan Quran 3				
					
مصحف القرآن الكريم مع ترجمات وتفسير مختلفة.	<table> <tr> <td data-bbox="799 1366 1018 1426">٤٣</td><td data-bbox="1018 1366 1096 1426">muslim pal</td></tr> <tr> <td colspan="2" data-bbox="799 1426 1096 1572">  </td></tr> </table>	٤٣	muslim pal		
٤٣	muslim pal				
					

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

٤٤	مصحف الحرمين	مصحف للقرآن الكريم بشكل عصري وإبداعي.
		

٤٥	المعلم	تقدمه جمعية هدية الحاج والمعتمر الخيرية لتعليم تلاوة القرآن الكريم، التطبيق هو الأول والوحيد حول العالم الذي يمتاز باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في التعرف على صوت القارئ، ويدعم التطبيق (٥٢ لغة، بالإضافة إلى تسهيل عملية الحفظ، وإحدى أهم مزاياه خاصة البحث بالصوت مما يسهل على الأشخاص ذوي الإعاقة استخدامه، نال التطبيق جوائز عالمية من أبرزها جائزة أمير الكويت لحفظ القرآن الكريم، وجائزة جامعة الدول العربية «الإلسكو» فرع التطبيقات التعليمية.
		

٤٦	المصحف المدرسي الإشاري	تطبيق معتمد من وزارة التعليم للطلبة الصُم (العوق السمعي) بلغة الإشارة. يوفر خاصية التكرار وحفظ آخر موضع انتهى فيه الطالب من الحفظ أو التلاوة.
		

٤٧	القرآن الكريم - السديس والشريم	
----	-----------------------------------	--





٤٨	القرآن الكريم كامل	استماع بصوت جميع القراء.
		

٥١	محفظ القرآن
	

٥٠	سورة البقرة لأشهر المقرئين
	

٤٩	المصحف المعلم للصغار
	

٥٢	القرآن الكريم كاملاً بدون إنترنت
	

٥٣	موقع قرآن.كوم	الموقع صدقة جارية. نأمل أن نسهل على الجميع قراءة القرآن الكريم ودراسته وتعلمه.
		

٥٤	التفسير الميسر ٠٣
	

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

تطبيق شامل في صحيح البخاري ومسلم، ولمعرفة الحديث الصحيح والضعيف والموضوع وشرح مختصر وسهل للأحاديث.	٥٥ تطبيق حديثي (الموسوعة الحديثية) 
تطبيق يحتوي على السنن الموقوتة وغير الموقوتة ويوفر مشاركة ونشر الأذكار وسنن الرسول اليومية.	٥٦ تطبيق حديثي (سنن) 
موسوعة صحيح البخاري: الموسوعة الأولى التي تجمع روايات وعلوم وجوامع وشروح الصحيح في موقع واحد. وهو من أروع وأوسع برامج صحيح البخاري وخدمته خدمة شاملة.	٥٧ تطبيق حديثي (موسوعة صحيح البخاري) 
تطبيق يحتوي على السنن الموقوتة وغير الموقوتة ويوفر مشاركة ونشر الأذكار وسنن الرسول اليومية.	٥٨ تطبيق حديثي (جامع الصحيحين) 
هو تطبيق متخصص في إدارة حلقات القرآن الكريم في المساجد أو المدارس أو أي مكان في العالم، وذلك بتنظيم العلاقة بين الأستاذة والطالبة.	٥٩ حلقات Halaqat 



تطبيقات متوفرة لنظام «أبل ios» فقط:

المشتركون قادرون على تسجيل مقاطع صوتية، مع إرشادات بأحكام التجويد والتلاوة، يضم التطبيق معلّمي تلاوة، مجازين بتعليم تلاوة القرآن الكريم، قادرين على تحسين قدراتك في التلاوة بسرعة وبسهولة. كل مشترك لديه صفحة شخصية خاصة به لتحفيظ التلاوات ولمتابعة المشتركين الآخرين.	٦٠ ترتيل أكبر شبكة تعليمية للقرآن 
مثل «قول» للإنترنت ولكنه باحث متخصص ومتقدم للقرآن، فكما تستطيع البحث في الشبكة العنكبوتية على أدق الأمور بكافة الأشكال سوف يعينك تطبيق الفانوس على البحث في القرآن عن أدق الأمور وبعده أشكال وسوف تُبْجِر كما لم تُبْجِر من قبل لتجد ضالتك في كتاب الله بإذن الله.	٦١ الفانوس 
مشروع عالمي لتعلم تلاوة القرآن لمتحدي الإعاقة البصرية والسمعية والحركية.	٦٢ القرآن نَوْرَني - تعليم القرآن 
مستخدم مصحف «آي-فون إسلام» يختار كل شيء، يحمّل المصحف الذي يرتاح مع القراءة فيه، يختار الشيخ الذي يفضل الاستماع إلى القرآن بصوته، وكذلك التفسير، وحتى طريقة تقليب الصفحات يمكنه اختيارها.	٦٣ مصحف آي - فون إسلام Mus'haf 

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

هذا التطبيق يعرض القرآن في الخط العثماني مع التفسير في الأسفل، الضغط على أي آية سيعرض تفسير تلك الآية. النص القرآني والتفسير كلاهما يدعمان الخط بالدقة الممتازة مع ميزة التكبير والتصغير.	٦٤ تفسير القرآن Quran Tafsir
إهداء من بيت التمويل الكويتي، برنامج القرآن الكريم برنامج متخصص بعرض القرآن الكريم واستماعه بصورة تفاعلية ميسرة. يوظف البرنامج البيئة الجديدة على هواتف «الآي فون» مما يتيح للمستخدم التفاعل مع القرآن الكريم بسهولة ويشير مع الاحتفاظ بجماليات المصحف الشريف من خطوط بالرسم العثماني ونقوش ودلائل الآيات والسور.	٦٥ القرآن الكريم
يتيح لك إمكانية حفظ القرآن الكريم بالقراءات بالرسم العثماني والسنة النبوية والمتون بطريقة سهلة. كل ما عليك هو اختيار وقراءة النص وسماعه من القارئ ثم تسجيله بصوتك في حين يختفي النص. بعد الانتهاء من التسجيل يقوم التطبيق بعرض النص مرة أخرى وتشغيل صوتك لكي تطابقه بالصواب. يمكنك متابعة نسبة الحفظ في كل سورة أو كتاب حديث وسماع التسجيل في أي وقت.	٦٦ محفظ الوحيين



المصحف المرتل هو تطبيق لسماع القرآن الكريم بأصوات ١٩ من أشهر قراء الوطن العربي.	٦٧ القرآن الكريم كاملاً المصحف المرتل
	
اقرأ هو تطبيق لقراءة القرآن الكريم، بسيط وسهل الاستخدام ويعمل بكفاءة عالية، متوفر باللغة العربية والإنجليزية واليابانية.	٦٨ Eqra'a Quran Reader 
برنامج رائع ومميز بفكرته لتحفيز الأطفال ١٠ أحاديث تم اختيارها من الأربعين النووية.	٦٩ تطبيق حديثي (بستان الأحاديث) 
أدق وأشمل تطبيق إسلامي خاص بعلم الحديث النبوي الشريف يجمع بين الكتب التسعة من إنتاج شركة الدار العربية لتقنية المعلومات، وتمويل أبناء الشيخ صالح بن عبد العزيز الراجحي.	٧٠ تطبيق حديثي (جامع الكتب التسعة) 

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

تطبيقات متوفرة لنظام أندرويد فقط:

٧١ مكتبة القرآن الكريم الصوتية	
تقوم فكرة التطبيق الأساسية على ربط طلاب القرآن الكريم بمعلميهم وإتاحة تصفح الجلسات والمقرئين مع إمكانية طلب أكثر من نوع من الخدمات يقوم بتقديمها المعلمون المعتمدون ومحادثتهم نصياً وهاتفياً، بالإضافة إلى عرض دروس تجويد مرئية وتصفح القرآن الكريم مع تفسيره.	٧٢ ريحان لتعليم القرآن 
القرآن الكريم كامل مع التجويد.	٧٣ القرآن الكريم كلام الله 
يحتوي التطبيق على صور عالية الوضوح لصفحات القرآن الكريم من مصحف التجويد الملون. تحتوي صفحات المصحف على جدول يوضح علامات الأحكام التجويدية في نهاية كل صفحة. المصحف برواية حفص عن عاصم.	٧٤ مصحف التجويد HD 



Qurn Majeed	٧٦
	

مصحف الشبرمي لأحكام التجويد	٧٥
	

المصحف على طبعة مصحف المدينة النبوية القديم، يناسب الحفاظ ويحتوي على ألوان لبيان أحكام التجويد من إعداد دار المعرفة.	حامل القرآن	٧٧
		

لا يوفر لقراء القرآن فقط، خيارات لقراءة القرآن الكريم واستماعه، بل الذهاب إلى العمق وتحليل الكلمات، وكذلك لفهم أفضل؛ يوفر هذا التطبيق الجديد الفريد والمفيد لقراء القرآن الكثير من الميزات الإضافية، التي توفر دليل بحث وأبحاث أكثر تقدماً مع منهج سهل لفهم التفسير الصحيح للقرآن.	القرآن: استمع، بحث، كوربوس	٧٨
		

ezQuran	٨٠
	

القرآن الكريم بدون إنترنت	٧٩
	

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

ينظم ويساعد على ختم القرآن الكريم ضمن مدة معينة أو بتحديد وُرد يومي.	٨١ ختم القرآن الكريم 
	٨٢ قرآن - قالون 
المصحف الثاني الذي طبع سنة ١٤٠٣هـ، ١٣ سطراً، ٧٠٧ صفحة.	٨٣ مصحف الجزائر برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق 
القرآن الكريم كاملاً بدون اتصال بالإنترنت وهو مطابق تماماً للمصحف الورقي وبخط واضح وألوان مريحة، يوفر معاني الكلمات والتفسير الميسر ودعاء ختم القرآن الكريم وغيرها من الميزات.	٨٤ القرآن الكريم مع تفسير ومعاني كلمات 
القرآن الكامل مع ترجمات إلى ٢٧ لغة مختلفة، والصوت (MP3) تلاوة لجميع سور القرآن الكريم بالكامل.	٨٥ Al-Quran Pro with Audio & Transtation 





٨٦	القرآن الكريم بخط كبير وشرح كلمات وتفسير

٨٧	Easy Quran Hafiz
هو تطبيق تعليمي إسلامي مجاني يساعدك على حفظ القرآن الكريم بسهولة. وقد دعم الترجمة والترجمة الصوتية باللغة الإنجليزية. يحتوي أيضاً على مصحف مدمج يمكنك قراءته للترجمة الهندية والصينية، واليابانية، والبنغالية، وغيرها.	

٨٨	حافظ القرآن
من muslim-web.com	

٨٩	نرتل Nouratel
أول تطبيق ينتج مقاطع مترجمة احترافية للقرآن الكريم بصوتك أو بصوت عدد من المشايخ.	

٩٢	القرآن الكريم - الحسني المسبح - ورش

٩١	القرآن الكريم بدقة عالية بدون إنترنت

٩٠	تعاهدوا القرآن

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

القرآن الكريم كاملاً بدون اتصال بالإنترنت مطابق تماماً لمصحف ورش عن نافع الورقي.	٩٣ القرآن الكريم - مصحف ورش مع التفسير وميزات متعددة 
المكتبة الصوتية الشاملة للقرآن الكريم (إم بي ثري قرآن)، «الإصدار الثالث». نسخة حديثة من (موقع وتطبيق Quran MP3) مخصصة للهواتف الذكية لقراءة القرآن الكريم والاستماع إلى تلاوته، بترتيل أكثر من ٢٣٠ من مشاهير وأعلام القراء في العالم الإسلامي.	٩٤ المكتبة الصوتية للقرآن الكريم 
يشتمل على كامل القرآن الكريم مع الترجمة والحروف الصوتية والتلاوة الصوتية لكل فصل من آيات القرآن وآياته. التطبيق يعلمك كيفية تعلم القرآن الكريم مع التجويد.	٩٥ AI Quran MP3 - Quran Reading 
التفاعل مع القرآن الكريم بسهولة ويسر مع الاحتفاظ بجماليات المصحف الشريف من خطوط ونقوش دلائل الآيات والسور.	٩٦ المصحف الذهبي 



تطبيق تم إطلاقه بهدف تشجيع المسلمين على بناء علاقة فعالة ودائمة مع القرآن الكريم وذلك بالمواظبة على قراءة الأوراد اليومية مع فهم معاني الآيات وتدبرها بطريقة سهلة وممتعة ومحفزة.	٩٧ رحلة القرآن 
---	--

بحث فوري في السنة الشريفة مع شرح الأحاديث متوفر بأكثر من ١٠ لغات حول العالم.	٩٨ تطبيق حديثي (الباحث الحديثي) 
---	---

تطبيقات مكتبية:

محاكاة إلكترونية للمصحف الشريف متوفر بعدة لغات مع هامش لترجمة معاني القرآن الكريم، وترجمة صوتية للغتين، وتلاوات للقرآن الكريم بصوت العديد من مشاهير القراء.	٩٩ المصحف الإلكتروني 
--	--

موقع بسيط يعرض القرآن الكريم (مصحف المدينة) بطريقة تفاعلية سلسلة مع إمكانية تحميل المصحف كاملاً لتشغيله بدون إنترنت مع خاصية البحث والتفسير وسماع التلاوات.	١٠٠ قرآن فلاش 
--	---

الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر

رواية حفص، رواية ورش، نسخة رقمية من المصحف الشريف من إنتاج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.	١٠١ مصحف المدينة المنورة 
برنامج المصحف الإلكتروني للكمبيوتر بدون إنترنت يشتمل على قراءة للمصحف كاملاً بصوت أشهر القراء وتفسير ميسر بصورة تفاعلية.	١٠٢ المصحف الميسر 
أضخم موسوعة للأحاديث النبوية لمعرفة الحديث الصحيح والضعيف الذي لا يصح، والحديث القدسي، والموقوف من خلال أحكام العلماء عليها، وفيها شروح الأحاديث الصحيحة.	١٠٣ الموسوعة الحديثية 
موقع متخصص في حفظ القرآن الكريم وفهمه وتدبره والعمل به، يتناول الموقع كل ما يخص تفسير حفظ القرآن الكريم.	١٠٤ الحفظ الميسر 
جامع البرامج الإسلامية وفيه برامج شرعية مهمة، منها: برنامج خادم الحرمين للسنة النبوية. موسوعة التفاسير وعلوم القرآن. الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم. موسوعة صحيح البخاري.	١٠٥ جامع البرامج الإسلامية 



متصفح للتحقق من صحة الأحاديث.	١٠٦ حديث
	
موسوعة إلكترونية تهدف لتوفير شروحات وترجمات واضحة للأحاديث النبوية الصحيحة.	١٠٧ موسوعة الأحاديث النبوية
	

وإلى هنا ينتهي ما ورد في هذا الدليل، (الدليل، فعلاً) إلى هذه الكنوز، المرتبطة بالقرآن والحديث الشريف، الرابطة لمن يرجع إليها بكتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، فجزى الله كل من عمل فيه، ومن بذل فيه أي جهد، أو فكرة، أو رأي. والحق أن هذه هي المشروعات الباقية، المُزرية بمغانم الدنيا وما فيها! ويُفترض أن تصحب هذه التطبيقات، أو تجعلها مصاحبة لك حياتك كلها؛ لأن فيها حياتك!

كما ينبغي نشرها في الناس؛ لتعم الفائدة؛ فيكون لنا ولك أجر من دعا إلى هدى.

ولا بد من التذكير هنا، مجدداً، بما سبقت الإشارة إليه في المبحث السابق: تطبيق (إذاعات القرآن الكريم | <https://quranrad.io>)، على الهاتف الجوال، والحاسوب، وسواهما.

الفصل التاسع



تأكيدٌ وتذكيرٌ ببعضِ النقاطِ المهمّةِ



الفصل التاسع: تأكيد وتذكير ببعض النقاط المهمة

أحمد الله تعالى الحمد كله، وأشكره الشكر كله، على جميع نعمه، ومنها التوفيق للانتهاء من كتابة هذا الكتاب في علم التدبر وتطبيقاته.

حيث عاد الكتاب بالتدبر إلى أصل منبعه، أو إلى منبعه الأصل: القرآن الكريم ذاته، والحديث الشريف، ومصادر التدبر المبكرة، وأساسه اللغوي، وجهود الأئمة الأسلاف الصالحين المتخصصين.

وهذا الفصل خُصص، في وقتين، للتذكير ببعض النقاط المهمة، التي تقتضيها مادة الكتاب، مع أن حقها أن تكون في الخاتمة؛ وذلك لكون الخاتمة لا تحتل ذلك؛ لطوله:

الوقف الأول: استخلاص لبعض النتائج المتعلقة بمفهوم التدبر ومصادره:

أولاً: التذكير بالنتائج الآتية:

١- أن هذا الموضوع هو موضوع كتاب الله تعالى، وتدبره؛ فتأتي أهميته هذا الموضوع من أهميته كتاب الله تعالى.

٢- سعة موضوع تدبر القرآن؛ وذلك لأنه يشمل كل ما كان متعلقاً بفهمه، ومعرفة أسرار معانيه، ونظمه، ومختلف أساليبه، ودقائق معانيه: مفردات وأساليب، ومعرفة الوسائل والأساليب الموصلة إلى فهم القرآن وتدبره!



٣- يدخلُ بهذا العموم في مَوْضُوعِ التَّدْبِيرِ - بصورة مباشرة أو غير مباشرة - كلُّ من: آيات القرآن الكريم، وعلومه، وأحاديث الرسول ﷺ، واللغة العربية وعلومها، ويدخل فيه الكتابات في التدبر، أيضاً، وما دونه أهل الحديث في مصنفاتهم في متون الحديث الشريف، تحت عنوان: «كُتُب التفسير»، حيث أوردوا تحت عنوان: (كتاب التفسير) الأحاديث الواردة في تفسير القرآن، وسواه من عناوين الكتب والأبواب عندهم.

٤- أن أهم مصادر تدبر القرآن هو: القرآن الكريم نفسه، والأحاديث النبوية الشريفة، سواءً بحثنا عن ذلك بلفظ التدبر ومشتقاته، أو بحثنا عنه بالمعنى.

٥- أن التفسير فرعٌ عن التدبر، أو هو ثمرةٌ من ثمراته؛ وهذا يتطلب ضبطاً منهج التدبر، واستقامة منهجه.

٦- أنه ينبغي لطالب العلم؛ لتحديد موضوع أي كتاب ومجاله، عدم الاقتصار على ظاهر عناوين الكتب، بل يُفتش في محتوى الكتاب؛ وقد رأينا، مثلاً، أن كتاب «فضائل القرآن»، أبو عبيد، القاسم بن سلام، بعد الاطلاع على مضمونه، أنه ليس خاصاً بفضائل القرآن، وإنما هو مشتمل على موضوعات كثيرة من علوم القرآن، ومنها تدبر القرآن.

٧- وقد رأينا أن كتب اللغة وفنونها كثيرٌ منها مشتمل على كثيرٍ من مادة تدبر القرآن، وأنها أساسٌ فيه، الأمر الذي لا يتنبه له كل أحد؛ رغم أن ذلك ثروة في التدبر لا يُستغنى عنها.

ثانياً: أمورٌ قد تقررَتْ في هذا الكتاب:

أ - أن القرآن الكريم هو برنامج الحياة كلها، الذي تنتهي الحياة كلها ولم ولن ينته.

ب- أن القرآن أنزله الله (ليدبروا آياته)، على ما أخبر الله البشرية به.

الفصل التاسع: تأكيد وتذكير ببعض النقاط المهمة

- ج- أَنْ تَدُبِّرَ الْقُرْآنَ هُوَ الطَّرِيقُ الْأَسَاسُ لِفَهْمِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ.
- د - أَنْ مِنْ مُؤَكِّدَاتٍ وَجُوبِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ: أدلة وجوب العمل بالقرآن؛ إذ لا يمكن العمل بالقرآن ما لم تُفْهَم معانيه، ومعانيه لا يُمكن أَنْ تُفْهَم إِلَّا بِتَدْبِيرِهِ.
- هـ- أَنَّهُ لَا خِيَارَ لِلْمُسْلِمِ وَالْمُسْلِمَةِ فِي الْإِمْتِنَانِ لِوَجِبِ التَّدْبِيرِ، الَّذِي أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا تَجَاهُ كِتَابِهِ.
- و- أَنْ كُلَّ مَا كُتِبَ حَوْلَ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ وَعِلْمُهُ وَلُغَتِهِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، فَهُوَ سَعْيٌ فِي سَبِيلِ تَدْبِيرِهِ.

ثالثاً: في منهج التَّدْبِيرِ والتفسير ينبغي التنبيه الآتي:

- أ - أَنْ الْوَاجِبَ تَلَقِّيَ مَعَانِي الْقُرْآنِ بِالْبَحْثِ عَنْهَا بِمِرَاعَاةِ كُلِّ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرَاعِيهِ الْمُعْنِيُونَ بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ وَفَقْهِهِ؛ وَلِهَذَا؛ يَنْبَغِي أَنْ يَرَاعِيَ هَذَا النِّهَجَ كُلُّ مَنْ:
- المؤسسة العلمية المتخصصة في مجال التَّدْبِيرِ، ومجال التفسير.
 - الأستاذ المتخصص في مجال التَّدْبِيرِ، ومجال التفسير.
 - الطالب في درسه ودراسته وبرنامجه العلمي، المتخصص في تَدْبِيرِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَفْسِيرِهِ.
- ب- أَنْ الْمُؤَلِّفَاتِ فِي تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَدْ تَنَاوَلَتْهُ فِي الصُّوَرِ الْآتِيَةِ:
- المؤلفات المؤسسة لِلتَّدْبِيرِ، وَإِنْ لَمْ تَتَحَدَّثْ عَنْهُ عَنَاوِينُهَا مُبَاشَرَةً.
 - المؤلفات المتخصصة للحديث عن التَّدْبِيرِ مُسْتَقْلَالاً.
 - المؤلفات المتخصصة فيما يتعلق بالوسائل والأسباب المُسَاعِدَةِ عَلَى التَّدْبِيرِ، وَرَقِيَّةً، وَرَقْمِيَّةً.



الوقفه الثانية: أهميّة تكوين طالب علم التَّدَبُّرِ مكتبةً تَدَبُّريّةً:

ينبغي لطالب علم التَّدَبُّرِ القرآن الكريم، بعد هذه الجولة في مضامين الكتاب، الحرصُ على تكوين مكتبةٍ تَدَبُّريّةٍ خاصّةٍ به، تُساعده على مهمّته هذه، تُجَاه تدبر كلام ربه العزيز الحميد.

وفيما يلي خطواتٌ لتكوينه مكتبةً نافعةً في علم التَّدَبُّرِ، وما يتعلق به، وتتلخّص في:

١- الأصل أن يحرص طالبُ فهم القرآن على ما يمكنه اقتناؤه، أو الحصول عليه من مؤلفاتٍ وكتاباتٍ في هذا المجال.

٢- العناية بالمهم من مراجع التدبر ومصادره، ووسائله ومناهجه، بمختلف أنواعها: الورقية والرقمية، سواءً كانت في صميم التدبر، أو في الوسائل المساعدة عليه؛ إذ كلٌّ من ذلك له أهميته في مساعدته على تحقيق هدفه نحو تكوين مكتبةٍ قرآنيةٍ تدبريّة.

٣- العناية بما يُساعده على التدبر، وفقهه، سواءً أكان ورقياً، أم رقمياً.

٤- مراعاة التدرج في تكوينه هذه المكتبة، حسب استطاعته، وحسب مستواه العلمي؛ فيحرص على ما يلزمه، وعلى ما يتناسب مع مستوى فهمه، شيئاً فشيئاً.

٥- العناية بترتيب ما يَقتنيه من هذه المصادر والمراجع والوسائل، كلٌّ منها بحسبه: ورقياً كان، أو رقمياً.

٦- ينبغي لصاحب القرآن، الالتفات -بصورةٍ مؤكّدة- للمادة القرآنية على الشبكة العنكبوتية، وفي التطبيقات الرقمية والبرامج، المتاحة على الشبكة العنكبوتية، مع التثبت من صحتها، فهي ثروةٌ ونعمةٌ عظيمة، قد منّ الله بها علينا وعلى البشرية، وبلغنا بها كتابه، وأقام بها الحجّة علينا وعلى العالمين. وينبغي له، أيضاً، استثمار الشبكة العنكبوتية في مزيدٍ من تعلُّم القرآن وتدبره،

الفصل التاسع: تأكيد وتذكير ببعض النقاط المهمة

وتعليمه بهذه الوسيلة العالمية المتاح وُصولها لكل مَنْ في أقطار الأرض. والقرآن عالمي؛ إذ أنزله الله للناس جميعاً، وأخبر أنه هدى للعالمين؛ وهذه الوسيلة العالمية يتسق مع القرآن استثمارها لنشره، حكمة بالغة؛ فسبحان الله رب العالمين!

٧- وضع جدول لنفسه للقراءة والاطلاع على ما يُحصّله من غنائم العلم في هذا المجال؛ فليس الحرص على اقتناء ذلك، أو الحصول عليه، بأهم من الحرص على القراءة، والاطلاع، والاستفادة، والإفادة منه.

٨- الحرص على إفادة الآخرين بما يصل إليه بحثه، وتطلّبه لأنوار كتاب ربه جل جلاله، وذلك بمختلف الوسائل والأسباب المتاحة له، وما أكثرها! وما أعظم نفعها له ولغيره من الناس! تالله إن هذا من أعظم نعم الله عليه وعلى الناس! وشتان بين من يتعلم ليُعرف العلم ويحفظه، وينام عليه، ومن ينشره في العالمين! وهذا من أهم الفوارق بين الجاهلين والعالمين!

٩- اللجوء إلى الله تعالى في الأحوال كلها، والضراعة إليه أن يُمّن عليك بالتوفيق، والسداد، والقبول، والتيسير، والرضوان.

والحمد لله رب العالمين.



الخاتمة

بعد هذه الجولة، أو الجولات مع موضوعات هذا الكتاب: «قراءة في مصادر التدبر ومراجعته»، وإزاء كاتبه -وَمَنْ شَارَكَهُ الْأَجَرَ بِقِرَاءَةِ مَسْوَدَّتِهِ- قَدْرًا، يعلمه الله، مِنَ الوقت والجهود في صحبة المصادر والمراجع المختارة؛ ننتهي إلى استنتاجٍ مهمةٍ -ولن نُخصِّي- فمنها:

- ١- أهمية العناية بتدبر الكتاب العزيز بكل السبل اللازمة الموصلة للتدبر السديد.
- ٢- أهميّة المنهجية السديدة في تدبرنا للقرآن الكريم؛ وإلا فيسكون عملنا تخليطاً.
- ٣- أهمية الأخذ بالشمولية في وسائل التدبر وأسبابه، وعدم الاقتصار على مجالٍ منها دون مجالٍ أو مجالاتٍ، وهذا ما كان عليه عددٌ من أسلافنا الصالحين من الأئمة السابقين واللاحقين لهم، الموسوعيين في علوم تأهّلهم لخدمة القرآن وتدبره وتفسيره.
- ٤- التسليم بالتلازم بين القرآن الكريم ولغته العربية، التي أنزله الله بها؛ وأنّ التسليم بهذا التلازم وبارتباطهما ببعضٍ، شرطٌ لسلامة نتائج تدبر المتدبرين.
- ٥- التسليم بأن الإقدام على تدبر القرآن بعيداً عن الإلمام بعلوم لغته (اللغة العربية وبلاغتها)، مخاطرةٌ مؤكّدة، لِمَا يترتّب على ذلك من أخطاء في الفهم لآياته، ومدلولاتها بين الحقيقة والمجاز، ودلالات النصّ، ودلالات المطابقة والتضمّن، ومفهوم الموافقة والمخالفة ... إلخ ما هناك من دلالات اللغة وأساليبها.

الخاتمة

٦- أن أهمية فقه القرآن الكريم في ضوء أساليب اللغة العربية ودلالاتها، يستلزم العناية باللغة العربية، وبتهيئ المعني بفقه كتاب الله وتدبره تأهيلاً شاملاً في اللغة العربية، بل لو صار إماماً في اللغة العربية، أو قريباً من ذلك؛ لكان حقيقاً أن تُفتح له دلائل القرآن وهداياته على أوسع ما يزِنو إليه المتدبر أو يطمع فيه؛ ذلك لأنه حينئذٍ قد امتلك مفتاح، أو مفاتيح هدايات كتاب الله، ومعانيه، ومقاصده، ومراميهِ! وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، [البقرة: ١٨٩]، وأبواب فقه القرآن الكريم من أهمها: لغته ومختلف علومها!

٧- وقفنا في هذا الكتاب على كثير من الموضوعات عن التدبر، ينبغي العناية بها، والعودة إليها باستمرار؛ لاستيعابها وتطبيقها، والإفادة منها، ومنها -على سبيل المثال-: مقدّمات منهجية - دواعي تدبر القرآن - مفاتيح الظفر بهدايات القرآن وتدبره - القرآن والحديث الشريف هما مصدران للتدبر - مدخل التعريف بمصادر التدبر - والتصنيف العام لها - العلوم والمصنّفات المبكرة المؤسّسة للتدبر - أمثلة تطبيقية لاختلاف دلالات كل من: الحروف والمفردات والأساليب اللغوية - نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسّسة للتدبر، ومنها: الكتب الآتية: «فضائل القرآن»، أبو عبيد، و«تأويل مشكل القرآن»، ابن قتيبة، و«مدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى»، للحدّادي السمرقندي. وفي الفصل السابع: الكتابات المخصّصة للحديث عن التدبر، وتناول تعريفها ونماذج منها، فاشتمل على فوائد متخصصة، غاية في الأهمية. وفي الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر، وقد جاء هذا الفصل حافلاً ببعض البيانات التفصيلية عن هذه الكتب، والوسائل، الورقية والرقمية، ويتضمّن هذا الفصل تعريفاً بوسائل في غاية الأهمية؛ للعناية بالقرآن وتدبره، وصُحْبَتِهِ، الأمر الذي هو فتحٌ إلهي لإسعاد البشرية بالقرآن الكريم، وذلك على مستوى: التطبيقات، والبرامج الرقمية على الشبكة العنكبوتية، بما لم تحلّم به البشرية من قبل!



وأخيراً في هذه الخاتمة، أُشير إلى أنه ينبغي أن يُعنى طالب تدبر القرآن الكريم
بكثيرٍ من النقاط المنهجية، التي على طالب تدبّر وحي الله العناية بها في مسيرته
العلمية، ومن ذلك التنبّه إلى أهميّة:

أ - ملازمة قراءة القرآن.

ب- العناية بضبط القرآن الكريم: قراءة، وتلاوة، وتدبّر، وتفسيراً؛ تعبّداً لله به،
سبحانه وبحمده.

ج- شدّة الحاجة لملازمة القراءة للكتب، ولاسيما المتخصصة.

د- العناية باللغة العربية، ونحوها وصرفها وبلاغتها ومختلف علومها، وتطبيقاتها
على القرآن الكريم، والحديث الشريف.

هـ- العناية بالتطبيق في تحصيل اللغة العربية، وعدم الاكتفاء بالجانب النظري ...

و- العناية بهذا الكتاب: قراءة وفهماً، ورجوعاً إليه ما بيّن فترة وأخرى، وإلى
كثيرٍ مما أشار إليه من مصادر التدبر ومراجعته.

اللهم أسألك القبول، والعفو، والمغفرة؛ منّا منك وفضلاً، يا أكرم الأكرمين،
واجعل، اللهم، هذا العمل في ميزان حسنات كل من بذل فيه جهداً، أو نُضحاً،
وتُشعّداً وإياهم به في الدنيا وعند لقائك، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله
بقلبٍ سليم!

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله أنت، أستغفرُك وأتوب إليك.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ١- إتقان البرهان في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس، الأردن، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٢- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أ.د. أحمد بن محمد الخراط، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٣- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، المتوفى سنة ٥٦٢ هـ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.
- ٤- بدع التفاسير، عبد الله بن الصديق الغماري المتوفى سنة ١٤١٣ هـ، دار الكتيب، الطبعة مزيدة ومنقحة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٥- بديع البيان لما عسى أن يخفى في القرآن، الشيخ محمد بدر الدين ابن الملا درويش التلوي الفقيري العباسي، المتوفى سنة ١٣٩٧ هـ، فيه ستة آلاف من كلمة أو جملة أو آية، سوريا - دمشق.
- ٦- البرهان في علوم القرآن، علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، سورة يوسف منه دراسة وتحقيقاً، رسالة دكتوراه في





- التفسير وعلوم القرآن، تحقيق إبراهيم عناني عطية عناني، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، العام الجامعي: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ٧- تأملات في آيات، د. عبد الله بن ناصر الصبيح، المتوفى سنة ١٤٤٥هـ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ.
- ٨- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
- ٩- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ٢١٣-٢٧٦هـ، تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ١٠- تدبر القرآن الكريم أعلامٌ ومناهجٌ، بحوث المؤتمر العالمي الثاني لتدبر القرآن الكريم، تنظيم: الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، بالشراكة مع جامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧هـ.
- ١١- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، تونس، دار سحنون، وبيروت - لبنان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م.
- ١٢- التفسير الواضح على نهج السلف الصالح، محمد نسيب الرفاعي، اعتنى به محمد بن كمال الرّمحي، الأردن، الدار الأثرية للنشر والتوزيع، والكويت، دار إيلاف الدوليّة، الطبعة الثانية، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.
- ١٣- تلخيص المُفتّاح، جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن الشافعي المعروف بالخطيب القزويني، المتوفى سنة ٧٣٩هـ، اعتنى به إلياس قبلان، دار الشفا.

فهرس المحتويات

١٤- التلخيص في تفسير القرآن الكريم، موفق الدين أبي العباس أحمد بن يوسف الموصلي الشافعي المعروف بالكواشي، المتوفى سنة ٦٨٠هـ- ١٢٨١م، دراسة وتحقيق أ. د. محيي هلال السرحان، العراق، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٥- التمهيد لمآ في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، أبو عمر، ابن عبد البر، النمري القرطبي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

١٦- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، النمري القرطبي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، المملكة العربية السعودية - دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٧- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٨- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٩- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، المتوفى سنة ٧٧٥هـ، كراتشي، مير محمد كتب خانه.



- ٢٠- حروف المعاني التي يحتاج إليها المفسر: دلالاتها وأثرها في التفسير؛ دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الرحمن بن عبد الله القرشي، الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م، وأصل هذا الكتاب (رسالة دكتوراه).
- ٢١- الحيوان، الجاحظ، عمرو بن بحر الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ٢٢- الخصائص، أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي، المتوفى سنة ٣٩٢هـ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ.
- ٢٣- الدرُّ المصُون في عُلُوم الكتاب المَكْنُون، أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحَلَبِي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخَرَّاط، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٤- الدر المثنور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق مركز هجر للبحوث، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٤هـ.
- ٢٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة، ١٣٢٨-١٤٠٤هـ / ١٩١٠-١٩٨٤م، القاهرة، مطبعة السعادة، وعلى بعض الأجزاء: القاهرة، مطبعة حَسَّان.
- ٢٦- الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، أبو القاسم الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٢٧- رَضْفُ المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، المتوفى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخَرَّاط، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

فهرس المحتويات

٢٨- زوائد ابن الجوزي على مقاتل في الوجوه والنظائر، فهد بن إبراهيم الضالع، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، العام الجامعي: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٩- السراج في بيان غريب القرآن، د. محمد بن عبد العزيز الخضير، شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.

٣٠- سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، الأزدي السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، الترمذي، أبو عيسى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٢- سنن الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، المملكة العربية السعودية - دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٣٣- سِير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق عدد من الأساتذة بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٤- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك، المتوفى سنة ٤٤٩هـ، تحقيق أبو تميم، ياسر بن إبراهيم، السعودية - الرياض، مكتبة الرشيد، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.



٣٥- شرح مقدمة التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، المتوفى سنة ١٤٢١هـ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.

٣٦- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، اليمامة - بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٧- صحيح مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، تحقيق مجموعة من المحققين، بيروت - دار الجيل، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول، ١٣٣٤هـ.

٣٨- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٩- غريب الحديث، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، ١٥٧-٢٢٤هـ، تحقيق د. محمد عبد المعين خان، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤٠- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق يوسف النبهاني، بيروت - لبنان، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤١- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد، القاسم بن سلام، تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الحياطي، المغرب، مطبعة فضالة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

فهرس المحتويات

- ٤٢- فضائل القرآن، ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٤٣- فضائل القرآن، للإمام العلامة أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، ١٥٧-
٢٢٤هـ، حققه وشرحه وعلّق عليه: الدكتور مروان العطية، المملكة العربية
السعودية - الرياض، الخزانة الأندلسية، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ.
- ٤٤- فضل الرحيم الودود تخريج سنن أبي داود، أبو عمرو، ياسر بن محمد
فتح آل عيد، الدمام - السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ثمانية
عشر جزءاً، وقد طُبعتْ أجزاءه في سنواتٍ متفاوتة.
- ٤٥- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن
بن علي، ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، بيروت - لبنان، دار البشائر،
الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٤٦- القرآن: تدبُّر وعملٌ، الفكرة والإعداد مركز المنهاج للإشراف والتدريب
التربوي، الرياض، الطبعة الثامنة، ١٤٣٨هـ.
- ٤٧- القطع والائتناف، أبو جعفر، أحمد بن محمد النَّحَّاس، المتوفى سنة
٣٣٨هـ، تحقيق د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، المملكة العربية
السعودية، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٨- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، د. عبد الرحمن حبنكة، المتوفى سنة
١٤٢٥هـ، له عدة طبعات، منها: دمشق، دار القلم، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩م.
- ٤٩- الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث، أبو أحمد، عبد الله
بن عدي بن عبد الله الجرجاني، المتوفى سنة ٣٦٥هـ، تحقيق عادل أحمد
عبد الموجود، وعلي محمد معوض [مكتب الشيخان]، بيروت، دار الكتب
العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.



٥٠- كِتَابُ الْمَصَاحِفِ، أبو بكر، عبد الله بن سُلَيْمَانَ بن الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِي الْحَنْبَلِي المعروف بـ«ابن أبي داود»، ٢٣٠-٣١٦هـ، دراسة وتحقيق ونقد الدكتور محبِّ الدِّين عبد السُّبْحَانَ واعظ، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م.

٥١- كتاب فضائل القرآن العظيم وثواب من تعلَّمه وعَلَّمه وما أعد الله عز وجل لتأليه في الجنان، ضياء الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد المقدسي، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق صلاح بن عايض الشلاحي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٥٢- كلماتُ القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، المتوفى سنة ١٤١٠هـ، تعليق الأستاذ محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة التاسعة، ١٤١٨هـ- ١٨٨٧م.

٥٣- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، راجعه خير الدين شمسي باشا، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٤- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥٥- مجموع الفتاوى، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

فهرس المحتويات

٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد، عبد الحق بن غالب، ابن عطية الأندلسي المحاربي، المتوفى سنة ٥٤٢هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٧- مختار الصحاح، زين الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المتوفى سنة ٦٦٦هـ، تحقيق يوسف الشيخ محمد، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٨- المختصر في تفسير القرآن الكريم، نخبة من العلماء. على حواشي المصحف الشريف. له عدة طبعات، مكة المكرمة، دار المختصر للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، ١٤٤٣هـ، ومنها: مما وقفت عليه من الطبعات قبلها: الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧هـ.

٥٩- مدخل إلى التعريف بالمُصحف الشريف، د. حازم بن سعيد حيدر، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٦٠- مدخلٌ لدراسة (مشكل الآثار) - مقاييس لصحة تفسير النصوص. - أنواع استشكال النصوص وأسبابه، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦١- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، أبو نصر، أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي المعروف بالحدادي، المتوفى بعد أربعمئة، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وله طبعة ثانية بتحقيقه.



٦٢- مسند ابن أبي شيبه، أبو بكر بن أبي شيبه، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الرياض - دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٦٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، ١٦٤-٢٤١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٦٤- المصنف، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام، الحميري اليماني الصنعاني، المتوفى سنة ٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الهند- المجلس العلمي، بيروت - المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٥- معارج التفكر ودقائق التدبر: تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، د. عبد الرحمن حبنكة، المتوفى سنة ١٤٢٥هـ، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، وصدرت بقية أجزائه بعد ذلك متفرقة على السنوات اللاحقة، ومجموع الأجزاء التي انتهى منها: ١٥ جزءاً.

٦٦- المعاني الحسان في تفسير كلمات القرآن الكريم، إعداد وإشراف عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان العُمَر. شركة رواد المستقبل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

٦٧- معاني القرآن، أبو زكريا، يحيى بن زياد الديلمي الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧هـ، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، وبيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، وله طبعة أخرى بتحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

فهرس المحتويات

- ٦٨- معجم البلدان، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- ٦٩- المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، د. نبيل عبد السلام هارون، المتوفى سنة ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٠- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، د. أحمد محمد الخَرَّاط، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٧١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى سنة ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٧٢- المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٧٣- مَفَاتِيحُ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَالنَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
- ٧٤- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، تحقيق نعيم زرزور، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٧٥- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٢٨هـ، بيروت - لبنان، دار مكتبة الحياة، ١٤٩٠هـ - ١٩٨٠م.



٧٦- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ومعه: المقصد لتلخيص ما في المرشد مؤلف منار الهدى: أحمد بن عبد الكريم، الأشموني المصري الشافعي، المتوفى نحو ١١٠٠هـ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد: زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق شريف أبو العلا العدوي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧٧- المؤتمر الافتراضي للتطبيقات القرآنية والحديثية، تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيّد/ عيسى أحمد الكندري، ١٧-١٨ رمضان ١٤٤٢هـ- الموافق ٢٩-٣٠ أبريل ٢٠٢١م.

٧٨- موسوعة فضائل سور وآيات القرآن - القسم الصحيح، محمد بن رزق بن طرهوني. جدة، مكتبة العلم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٧٩- النشر في القراءات العشر، شمس الدين، أبو الخير، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المتوفى سنة ٨٣٣هـ، تحقيق علي محمد الضباع، المتوفى سنة ١٣٨٠هـ، المطبعة التجارية الكبرى، مصوِّرة دار الكتاب العلمية.

٨٠- النطق بالقرآن العظيم، د. ضياء الدين الجماس، مركز نور الشام للكتاب، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، أبو الحسن، برهان الدين، إبراهيم بن عمر البقاعي، ٨٠٩-٨٨٥هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٨٢- التُّكْت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]، علي بن عيسى بن علي، أبو الحسن الرماني المعتزلي، المتوفى سنة ٣٨٤هـ، تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

فهرس المحتويات

٨٣- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، أبو الحسن، مقاتل بن سليمان، الأزدي
البلخي، المتوفى سنة ١٥٠هـ، تحقيق حاتم بن صالح الضامن، مركز جمعة
الماجد للثقافة والتراث، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، وطبعة بتحقيق هند شلبي،
الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

٨٤- الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري المعتزلي، الحسن بن عبد الله بن
سهل، العسكري، المتوفى نحو ٣٩٥هـ، تحقيق وتعليق محمد عثمان،
القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٨٥- الوقف الممنوع في القرآن الكريم: مواضعه وأسراره البلاغية، د. إسماعيل
صادق عبد الرحيم، دار البصائر.

٨٦- الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو جعفر، محمد بن
سعدان النحوي الكوفي، المتوفى سنة ٢٣١هـ، تحقيق: محمد خليل
الزروق، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة
الأولى، ١٤٢٣هـ.



فهرس المحتويات

٧.....	مقدمة
١١	الفصل الأول: تمهيد: مقدّماتٌ منهجية:
١٣	المطلب الأول: من دواعي العناية بكتاب الله
١٥	المطلب الثاني: مفهوم التدبر وأهمية التأهل له
١٩	المطلب الثالث: دواعي تدبر القرآن الكريم وثمراته:
١٩	فمن دواعي تدبُّر القرآن
٢٣	من ثمرات تدبُّر القرآن
٢٥	المطلب الرابع: مفاتيحٌ للظفر بهدايات القرآن وتَدبُّره
٢٩	الفصل الثاني: مدخل للتعريف بمصادر التدبر ومراجعته:
٣١	المطلب الأول: منهجٌ لتحديد مصادر التَّدْبِير وتصنيفها
٣٤	المطلب الثاني: القرآن والحديث مصدران أساسيان لمصادر التدبر
	المطلب الثالث: التصنيف العام لمصادر التدبر ومراجعته في ضوء النظر
٣٦	لكلٍّ من اللفظ والمعنى معاً
	الفصل الثالث: القرآن الكريم والحديث النبوي هما مَصْدَرُ مصادر التدبر
٣٩	وأولُّها وأولَّاها:
٤١	المطلب الأول: القرآن الكريم هو مَصْدَرُ المصادر الأوَّل للتدبر:

فهرس المحتويات

- الوقفة الأولى: توضيح فكرة كون القرآن أصلاً ومُصدراً لمصادر التدبر ٤١
- الوقفة الثانية: منهجية اتخاذ القرآن مصدراً للتدبر (كلام عن طريقة
استقراءه لاستيعاب حكمه وأحكامه) ٤٢
- الوقفة الثالثة: مفاتيح البحث في القرآن عن التدبر بحسب المعنى،
لا بحسب اللفظ فقط ٤٣
- المطلب الثاني: الحديث النبوي هو مصدر المصادر الثاني للتدبر -عداً لا رتبة-: ٥٣
- تمهيد ٥٣
- تقرير كون الحديث النبوي مصدراً لمصادر التدبر: ٥٤
- أولاً: التسليم باتخاذ الحديث مصدراً لمصادر التدبر ٥٤
- ثانياً: أسس لاتخاذ الحديث أصلاً ومُصدراً لمصادر التدبر ٥٥
- ثالثاً: مفاتيح البحث في الحديث النبوي عن موضوع "تدبر القرآن"،
مثلاً، بحسب المعنى، لا اللفظ فقط ٥٧
- الفصل الرابع: العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة للتدبر، وتطبيقاتها في
الاستعمال اللغوي والقرآني: ٥٩
- المطلب الأول: مجالات العلوم المبكرة المؤسسة لعلم التدبر ٦١
- المطلب الثاني: استعراض لبعض مصادر التدبر المبكرة ومراجعته في مختلف
مجالاتها العلمية: ٦٦
- تعريف مصادر التدبر المبكرة: ٦٦
- (١) معاني الحروف (حروف المعاني) ٦٩
- (٢) أساليب القرآن الكريم ٧٤
- (٣) علم الإعراب ٧٥
- (٤) علم الصّرف ٧٩



- (٥) غريب الألفاظ، ومنه ما كُتِبَ عن: ألفاظ القرآن ومفرداته ٨٣
- (٦) المعاجم اللغوية على اختلاف أصنافها ومناهجها ٨٥
- (٧) مشكل القرآن ٨٨
- (٨) مشكل الحديث ٨٩
- (٩) مختلِف الحديث ٩٠
- (١٠) أسباب النزول، أو أسباب نزول الآيات، وأسباب ورود الحديث ٩٢
- (١١) الناسخ والمنسوخ ٩٤
- (١٢) الإعجاز، ولا سيما الإعجاز في القرآن الكريم والحديث الشريف ٩٥
- (١٣) البلاغة ٩٧
- (١٤) الوجوه والنظائر في اللغة وفي القرآن الكريم ٩٩
- (١٥) فقه اللغة العربية ١٠١
- (١٦) علوم القرآن ١٠٢
- (١٧) فضائل القرآن ١٠٤
- (١٨) علم القراءات ١٠٦
- (١٩) علم الوقف والابتداء ١٠٨
- (٢٠) كُتِبَ التفسير، وعلم تفسير القرآن ١١١
- المطلب الثالث: أهمية كلِّ من العلوم والمؤلفات الأولى، المؤسسة لعلم تدبر القرآن، واستخلاص دلالاتها: ١١٧
- الوقفة الأولى: أهمية كلِّ منهما ١١٧
- الوقفة الثانية: استخلاص دلالات هذه الأنواع من العلوم والمؤلفات المبكرة المؤسسة لعلم التدبر ١١٩

فهرس المحتويات

الفصل الخامس: أمثلة تطبيقية على اختلاف دلالات كل من: الحروف، والمفردات، والأساليب، في الاستعمال القرآني واللغوي:	١٢٣
تمهيد:	١٢٥
المطلب الأول: التنبّه لاختلاف معاني الحروف بحسب كل من سياقها، ودلالاتها اللغوية الأصلية، وأمثله	١٢٧
أمثلة لمعاني حرف الألف في اللغة (أ):	١٢٧
المطلب الثاني: اختلاف معاني المفردة في القرآن بحسب دلالة كل من سياق ورودها، ومعناها اللغوي الأصلي، وأمثله:	١٣٠
أسباب اختلاف معاني اللفظة الواحدة وتنوعها	١٣١
أمثلة لأثر اختلاف معنى اللفظة في القرآن بحسب سياقها وبحسب أصل دلالاتها اللغوية	١٣١
المثال الأول: معنى (إيمانكم) في قوله تعالى	١٣١
المثال الثاني: تنوع معنى كلمة "لسان" في القرآن	١٣٢
المثال الثالث:	١٣٥
المثال الرابع: الإفادة من دلالة الاستقراء لاستعمال الحروف والكلمات والأساليب في الكتاب العزيز:	١٣٥
المثال الخامس: مراعاة اختلاف معنى الكلمة أو الكلام بحسب الظاهر وعدمه	١٣٦
المطلب الثالث: تعدّد معاني الكلام في اللغة وفي القرآن، لاختلاف سياق الأساليب اللغوية، وأمثله	١٣٨
الفصل السادس: نماذج وأمثلة للكتابات المبكرة المؤسّسة للتدبر، التي لم تنصّ عناوينها على التدبر:	١٤١
تمهيد:	١٤٣



- المبحث الأول: كتاب "فضائل القرآن"، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي،
وأمثلة منه: ١٤٤
- المطلب الأول: المؤلف الإمام أبو عبيد، رحمه الله ١٤٤
- المطلب الثاني: كتابه: "فضائل القرآن"، وأمثلة منه: ١٤٧
- الأول: من مميزات الإمام أبي عبيد وخصائص كتابه ١٤٨
- الثاني: فوائد من كتاب "فضائل القرآن" في وسائل التدبر وأسبابه ١٥٠
- العنوان الأول: ما يُستحب لقارئ القرآن من الجواب عند الآية والشهادة لها ١٥١
- العنوان الثاني: باب ما يُستحب لقارئ القرآن من الترسل في قراءته
والترتيل والتدبر ١٥٥
- العنوان الثالث: باب ما يستحب للقارئ من تحسين القرآن وتزيينه بصوته ١٥٧
- العنوان الرابع: "بيان أنه يُستحب للقارئ إذا مرّ في قراءته بذكر الجنة من المسألة،
وبذكر النار من التعوذ". "استحباب تكرار الآية وتزادها". .. ١٦٤
- المبحث الثاني: كتاب "تأويل مشكل القرآن"، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة،
وأمثلة منه: ١٦٧
- المطلب الأول: المؤلف الإمام ابن قتيبة، رحمه الله تعالى ١٦٨
- المطلب الثاني: كتاب "تأويل مشكل القرآن"، وأمثلة منه: ١٧١
- الوقفه الأولى: فكرة الكتاب وشيء عن قيمته ١٧١
- الوقفه الثانية: من مميزات الإمام ابن قتيبة وخصائص كتابه ١٧٦
- الوقفه الثالثة: فوائد مؤسّسة للتدبر وأسبابه من كتاب "تأويل
مشكل القرآن" ١٧٨
- المبحث الثالث: كتاب "المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى"، أبو النصر، أحمد
بن محمد بن أحمد السمرقندي، الحدّادي، وأمثلة منه: ١٨٧

فهرس المحتويات

المطلب الأول: مؤلف الكتاب: أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي،	
- رحمه الله تعالى -	١٨٨
المطلب الثاني: كتاب "المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى"، وأمثلة منه ..	١٩١
توطئة في فقرتين:	١٩١
أ - حديثٌ عامٌّ عن الكتاب ..	١٩١
ب - سببُ تأليفه الكتاب ..	١٩٣
الوقفه الأولى: فوائد من "المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى": ..	١٩٤
المثال الأول: ..	١٩٦
وقفه نقديّة عند هذا النص السابق من كلامه - رحمه الله - ..	٢٠٣
المثال الثاني: ما قاله الحدّادي في باب (بلى) ..	٢٠٨
المثال الثالث: ما قاله الحدّادي في باب (بل) ..	٢١١
المثال الرابع: ما ذكره الحدّادي في باب (إذ) و(إذا) ..	٢١٢
بعض دلائل هذه الأمثلة من كتاب المدخل ..	٢١٤
الوقفه الثانية: بعض وسائل التدبّر وأسبابه في كتاب "المدخل لعلم	
تفسير كتاب الله تعالى" ..	٢١٥
الفصل السابع: الكتابات المخصّصة للحديث عن التدبر مستقلاً: ..	٢٢١
تمهيد ..	٢٢٣
النموذج الأول: كتاب: "مفاتيح تدبّر القرآن والتّجّاح في الحياّة": ..	٢٢٥
فكرة الكتاب ..	٢٢٥
سببُ تأليف الكتاب ..	٢٢٧
أهم ميزات الكتاب ..	٢٢٧
طريق الإفادة منه ..	٢٢٨



النموذج الثاني: كتاب: "تدبُّرُ القرآن الكريم: وقفاتٌ ولَفَتاتٌ":	٢٣٢
فكرة الكتاب	٢٣٢
بعض محتويات الكتاب	٢٣٤
أهم ميزات الكتاب	٢٣٨
طريق الإفادة منه	٢٣٨
نماذج وفوائد مما تَصَمَّنَه كتاب: "تدبر القرآن: وقفاتٌ ولَفَتاتٌ":	٢٣٩
الوقفَةُ الأولى: دواعي تدبر القرآن	٢٣٩
الوقفَةُ السادسة: إذا قرأت القرآن فاقراً المعاني كما تقرأ الألفاظ!	٢٤١
اللفتة الأولى: أمورٌ أساسية يتوقف عليها تدبُّر القرآن	٢٤٣
اللفتة الثالثة: خطواتُ تدبُّر القرآن والعمل به	٢٤٤
القاعدة الأولى: ملاحظة المعاني المركَّبة والمعاني المفردة معاً	٢٤٥
القاعدة الثانية: التدبر العام والتدبر الجزئي	٢٤٨
النموذج الثالث: كتاب: "القرآن: تدبُّرٌ وعملٌ":	٢٥٠
فكرة الكتاب	٢٥٠
أهداف المشروع	٢٥١
أهم ميزات الكتاب	٢٥١
طريق الإفادة منه	٢٥٢
طرق مقترحة للاستفادة من المنهج	٢٥٣
الفصل الثامن: الكتابات والوسائل المساعدة على التدبر:	٢٥٥
تمهيد المراد بالمؤلفات في طُرُق التدبر، ووسائله، ومسائله، ومناهجه	٢٥٧
المبحث الأول: معجزةُ تَنَوُّعِ العناية بالقرآن، وحفْظُه، وتَجَدُّدُها على	
اختلاف العصور	٢٥٨

فهرس المحتويات

- المبحث الثاني: الوسائل المساعدة على تدبر القرآن وتجددّها ٢٦٢
- المبحث الثالث: نماذج للمصاحف والكتب الورقية والرقمية والبرامج والتطبيقات: .. ٢٦٤
- أ - المصاحف ومختصرات التفسير ومفردات القرآن وتدبره في
التطبيقات الرقمية ٢٦٤
- ب- الكتب والأعمال الورقية في طرق التدبر، ومسائله،
ومسائله، ومناهجه ٢٧١
- ج- المصاحف والبرامج الرقمية الخاصة بوسائل التدبر وطرقه ٢٧٤
- د - نماذج من المؤلفات الورقية الخاصة بوسائل التدبر وطرقه: ٢٧٤
- ١ - النموذج الأول: (مقدمة في أصول التفسير)، الإمام ابن تيمية ٢٧٤
- ٢ - النموذج الثاني: (القواعد الحسان في تفسير القرآن)، الشيخ
عبدالرحمن بن سعدي ٢٨٠
- ٣ - النموذج الثالث: (ليدبروا آياته) ٢٨٩
- المبحث الرابع: التطبيقات الإلكترونية القرآنية والحديثية المساعدة على
التلاوة والحفظ والتدبر: ٢٩٥
- توطئة ٢٩٥
- تطبيقات متوفرة على متجزي "أبل" و"أندرويد" ٢٩٦
- تطبيقات متوفرة لنظام "أبل ios" فقط ٣١٠
- تطبيقات متوفرة لنظام أندرويد فقط ٣١٣
- تطبيقات مكتبية ٣١٩
- الفصل التاسع: تأكيد وتذكير ببعض النقاط المهمة: ٣٢١
- الوقف الأولى: استخلاص لبعض النتائج المتعلقة بمفهوم التدبر ومصادره ٣٢٣
- الوقف الثانية: أهمية تكوين طالب علم التدبر مكتبة تدبرية ٣٢٦



الخاتمة	٣٢٨
المصادر والمراجع	٣٣١
فهرس المحتويات	٣٤٤
هذا الكتاب	٣٥٣

هذا الكتاب

هذا الكتاب يُعوّذ بك في موضوع تدبر القرآن الكريم إلى أضل منبّعه، أو إلى منبّعه الأصل: القرآن الكريم ذاته، والحديث الشريف، ومصادر التدبر المبكرة، وإلى أساسه اللغوي، وجهود الأئمة الأسلاف الصالحين المتخصّصين المبكرة فيه، ولاسيما من القرن الثاني الهجري فما بعده.

يُنقلك، أو ينقل لك طرّفاً من المؤلفات المبكرة في التدبر، تلك المصادر والمراجع المهمة في تدبر كتاب الله، عزّ اسمه.

يُنقل لك نصوصاً من حروف الأئمة الأسلاف الصالحين في تلك القرون، التي كتبوها في مسالك التدبر ومسائله، الرائقة، المؤسسة لعلم التدبر، فإن لم تصحب القوم فاصحب أنفاسهم، وتأمل ما كتبوه في قُرطاسهم!

يأخذك إلى طرائق التدبر ومنهجيته السديدة، وإلى أمثلة على ذلك، مما ورد في كُتب القوم، عليهم رحمة الله ورضوانه.

يُلَفِّتُ نَظَرَ قارئه إلى أنواع العلوم المبكرة في تاريخ الإسلام، المرتبطة بفقه القرآن والحديث، التي ابتكرها أولئك الأئمة؛ لخدمة الوحيين، ويقفُ به على أهميتها لفقه الكتاب والسنة، ويدعوه لتحصيلها، وتقديرها حقّ قدرها.

